

الهدف المنشود

جالينا زيبينيا

- Author : Galina Zybina
 - Title: The Objective
 - Translated by: Housien Al Qabany
 - Afaqs first edition: 2019
 - Cover Design by: Amr El Kafrawy
 - Publishing Consultant: Sawsan Bashier
 - General Manager: Mostafa Alsheikh
- ♦ المؤلف: جالينا زيبينيا
 - ♦ العنوان : الهدف المنشود
 - ♦ ترجمة : حسين القبانى
 - ♦ طبعة أفاق الأولى 2019
 - ♦ تصميم الغلاف : عمرو الكفراوي
 - ♦ مستشار النشر : سوسن بشير
 - ♦ المدير العام : مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:

٢٠١٨ / ٨٩٦١

الترقيم الدولي : ISBN

978 - 977-765 - 162 - 2

جميع الحقوق محفوظة؛ لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال؛ دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb

CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787

E-mail: afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة - من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

جالينا زيبينيا

الهدف المنشود

رواية

ترجمة

حسين القباني

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

زيينا، جالينا.

جالينا زيينا: الهدف المنشود - ترجمة: حسين القباني

ط 1 القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - 2019

320 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 8961 / 2018

الترقيم الدولي 2 - 162 - 765 - 977 - 978

1 - الأدباء (روايات)

2 - زيينا، جالينا

هذه الرواية

بقلم حسين القباني

الهدف المنشود قصة مطولة من الأدب السوفيتي الحديث ..
ولعل أروع ما فيها بساطتها، وأروع ما في بساطتها واقعتها ..
فالكاتبة جالينا زيبينا تسرد قطاعاً من تاريخ حياتها بأسلوب
جميل مشوق خال تماماً من تهاويل الخيال، وزخارف المبالغة.
وإن القارئ ليحس وهو يقرأ قصتها كأنه يعيش معها يوماً بيوم،
وسنة بعد سنة .. ينفعل معها، ويخفق قلبه بانتصاراتها، ويحزن
لهزائمها، ويبتهج بكفاحها في سبيل تحقيق هدفها المنشود.

والقصة عدا هذا تقدم للقراء صورة كاملة واضحة لجانب
من الحياة في روسيا .. وهو الجانب الرياضي .. فهم يرون فيها
كيف يهتم الروسيون بالرياضة والتربية البدنية، وكيف يتخذون
منهما وسيلة لتربية جيل جديد من المواطنين الأصحاء الأقوياء
الذين يتسمون بالروح الرياضية النبيلة، وبالتنافس الشريف نحو
مستقبل أفضل للجنس البشري، وبالعمل معاً، يدًا واحدة، نحو

الوصول إلى أسمى هدف في الحياة.. وهو توطيد الصداقة بين الشعوب، وإقرار السلام بين الدول.

إن الإنسان مجبول بطبعه على التنافس وحب الانتصار.. فلماذا لا يحقق هذا كله في ميادين الرياضة، بدلاً من ميادين الحروب؟ هذا هو الهدف الأساسي من كتابة المؤلفة لقصتها الرائعة هذه.

والكاتبة في بعض صفحات قصتها تتغنى بوطنها، وتشيد بالنظام الاجتماعي الذي يسود بلادها.. وليس في هذا أي مأخذ.. بل إنه واجب مقدس على كل إنسان في كل زمان ومكان.. واجب على كل مواطن أن يتغنى ببلاده، وأن يشيد بنظامها الاجتماعي الذي يناسبها، وأن يتفانى في العمل إلى مجد وطنه ورقبه ورفع شأنه بين الأمم.

ولست أشك في أن الحرارة ستسري في دم كل قارئ وهو يقرأ قول الكاتبة عندما وقفت أمام منصة النصر في دورة هلسنكي الأولمبية تتسلم ميداليتها الذهبية بعد أن سجلت لبلادها رقماً قياسياً عالمياً في رمي الجلة.. لقد قالت وهي تسمع الموسيقى تعزف نشيد السلام الوطني لبلادها، وترى علم وطنها يرتفع عاليًا: «إليك يا علم وطني الحبيب أقدم هذا النصر».

أي منا لا يحب أن يقف هذا الموقف، وأن ينظر إلى علم بلاده في حب وإعزاز وهو يرتفع بين أعلام الدول، ويهتف له بهذه العبارة الحلوة؟

وليس الهدف المنشود - كما تقول الكاتبة- مقصوراً على الميدان الرياضي وحسب.. وإنما هو لشخص شهادة عالية، ولآخر اختراع يفيد الوطن، ولثالث استصلاح قطعة من أرض بور في بلاده، ولرابع كشف علمي.. وهكذا، والمهم ألا يقف الإنسان حين يصل إلى هدفه المنشود، وإنما ينبغي عليه أن يتجاوزه إلى هدف جديد أبعد.. وبهذا فقط يستمر ركب الحضارة في تقدمه إلى هدف الكمال.

حسين القباني

الفصل الأول

شباب تائر

فريق متياسك

خريف عام ١٩٤٥م، وكانت الحرب قد انتهت وشيكًا، ومدرستنا تعقد أول اجتماع رياضي بعد الحرب، وكان نحو مائتي فتاة يتبارين في الجري والقفز ورمي الرمح والكرة، وكانت كل منا تتساءل: من التي ستكون أسرع جريًا، وأعلى قفزًا، وأبعد رميًا؟ وجاء دوري، وأمسكت بالكرة في يدي.. وجريت قليلًا، ثم قذفت بها بكل قوتي.

وكانت رميتي أحسن الرميات، وأبعدها؛ مما جعل زميلاتي في الفصل يبتهجن لنجاحي، وكذلك كنت، ولكن لعلي كنت عندئذ أسبق الحقائق بالأمل؛ فأنا لم أكن قد بلغت الخامسة عشرة بعد، وكان ثمة فتيات أكبر مني سنًا، ولعل إحداهن تفوز في المباراة الختامية. وتبينت، على أي حال، أن مخاوفي لا أساس لها؛ فلم يستطع أحد في ذلك اليوم أن ييزني، وقد توجت نجاحي في رمي الكرة بالفوز في مباراة القفز العالي أيضًا.

وقالت لي مدربتنا الرياضية جالينا نيقولاينا:

- أحسنت.. أين تعلمت رمي الكرة بهذه البراعة؟ إننا لم نمارس بعد هذه الرياضة كثيرًا.

وكان هذا حقًا، فإن تدريبي على رمي الكرة كان قليلًا، ولكنني كنت -عندئذ- أهوى لعبة «اللابتا»، «وهي لعبة روسية قديمة تشبه لعبة البيسبول الأمريكية وقذف القرص الإنجليزية، ولكن تلعب بقاعدتين فقط»، وقد علمني هذا إجادة القذف.

لقد ولدت ونشأت في حي ثيورج بمدينة ليننجراد، وكنا نعيش في شارع كارل ماركس بمنطقة صناعية بالمدينة، وكان بيتنا في «الطف» جزء من الشارع؛ مجاورًا للمتجر حلوى وفطائر، وهكذا كان الجو حولنا مفعماً بشذى البسكويت والحلوى، وقد تعودنا كأطفال أن نلعب اللابتا بالقرب من متجر الحلوى.

إن اللابتا لعبة مدهشة؛ إنها تنمي رشاقتنا وسرعتنا، وتقوي العين والجسم؛ إن الواقفين في الملعب يقذفون بالكرة على أفراد الفريق الآخر أثناء جريهم، فإذا أصابت الكرة أحدهم، أخرجت الفريق كله، وكانت ممارسة هذه اللعبة هي التي علمتني الجري والقذف، وكان أروع لاعبي اللابتا هم -عادة- أحسن الرياضيين في المدرسة.

وكانت تلك أول سنة دراسية بعد الحرب، وكانت الرياضة ذات أهمية خاصة في مدارس الأولاد بمدينة ليننجراد، إذ كان الكثيرون منهم، وأنا أيضًا بلا شك، قد عانوا من أهوال الحصار، ومن ثم أصبحت الرياضة والتربية البدنية ضرورية لمساعدتنا على استرداد قوانا واستعادة صحتنا.

واستمتعت بألعاب الجمباز والألعاب الرياضية، وكنت ضمن فريق الكرة الطائرة بالمدرسة، وفي ذات يوم سألتني جالينا نيقولاينا ما إذا كنت أحب الانضمام إلى مدرسة رياضية للصغار، فقلت مندهشة:

- أ توجد مثل هذه المدارس؟

فحدثتني عن مدرسة للرياضة البدنية للصغار التابعة لجمعية زينيت الرياضية، وهي أقدم مدارس هذا النوع في ليننجراد، وكان قد أنشأها وأدارها فيكتور إيليك ألكسييف، وهو أستاذ رياضي ممتاز، وصاحب رقم قياسي، والفائز عدة مرات ببطولة جمهوريات الاتحاد السوفيتي في قذف الرمح، وكان قد درب عددًا من الرياضيين الممتازين قبل الحرب، وقد أعيد الآن افتتاح المدرسة لقبول تلاميذ جدد.

وسألت وأنا شديدة الانفعال؛ لمجرد التفكير في الأمر:

- وهل يمكن أن يقبلوني؟ عجبًا! إن هذا رائع.. إن عددًا كبيرًا من زميلاتي في الفصل ليحببن الانضمام إليها.

فأجابت جالينا نيقولاينا قائلة:

- تمهلي قليلًا؛ لقد طلب مني فيكتور إيليك أن أرسل إليه فقط الرياضيين الذين يبشرون بالنجاح، لسوف أرسلك أولًا مع اثنتين أو ثلاث فتيات أخريات، وسيكون لفيكتور ألكسييف الرأي الأخير.

وفي أواخر شهر ديسمبر، أرسلت كل من فاليا أفاناسييفا، ونيللي أندرييفا، ومايايتولينا، وأنا إلى مدرسة الرياضة البدنية، وكانت جد قريبة؛ في حي فيبورج نفسه.

وهناك رأينا عشرات من الصبيان والبنات، يتدربون في صحب على الجري والقفز، واجتزت مع زميلاتي الثلاث - في جراءة - عتبة الملعب الرياضي الكبير، وسرعان ما اقترب منا رجل عريض الكتفين، قوي البنية، مموج الشعر؛ وكان فيكتور إيليك ألكسييف.

وحيانا قائلاً:

- هاللو، أسرعن بخلع معاطفكن.. فإننا سنبدأ فوراً.. ولكنني أحب أولاً أن أعرف ماذا يمكن أن تفعلن؟

وما إن تخلصت من معطفي وقبعتي، حتى سلمني فيكتور إيليك كرة محشوة في حجم الكرة الطائرة، وقال:

- هيا ااذفيها بيديك الاثنتين؛ لتري إلى أي مدى ستمضي.

وراقبني وأنا أذف بها في وسط الملعب، ثم أوماً برأسه، وقال مشجعاً:

- لا بأس، والآن سنرى إلى أي ارتفاع يمكنك أن تقفزي؟

وقفزت ارتفاعاً يبلغ مترًا وخمسة عشر سنتيمترًا، ومن ثم قال:

- حسنًا يا جاليا، إنك تصلحين؛ اذهبي وتعرفي ببقية الأولاد والبنات.

وسرعان ما أحاط بي صغار الرياضيين من جمعية زينيت، وكانت بينهم دوزيا جريجوريفا ويوراشيرباكوف وساشاجورشكوف وأنجانيكيتينا ونونامارسونا، وجملة القول أصبحن كلهن أخلص صديقاتي، وفيما كنت أجيب عن أسئلتهن، كان فيكتور إيليك يختبر

زميلات فصلي الثلاث.

وكما علمت فيما بعد، لم تكن النتائج الممتازة في الاختبار هي كل شروط اللحاق بمدرسة ألكسييف؛ فليس هذا ما كان فيكتور إيليك يراه مهمًا في نظره، ولكن المهم -في رأيه- هو أن تكون لديك الأسس التي تجعل منك رياضياً حقاً، ولا تهمة أن تكون النتائج حقيقة، طالما أن الصبي أو الفتاة يتمتع بالعلامات التي تبشر بنجاحه في المستقبل.

ووافق فيكتور إيليك على قبولي مع نيللي وفاليا، أما مايا فقد نصحتها بأن تكون أكثر اهتماماً في الوقت نفسه بدروس التربية البدنية بالمدرسة.

وصدر الأمر بالبدء؛ فانتظمتنا، ولما كنت الصغرى، فقد وجدت نفسي الثالثة قبل نهاية الطابور، وبدأ الدرس بالجري، والسير، وألعاب القوى «الجمباز»، وكانت التمرينات على قضبان الجدار سهلة، ولكنني لم أحسن اللعب كما ينبغي على الأجهزة الأخرى، وحين جاء دوري للتمرين على قذف كرة محشوة ثقيلة، فشلت تمامًا.

وقال فيكتور إيليك:

- لا تقلقي؛ إن ذراعيك ضعيفتان بعض الشيء.. ولكننا سنملاهما بالقوة، وسوف ترين.

وبعد تمرينات أخرى قليلة، أحسست بالإجهاد، ولكنني بذلت جهدي لأخفي شعوري خوفاً من أن يقال إنني لا أصلح للبقاء بالمدرسة، وأياً كان الأمر، فقد سار الحال على خير ما ينبغي، وتسلمت طاقماً

من الملابس الرياضية الجديدة؛ عبارة عن بنطلون قصير بنّي، وكساء رياضي أبيض للوقاية من البرد، وحذاء للرياضة، وطلب منّي أن أعود يوم الثلاثاء التالي.

وكنّت سعيدة منفعلة الإحساس على الرغم من شعوري بالتعب حينما عدت إلى البيت، وأسرعت أخبر أمي عن حسن حظي في قبولي بمدرسة الرياضة البدنية وعن صديقاتي الجدد، وكنّت واثقة أنها ستبهج، وستوافق على انتظامي بالمدرسة، ولكنها لم تفعل شيئاً من هذا القبيل، وإنما قالت بغضب:

- كيف يمكنك أن تتباري مع فتيات كبيرات قويات؟ انظري إلى أي حد أنت نحيلة الجسم شاحبة اللون! إن نفسك مقطوع الآن لمجرد أنك جريت وقفزت قليلاً.. إن ما تحتاجينه هو أن تعتني بصحتك، لا أن تجري وتقفزي في ملعب.

وعبثاً حاولت إقناعها بأن الرياضة هي خير وسيلة لاسترداد صحة الإنسان، فقد أصرت على موقفها، وأنهت المناقشة بقولها:

- إذا كان لديك المزيد من وقت الفراغ، فاقضيه في الأعمال المنزلية؛ فأنا لا أستطيع أن أقوم بكل شيء في المنزل.

ولم تكن أعمال أمي، يقيناً، بالأمر اليسير، فقد مات أبي -الذي كان وقاداً- وهو يحارب بالقرب من جوميل، تاركاً أمي وأنا وإخوتي الثلاثة، وكانت تعمل كرسول، ولكن ما أكثر عملها في المنزل! وكنّت دائماً أحاول مساعدتها فيه، وفي أثناء الحصار، ولم أكن غير صبيّة صغيرة، تعودت أن أقف الساعات في طابور الخبز، وأن أجلب الماء على زحافة

صغيرة من نيفا، وأن أشعل الموقد وأطهو وأغسل، وأنا أفعل الكثير من هذا الآن أيضًا.

وكنت واثقة أن التحاقني بمدرسة الرياضة البدنية لن يمنعي من القيام بأعمال المنزلية، ولكنني لم أستطع إقناع أمي على أي حال، ولم يكن أمامي إلا الإذعان لها.

ولم يكن عيد رأس السنة الجديدة من الأعياد السعيدة في حياتي، لا، ولا عيد بلوغي سن الخامسة عشرة الذي كان في شهر يناير، وكأنما شاء القدر أن يزيد الطين بلة، وإذا فاليا أفاناسيفا ونييلي أندرييفا تحدثاني عن روعة الحياة في مدرسة الرياضة البدنية، وعن مدى القوة والرشاقة اللتين يتمتع بهما الصبيان والبنات، وعن مبلغ لطف وعطف فيكتور إيليك على الرغم من حزمه نوعًا ما.

وفي ذات مساء في أواخر شهر يناير، كانت الأسرة مجتمعة كلها بالبيت، وكنت أقوم بعمل المنزلية حين صلصل جرس الباب، ففتحته ودخلت سيدة لم أكن أعرفها، ولكنها قدمت نفسها قائلة إنها زوجة فيكتور ألكسييف ومساعدته في مدرسة الرياضة البدنية.

وقالت لي:

- أحب أن أتحدث إلى والدتك.

ولم يكن من العسير أن أعرف سبب حضورها، ومن ثم خفق قلبي بالانفعال، وأسرعت منصرفة عن الغرفة حتى أخلي الطريق لها مع أمي. وتحدثت الزائرة مع أمي طويلًا، ولم أعرف ماذا قالت كل منهما

للأخرى، ولكن عندما دعيت إلى غرفة الطعام، رأيتهما تبسيمان في بهجة ومرح، وقالت أُمي:

- حسنًا.. يمكنك أن تعودى إلى مدرسة الرياضة.. ولسوف نرى كيف يكون الحال.

ومرة أخرى اتخذت مكاني في مؤخرة الطابور، وشرعت منذ أوائل شهر فبراير عام ١٩٤٦م أتردد على مدرسة الرياضة بانتظام مرتين في الأسبوع.

وفي أقل من شهر كنت عضوًا في فريق رياضي قوي متماسك كبير. وقد سهل هذا عليّ بسبب الطريقة التي كانت المدرسة تنظمها، فلم يكن ثمة تقسيم محدد إلى مجموعات للصغار ولل كبار، وللمبتدئين أو المدربين في الرياضة، أو إلى مجموعات صبيان، وبنات، وإنما كنا جميعًا نتدرب معًا، وذلك أن فيكتور إيليك كان بطبيعة الحال يأخذ في الاعتبار السن والقدرة في طلباته من كل منّا.

فمثلًا كان الأعضاء الأصغر سنًا يؤدون تمريناتهم عشر مرات، أما الأكبر سنًا والأكثر مرانًا فكانوا يؤدونها عشرين مرة، والأشد قوة ثلاثين مرة، وكنت -كمبتدئة- أقوم بالتمرينات عشر مرات، ثم أستريح بعد هذا، وأرقب زملائي الأكبر سنًا وأتعلم منهم.

وكان فيكتور إيليك يزودنا بتمرينات رياضية لتقوية أبداننا؛ إنه لم يكن يعلم أحدنا كيف يقذف الرمح أو يبين لآخر كيف يجري، أو للثالث كيف يقفز. لا.. وإنما كان يحاول أن ينمي فينا كل ما يلزم للألعاب الرياضية: عضلات قوية، وجسم مرن، وسرعة ومقدرة على

مزج هذه المميزات بعضها ببعض. ولكنه فقط كان يعطي دروسًا خاصة في أيام الأحاد لمجموعة صغيرة نسبيًا من الرياضيين الذين بلغوا درجة معينة من الإجادة في الألعاب الرياضية، فكان يعلمهم كيف يتقنون فنون الألعاب التي وقع عليها اختيارهم.

وكنت في أول الأمر عضوًا بفصل التمرين العام، فتعلمت قليلًا من كل نوع: الجمباز، والجري والقفز والألعاب البهلوانية. وكنت أستمع دائمًا بالدروس، إذ كانت لفكتور طريقة بارعة في تنويع وتغيير التمرينات، وإدخال مبدأ اللعب والمنافسة في التدريب.

وتعودت في أول الأمر أن أشعر بالتعب الشديد، ولكنني غدوت، مع مرور الوقت، قوية، وأكثر احتمالًا، على الرغم أنني كنت لم أزل أقل كثيرًا من المستوى في عدد كبير من التمرينات، وكان فيكتور إيليك ينصحني كثيرًا بقوله:

- عليك بحماس ونشاط أكثر في تأدية التمرينات!

وكانت معظم حركاتي على جانب غير قليل من الفتور والرقّة، ذلك لأنني كنت قد أمضيت - قبل الحرب - ثلاثة أعوام في مدرسة للرقص بناادي «أول مايو»؛ أي في الوقت الذي كنت أفكر فيه للالتحاق بمدرسة فن الرقص، وقد زودتني دروس الباليه بعادات غير مناسبة للرياضة، وكان عليّ أن أتخلص منها.

وكل ما كان يريد فيكتور إيليك هو أن يجعل جسمي أشد قوة.. لا سيما ذراعيّ، وقد قال لي ذات مرة:

- يجب أن تكثري من المصافحة يا جاليا، وضعي في قبضتك المزيد من القوة والحيوية، تأملي مدى ما تبلغه عضلات يدك وذراعك من القوة عند المصافحة.

وعندما كنت أذهب بعد ذلك إلى المدرسة، كان كل من فيها يأتي لمصافحتي:

- هاللو جاليا.

- كيف حالك؟

- هاللو.

وبعد خمس دقائق أخرى نعاود المصافحة..

- ما رأيك في المصافحة مرة أخرى؟

- كَفُّك.

كان الجميع يحاولون أن يساعدني على العمل بنصيحة مدربنا، وكان فيكتور إيليك بنفسه يصافحني على الأقل عشرين مرة في اليوم. وهكذا كانت عضلات ذراعي تزداد قوة.

ولم أسمع أحدًا أبدًا يسخر من فشل آخر، ولم أشهد غرورًا من أحد أو غلظة أو حسدًا، بل كان القوي عادة يحاول مساعدة الضعيف، والمتمرن يعمل على معاونة المبتدئ.

ورغم مرور وقت ليس بالقصير عليّ في المدرسة، فإن تقدمي كان بطيئًا في ألعاب القوى، لا سيما في جهاز المتوازيين. ولكن صديقاتي نونا مارسونا الضاحكة، ويورا شيرباكوف العطوف، وساشا

جورشكوف الملول وغيرهن كن يساعدنني في صبر، ويحرصن على تصحيح أخطائي.

وكان شباب جمعية زينيت الرياضية معتادين على مساعدة أحدهم الآخر في كل شيء، وفي كل مكان، وليس في ملعب الرياضة وحسب. كان كل واحد يعرف مدى تقدم الآخرين في المدرسة، فإذا حدث أن بدأ أحدهم يتأخر في دروسه، بادر الجميع إلى مساعدته، شارحين له مسائل الجبر والصرف، عاملين على حصوله على درجات أفضل.

ولم أكن لحسن الحظ، في حاجة إلى مساعدة؛ لأنني كنت متقدمة في دروسي، وكنت أتقدم تقدمًا ملحوظًا في دروس التربية البدنية. وقد امتدحتني جالينا نيقولاينا مدرسة الألعاب بالمدرسة قائلة ذات يوم:

- إنك الآن أسرع جريًا وأبرع في ألعاب القوى، رأيت فائدة التدريب في مدرسة ألكسييف؟

وكانت نهاية الشتاء وشيكة، وكان شباب جمعية زينيت يتطلعون إلى الربيع الدافئ وضوء الشمس. فكلما اقترب الربيع (بالمجيء)، أسرعنا نحن في التمرين في الهواء الطلق بالملعب المفتوح «الاستاد»، ولكن لهفتنا كانت أشد ونحن نرتقب أولى رحلاتنا الخلوية إلى أولجينو، خارج مدينة ليننجراد.



استاد الغابة

ثم تهشم الجليد ذات يوم على نهر نيفا، ووقفنا على كوبري لتيني نرقب كتل الجليد الضخمة المعتمة وهي تطفو ببطء منحدره في النهر، دائرة حول نفسها، مصطدمة بعضها ببعض، متراكمة بعضها فوق بعض، وهناك في الأفق، كان البرج الذهبي لكاتدرائية القديس إسحاق يتألق في سماء صافية.. وكانت عملية إعادة طلائه قد تمت وشيئًا.

وعلى الرغم من أنه لم يكن حولنا غير الأسفلت والأحجار، إلا أن الهواء كان مفعمًا برائحة الأرض الرطبية، والشذى العاطر للأشجار المزهرة، وعبير الربيع العذب المنعش.

وقالت إحدى الفتيات:

- يمكنني أن أتخيل إلى أي حد سيكون الجو رائعًا في أولجينو.

فابتسم يورا شيرباكوف قائلاً:

- إنه رائع فعلاً.

ثم استدار إليّ وأردف قائلاً:

- لسوف ترين غداً أول ملاعبنا للتدريب في الغابة؛ لا تتأخري فقط عن موعد القطار.

وكانت رحلة الربيع الأولى إلى أولجينو قد تحدد موعدها في اليوم التالي. إن فيكتور إيليك بمجرد أن انتهى من إعداد المدرسة، أنشأ مكاناً خارج ليننجراد لرحلات يوم الأحد. والذين زاروا أولجينو كانوا يتحدثون دائماً عنها في حماس وابتهاج، فكل شيء هناك جميل.. الغابة والبحر القريب منها، وكانت التدريبات في أولجينو متعة في ذاتها. ثم هناك الألعاب في الهواء الطلق، والعشاء حول نار المعسكر. فكيف يمكن أن يتأخر إنسان عن الاشتراك في نزهة رائعة كهذه، لقد كنت في صباح اليوم التالي بمحطة سكك حديد فنلندا قبل التاسعة بعشرين دقيقة.

وكان الكثير من الأصدقاء قد سبقوني إليها، وكان يورا شيرباكوف يضع علامة في القائمة أمام اسم كل قادم منا. فلما وصل فيكتور إيليك إلى المحطة، أسرع الغلمان الكبار فحملوا حقيبة الكبيرة، المثقلة بالمعدات الرياضية من أثقال حديدية وأقراص ثقيلة، ومطارق وكرات محشوة، وأشياء أخرى.

- وسألنا فيكتور إيليك:

- إنكم لم تنسوا إحضار البطاطس معكم، أليس كذلك؟

فأجبنا قائلين ونحن نضرب على أكياسنا:

- كيف يمكن أن ننساها؟ إنها لن تكون نزهة من دون البطاطس.

لقد أحضرنا معنا البطاطس، والخبز، والملح، والزبد، وكل ما يلزم للعشاء حول نار المعسكر.

وما إن جلسنا في القطار حتى تحرك، وكانت عربتنا بلا شك هي أشد المركبات مرحًا وصخبًا.. فقد كنا طوال الطريق نغني ونضحك ونمرح. ومر الوقت في لمح البصر، ومرقت بسرعة محطات الضواحي، وبدأنا نقرب حثيثًا من خليج فنلندا، وازدادت خمائل أشجار الصنوبر كثافة، وأخيرًا وصلنا إلى بغيننا، وتوقف القطار في أولجينو لمدة دقيقة، فغادرناه بسرعة.

وانتظمنا على إفريز المحطة، وسرنا طابورًا إلى ملعب التدريب بالغابة، يقودنا إليه يورا شيرباكوف الذي كان يعرف الطريق إليه جيدًا.

وقد سرنا أولاً بحذاء قضبان السكة الحديد، ثم انحرفنا إلى داخل الغابة، وكان صباح الربيع الصافي مدهشًا، وكانت أوراق الأشجار تتحول إلى الخضرة، والطيور تتنادى، والهواء يضوح بشذى الصنوبر والبحر، ومررنا بمناطق كانت مسرحًا للمعارك في الحرب.. وكانت هذه قبل عامين، جزءًا من جبهة القتال، وكان ثمة ما يذكرنا بالحرب في كل خطوة؛ صناديق ذخيرة محطمة، وخنادق مدمرة جزئيًا، وأشجار تحمل آثار القنابل.. إن مباحج السلام لم تكتسب إلا بحرارة القتال!

وبعد مسيرة ساعة، غدت الغابة أشد كثافة. وقد تساءلت: أين يمكن أن يجد الإنسان هنا مكانًا للتدريب؟ فالتربة رطبية، وأقدامنا تغوص في أرض موحلة، ولكن أولئك الذي سبق لهم الاشتراك في نزعات أولجينو أكدوا لنا وجود مكان رائع للتمرين على بعد.

ووصلنا أخيرًا إلى ساحة واسعة فوق هضبة رملية محجوبة عن الرياح بحاجز من الأشجار، وعلى مسافة قصيرة منها، كانت ثمة صفوف من الكثبان الرملية منحدرًا إلى شاطئ البحر.

وسمح لنا فيكتور إيليك بالاستراحة فترة وجيزة، ولكن لأننا لم نشعر بالتعب، فقد انطلقنا نجري ونلعب، وبادر الجدد منا إلى استكشاف المكان، على حين أخذ الغلمان والفتيات القدامى يقيمون الخيام ويعدون الوقود لنار المعسكر.

وانطلقت الصفارة.. فاحتشدنا جميعًا وارتنينا ملابس التدريب. وكانت الشمس قد ارتفعت إلى السماء، ولم يعد أحد يشعر بالبرد في ملابسه الرياضية القصيرة.

- انتظمو!

وبدأ التدريب اليومي بالجري عبر المنطقة، وقد قسمنا إلى مجموعات كثيرة حسب أعمارنا وقدرتنا، وخصص لكل مجموعة طريق معين للمضي فيه.

وقد سبق لي الاشتراك في مسابقات الجري الطويل عبر المنطقة، ولكن لم يكن ثمة وجه للمقارنة بين الجري عبر ممرات غابة مجهولة، والجري في منتزه أو حول فناء المدرسة، وبدأنا المباراة بخطوات واسعة متمهلة، فقد كان ثمة عدد كبير من العوائق المفاجئة في طريقنا، فقد كان علينا أن نصعد في التلال، وأن نقفز عبر أخاديد ضيقة وجداول صغيرة، وأن نقتحم ممرات جديدة، نجري أحيانًا على أرض صلبة، وأحيانًا على رمال أو أرض مكسوة بالطحالب، أو نمتثر في طرح الريح، وسرعان ما

شعرنا بالحرارة تسري في أجسامنا.

وعندما عدنا إلى الساحة وبعد أن استرخينا، تحلقنا في دائرة، وقمنا -تحت إشراف فيكتور إيليك- بكل أنواع التمرينات لنعمل على تقوية جهاز التنفس، ومرونة الجسم، واكتساب القوة والرشاقة، وجاء دور «التخصص» بعد هذا، أي التمرين الفردي في الجري، والقفز، والرمي، والقذف. وقام كل منا بما تخصص فيه، ولكنني كغيري من المبتدئين، لم أكن متخصصة في شيء بعد.

وسألني فيكتور إيليك قائلاً:

- وماذا تريد أن تفعلي يا جاليا؟

وكنت أريد أن أفعل كل شيء: أجري مع نونا مارسونا، وأقفز مع إنجانيكينا، وأقذف بالكرات الثقيلة مع لينا إميليانوفا وليدا استاليفا، أي كنت ببساطة لا أعرف ماذا أختار.

وذكرني فيكتور إيليك قائلاً:

- لقد كنت في المدرسة بارعة في قذف الكرة، أليس كذلك؟ فما رأيك في محاولة رمي الرمح؟

وقبلت فوراً.. ولكن بدلاً من الرمح، أعطاني فيكتور إيليك عصا طويلة مدبية، وقال:

- هذه تكفي الآن، أترين ذلك الغصن؟ حاولي أن تقذفي بالعصا من فوقه هكذا.

وأمسك فيكتور إيليك بالعصا، وتقدم خطوة، ثم قذف بها، وارتفع

«الرمح» طائِحًا بضعة أمتار في الهواء، ثم اندفع فوق الغصن وسقط في الجانب الآخر، وخطر لي أن هذا شيء سهل، وأمسكت بالعصا ورميت بها، وارتفعت عاليًا، ولكنني لم أتمكن من جعلها تمرق فوق الغصن.

وواساني فيكتور إيليك بقوله:

- لا تهتمي؛ لسوف تتعلمين مع الوقت، أخبريني بعد أن تقذفني بها فوق الغصن خمس عشرة مرة.

ومضى في طريقه ليخبر غيري ماذا ينبغي أن يفعل.

أقذف بالعصا فوق الغصن خمس عشرة مرة؟ أخ!! إنها لن تطير فوقه ولا مرة واحدة، وبعد محاولات كثيرة فاشلة، قررت أنني لن أصبح أبدًا رامية رمح، وتلفت حولي، ورأيت بعض الفتيات يتمرنن على رمي الأقراص، فقررت الانضمام إليهن.

ولكن هذا لم يُجدِ كذلك، فقد كان القرص يدور مضطربًا في الهواء ويأبى الانطلاق بعيدًا، وقَوَّمتُ الفتيات أخطائي، وشرحت لي كيف ينبغي أن أفعل، وأنصت إليهن، ولكن في غير حماس كبير، فما جدوى هذا؟ لقد كان من الواضح تمامًا أن الرميات الأولى لم تنجح، وحاولت مرتين أو ثلاثًا بعد هذا، ولكن النتيجة كانت واحدة، فإن القرص تراقص في الهواء، وسقط على مسافة قصيرة، وأحسست بالغضب، وانصرفت. لا، إنني لن أصلح أبدًا لأن أجدد رمي القرص أيضًا؛ إذن لأجرب الرماية، ولكن الصبيان والفتيات الذين كانوا يتمرنون على رمي الجلة أبوا أن يسمحوا لي بالاشتراك معهم.

ولامني بوريس ماتفييف قائلاً:

- لماذا لا يستقر أمرك على لعبة معينة بدلاً من محاولة هذا أو ذاك..
أنت تعرفين أن فيكتور إيليك لا يرضى عن هذا.

ولم ألبث أن قابلت فيكتور إيليك نفسه، فلما أخبرته أنني لم أعمل
بنصيحته، وأني فشلت بعد ذلك حين حاولت رمي القرص، وأني الآن
أريد تجربة حظي في الرماية، هز رأسه وقال:

- حسناً.. حسناً.. إن عليّ أن أضع هذه الفتاة في مكانها المناسب!
ثم بدأ يوضح لي أن عليّ من يريد أن يصبح رياضياً حقاً، أن يكون
مواظباً صابراً دون أن يخشى العمل الشاق، واستمعت إليه برأس مطرق
وأنا أرسماً أرقاماً على الرمل بقدمي، وكنت أقول لنفسي والدموع تكاد
تظفر من عيني:

«لا فائدة من بذل الجهد معي.. فأنا لن أصل إلى شيء أبداً».

ويبدو أن فيكتور إيليك استنتج ما كان يدور بذهني، فقال:

- حسناً يا جاليا.. لسوف أتحدث إليك فيما بعد.. راقبي غيرك في
الوقت الحاضر.

ومضيت في استياء ونكد أنتقل من مجموعة إلى أخرى، وكان
التمرين العنيف يجري في كل مكان، فكانت أنجانيكتينا وصدقاتها
يتعلمن سباق الحواجز، ولم يكن النجاح حليفهن في أول الأمر.. فقد
ظللن يصطدمن بالعصي التي وضعنها كحواجز المرة بعد الأخرى،
ولكنهن لم ييأسن، وإنما رحن يحاولن المرة بعد المرة.

وعلى مسافة قصيرة منهن، كانت جريشا كرابروث ويورا شيرباكوف يتمرنان على رمي المطرقة، وكان فيكتور إيليك واقفًا بالقرب منهما، يراقب. وكان المسكين يورا يتفصد جبينه عرقًا، ومع ذلك لم يكن يستطيع الرمي كما ينبغي، ولم يكن فيكتور إيليك راضيًا عنه، ولو كنت في مكان يورا، لنفضت يدي من هذه المطرقة الخبيثة التي لا تشبه حتى المطرقة العادية. ولكن... يورا لن يفعل ذلك، لقد أنصت باهتمام إلى فيكتور إيليك، وابتسم، وكرر المحاولة، لقد كان زميلًا عنيدًا.

ورأيت دوزيا جريجوريفا ونينا إجناتيفا يستدعياني بالإشارة، فلما ذهبت إليهما قالت دوزيا:

- أين كنت؟ إننا أيضًا نتمرن على رمي الرمح.. انضمي إلينا.

- أوه... إنني لا أستطيع.

- ماذا؟ أتعنين أنك لا تستطيعين قذف العصا فوق ذلك الغصن!

وراحت دوزيا أولًا، ثم نينا ثانيًا تقذفان الرمح ببراعة فوق أعصان ممتدة من شجرة صنوبر قريبة، فلماذا لم أستطع أنا أن أفعل هذا؟ لأن السبب، كما تبين لي، هو أن كل فتاة قذفت بالعصا نحو خمسين مرة، بينما لم أقذفها أنا غير ثلاث أو أربع مرات، وأحسست بالخجل من نفسي. وارتفعت روحي المعنوية عندما بدأنا في ممارسة الألعاب، وكان ثمة ما يكفي من الغلمان والفتيات المستعدين للعب «اللابتا» وكانت تلك لعبة أجيدها، فلعبتها في غبطة وابتهاج حتى شبت.

ثم جلسنا حول نار المعسكر، وأكلنا أشهى بطاطس مشوية في الدنيا.

وكان شفق المساء ينتشر، وظلال ألسنة نار المعسكر الحمراء
تتراقص على جذوع أشجار الصنوبر.

وقال فيكتور إيليك في اكتتاب:

- حسنًا... ها نحن أولاء هنا... في أولجينو. ولكن كوليا أجايوف،
ولياليا بايبوردنا وسانيا لوشكين لن يعودوا إلى هنا أبدًا؛ لقد وهبوا
حياتهم الشابة لبلادهم... من أجل سعادة المواطنين السوفييتيين.

وحدثنا فيكتور عن نقولاي أجايوف الذي كان تلميذًا في مدرستنا
الرياضية، ففي خلال الحرب العالمية الثانية كان كوليا «نقولاي» قائد
دبابة، فلما أضرمت قنبلة للأعداء النار في دبابته، قادها أجايوف مشتعلة
إلى خنادق النازي، ومات وهو يؤدي واجبه، ومنح اسمه بعد وفاته لقب
«بطل الاتحاد السوفيتي» وكذلك حارب بايبوردنا ولوشكين بشجاعة
في وحدة استطلاعية وماتا في سبيل الوطن.

إن هناك الكثيرين الذين يتذكرون هؤلاء الثلاثة، وقد بدأوا
يستجمعون ذكرى عنهم، صفاتهم، كيف كانوا، وإلى أي مدى كانت
مواظبتهم على التدريب.

وفيما أنا أنصت، تمنيت لو استطعت أن أخفي وجهي في الظل..
فقد خطر لي أن أصدقائي كانوا ينظرون إليّ، وأحسست بالخجل من
تصرفاتي.

وعندما جئنا إلى ساحة التدريب بالغايب في المرة الثانية، كان سلوكي
مختلفًا، لقد نفذت نصيحة فيكتور إيليك، وتدربت بكل جهدي على

رمي الرمح، وقد ساعدتني دوزيا ونينا كثيرًا، وتوطدت وشائج الصداقة القوية بيني وبين دوزيا.

وكنا نذهب إلى أولجينو في كل يوم أحد، ومرتين في الأسبوع كنا نتدرب في استاد زينيت، وكان طبيعيًا أن نشعر ببهجة أشد ونحن نتدرب في الاستاد بدلًا من التدريب في الريف... في ساحة الغابة، وسرعان ما أحببت أولجينو، وحاولت ألا تفوتني رحلة واحدة إليها.

ومع اقتراب الصيف، ازدادت الساحة جمالًا، وغدا البحر أكثر دفئًا، وسرعان ما بدأنا السباحة فيه.

وأنشأنا ممرًا إليه، وحفرنا فجوة للقفز، وثبتنا قضيبًا بين شجرتين، وإذا الأمر كما ترى... ملعب رياضي آخر، ولكن في الغابة، بالقرب من شاطئ البحر. لقد استؤنفت هذه الرحلات بعد الحرب، وهي مستمرة إلى الآن.



النجاح الأول

كنا نستعد لمباريات البطولة في مدرسة الرياضة، فمن الذي سيكون أسرع جريًا، وأعلى قفزًا، وأبعد رميًا؟ إنني في هذه المرة لن أتبارى مع زملاء في المدرسة الثانوية، وإنما مع رياضيين أكثر مرانًا.

ماذا تعلمت في المدرسة الرياضية؟ لا شيء تقريبًا، كما خطر لي، فإن الأشهر القليلة التي قضيتها هناك، لم تجعلني أقوى كثيرًا مما كنت، ومع اعترافي بأنني استطعت رمي الرمح أفضل من قبل، وإنني عرفت كيف أمسك به، وكيف أجري أولاً بضع خطوات، وكيف أقذف به، عرفت كل هذا، إلا أن حركاتي لم تكن بأي حالة صحيحة، لقد كان عليّ أن أقطع طريقًا طويلًا قبل أن أتقن فن الرمي بالرمح.

ولم يكن فيكتور إيليك يطالب تلاميذه أبدًا بأن يتقنوا دقائق الأصول الفنية للألعاب الرياضية منذ الوهلة الأولى، بل إنه لم يحاول أن يبصرنا بها، ولكنه كان عادة يقول بعد أن يعلم المبتدئ أبسط مبادئ التمرينات:

- هذا يكفي الآن... حاول أن تفعل هكذا!

وإنني لأتذكر تمامًا أحد هذه المبادئ التي كان يعتبرها شديدة الأهمية، وهي أن قذف الرمح في الهواء لا يكون بقوة الذراع فحسب،

وإنما بقوة الكتف والظهر والساقين.. بقوة الجسم كله، وكان دائماً يشجعني قائلاً:

- ارفعيه إلى أعلى يا جاليا.. إلى أعلى! انحني إلى الورااء بقوة أكثر عندما تقذفين الرمح، إذا أدت هذا وغيره من الحركات على الوجه الصحيح، فسوف تقذفينه بنجاح أكبر.

وكنت أتمرّن أيضاً بنوع مخصوص من الكرات، بكرة من الجلد محشوة تزن كيلو جراماً أصغر في الحجم قليلاً من كرة الفولي، وبمقبض، وكانت دوزيا جريجوريفا وفتيات أخريات كثيرات يتدربن معي على هذه اللعبة.

ومن أجل الاستعداد لمباريات الصيف المقبلة، راح كل رياضي شاب من جمعية زينيت يبذل بطبيعة الحال كل جهد ووقت في التدرّب على اللعبة التي سيشارك فيها، ولكننا لم ننس التمرينات الأخرى. فبرغم أنني كنت أتمرّن على رمي الرمح والكرة، إلا أنني في الوقت نفسه كنت أمارس رياضة الجري والقفز، وكان هذا شأن الآخرين، فالعداؤون والقفازون كانوا يمارسون رمي الرمح والكرة. إن تلاميذ ألكسييف كانوا يتمرنون بطريقة جماعية للفوز في أي نوع من المباريات.

وكانت مباريات البطولة ستقام في استاد زينيت، أي في المكان الذي يجري فيه تدريبنا، وقد بدأنا في إعداد الاستاد قبل الحفلة بيومين، فمهدنا الملعب، وخططناه، وحفرنا الفجوات للقفز العالي والطويل، وأعدنا الأوتاد لتسجيل نتائج الرماة، وجهزنا معدات الرياضة، بل أعدنا أيضاً أشرطة النهاية في كل مباراة.

وغسلت وكويت بزتي الرياضية، وفيما أنا أضبط شعار زينيت على قميصي، استدرت إلى أمي وقلت لها:

- إن حفلة رياضية ستقام في يوم الأحد... أنتحبن أن تشهدها؟

- وماذا بعد؟ كأنما لا يشغلني شيء إلا مشاهدة المبارين. وما جدوى الفرجة، ما لم يكن الإنسان رياضياً أولاً؟ عندما أصبح رياضية سوف أحضر.

وساءتني الإجابة، وازداد إحساسي بالاستياء وأنا أتذكر أن جميع آباء وأمّهات أصدقائي وصدقاتي قد قبلوا الدعوة لحضور الحفل الرياضي.

وكان الاستاد في يوم الأحد مزدحمًا بالعمال الشبان من المصانع المجاورة، وبالطلبة من كلية ليننجراد الميكانيكية، وبمئات آخرين. ورأيت فيكتور إيليك مع اثنين من الغرباء، فلما سألت عنهما قيل لي إنهما: سيميونوف وبوشمان، من لجنة التحكيم الرياضية العليا، وكانا قد دعيا للتحكيم في المباريات.

وقد سألت الأصدقاء قائلة:

- ولماذا يأتي إلينا محكمون من الدرجة الأولى؟

- من يدري؟ فربما سُجلت أرقام قياسية جديدة في الاتحاد السوفيتي اليوم، وهذه لا يمكن تسجيلها رسمياً إلا بحضور محكمين من الدرجة الأولى.

أرقام قياسية للاتحاد السوفيتي؟! أوجود حقاً بيننا أي صبيان أو

بنات يمكنهم ضرب الأرقام القياسية الحالية؟ لِمَ لا؟ لقد حدث مثل هذا من قبل، ثم ألم يبذل شباب زينيت جهدهم طوال الشتاء والربيع؟ وعزفت الموسيقى.. وسرنا برشاقة أمام منصة التحكيم، وارتفع العلم، معلناً افتتاح الحفل، وبدأ المتبارون كالمعتاد بسباق المسافات القصيرة في الجري، ومن المؤسف أن المطر بدأ يتساقط، ومن ثم وجد المتسابقون أن مشقة الجري على أرض موحلة، أشد منها على الأرض الجافة، وكان لهذا تأثيره في النتائج.

وهذا ما حدث على وجه التحديد. فعلى الرغم من أن نتائج عدائنا لم تكن سيئة، إلا أنها لم تضرب أي رقم قياسي.

وجاء بعد ذلك دور رمي الرمح للفتيات، وكانت الأوليات الفتيات الأصغر سنًا، وكنت مشاركة في هذه المجموعة، وفي حماسة البدء، قذفت بالرمح إلى أبعد من الخمسة والعشرين مترًا بعد المحاولة الثانية أو الثالثة. حسنًا، ولكن محاولة دوزيا كانت أقل قليلًا، وكان يعلن عن اسم الفائز في النهاية.

واشدد بي الانفعال وقررت أن أفوز. إن رميتي الثانية يجب أن تكون أفضل! وأخذت مسافة أطول في بدء الرمية، ووضعت كل قوتي في اللحظة الأخيرة، وقذفت الرمح بذراعي وكتفي وظهري، وبكل قوة في جسمي، تمامًا كما علمني فيكتور إيليك أن أفعل، ومرق الرمح في الهواء، وطره المعدني يومض، واستمر في طيرانه، وأخيرًا سقط... كم مترًا قطعها؟ هكذا تساءلت.

وأعلن المذيع في مكبر الصوت:

- سبعة وعشرون مترًا وأربعون سنتيمترًا. رقم قياسي جديد لمدينة ليننجراد لفتيات الخامسة عشرة والسادسة عشرة.

وهنأني أصدقائي وهتفوا لي مع المتفرجين، ولم تفز فتاة عليّ في ذلك اليوم، لا، ولا دوزيا. وهكذا أصبحت أحمل رقمًا قياسيًّا لمدينة ليننجراد، وبطلة في مدرستنا الرياضية.

وكذلك فزت في رمي الكرة، فقد طارت مسافة ٣٧ و ٣٨ مترًا، وكان هذا أيضًا رقمًا قياسيًّا للفتيات الصغيرات بمدينة ليننجراد.

وأحسست بالسعادة والزهو لهذا النجاح الأول، ولكنني لم ألبث، مع استمرار الحفل، أن وجدت أنه لن يكون هناك ما يدعوني إلى الزهو الشديد، فقد سجل كثيرون غيري ضروريًا من النجاح أعظم مني.

وكانت ناتاشا دياتلوفًا قد أجادت بصفة خاصة في اليوم الأول من المباريات، وسجلت عددًا كبيرًا من الأرقام القياسية الجديدة للفتيات الأكبر مني سنًّا، لقد رمت الجلة مسافة ٤٤ ، ٩ أمتار، وقذفت الرمح مسافة ٤٠ ، ٣٠ مترًا وهذا رقم قياسي جديد لمدينة ليننجراد، ثم سجلت رقمًا قياسيًّا جديدًا للاتحاد السوفييتي في رميها للكرة مسافة ٢٠ ، ٤١ مترًا.

وسجل الشبان أيضًا أرقامًا، فقد ضرب يورا شيرباكوف رقمه القياسي للاتحاد السوفييتي في رمي المطرقة، وسجل أوليج فيودوروف، وساشا جورشكوف، وبوريس ماتفييف أرقامًا قياسية جديدة لمدينة ليننجراد في رمي الرمح، والقرص، والجلة. وحسنًا فعلوا!

واستمرت المباريات في اليوم التالي، وتحسن الجو، وجفت

ساحة الجري، وساعد هذا العدائين في ضرب ثلاثة أرقام قياسية لمدينة ليننجراد، وكان أهمها الرقم القياسي الذي ضربته نونا مارسونا في سباق الخمسمائة متر، وكانت نونا تجري في سهولة وجمال، موزعة قواها بطريقة منطقية، وقطعت المسافة في دقيقة و٢٣ ثانية، ضاربة بذلك الرقم القديم بثلاث ثوان.

لقد سجل تلاميذ مدرستنا الرياضية في يومي المباريات ثلاثة عشر رقمًا قياسيًّا، عشرة منها لمدينة ليننجراد، وثلاثة للاتحاد السوفيتي. ومن ثم كان هناك ما يدعو للسعادة لتهنئة بعضنا بعضًا.

ومنحت، كغيري من الفائزين، شهادة من جمعية زينيت الرياضية، وأريتها لأمي التي أبت في أول الأمر أن تصدق أنها لي، أو أنني أصبحت حاملة لأحد الأرقام القياسية لمدينة ليننجراد، ووضعت نظارتها على عينيها، وفحصت الشهادة.. آه.. حقًّا إنها باسمي! وقد قالت عندئذ:

- شكراً يا ابنتي، لقد أسعدتني حقًّا. لقد ظننت أن هذا كله لن يجدي، ولكن هأنت تصبحين بين الممتازين.

وطوقتني بذراعيها، وقبلتني.

وكانت النتائج التي انتهى إليها الحفل الرياضي حديث المجتمع الرياضي كله بمدينة ليننجراد، وقد قيل وكتب عنها الشيء الكثير، وكان المثل الذي ضربته مدرستنا الرياضية قد بين للجميع أنه برغم مصاعب ما بعد الحرب، فإن في مقدور الإنسان -إذا أراد- أن يعد فرقًا رياضية للتدرب، وأن يظفر بألوان من النجاح الجديدة، وأن يسجل أرقامًا قياسية جديدة.

واستأنفنا التمرين بعد انتهاء الحفل . ولم يسمح فيكتور إيليك لأي منا أن يقنع بهذه النتائج، ففي مستهل موسم التدريب، بعد الحفل، راح يحلل بالتفصيل الأخطاء التي ارتكبتها، ولم يكن المنهزمون هم فقط الذين تعرضوا لنقده، وإنما الفائزون أيضًا. قال إنهم كذلك ارتكبوا أخطاء، وأنه كان من الممكن تسجيل بعض أرقام قياسية أحسن، ثم أعلن قائلاً:

- تذكروا أن هذه النتائج لا يمكن أن ترضينا. إن ما كان حسنًا أمس، ينبغي أن يكون أحسن غدًا.

وكان فيكتور إيليك مصيبًا بطبيعة الحال.

واستأنفنا التمرين. وأخذنا نتعلم إتقان أصول ألعابنا الرياضية. وسجل رياضيو جمعية زينيت مزيدًا من الأرقام القياسية في المباريات الجديدة، وفي الخريف نجحت في تحسين رقمي في رمي الرمح بأكثر من متر.



حصباء وخصن جاف

وانصرم فصل شتاء، لقد مر سريعاً، فكان عليّ أن أضع عيني على الساعة إذا أردت أن أجد وقتاً لكل شيء، ففي الصباح كنت أذهب إلى المدرسة، ثم أفرغ من واجباتي المدرسية، ثم أساعد أمي في الشؤون المنزلية، وفي المساء كنت أشارك في بعض أوجه النشاط الاجتماعي المدرسي، أو أذهب للتدريب الرياضي.

وأخذ حبي للرياضة يزداد يوماً بعد يوم، وفي نهاية الخريف توقفت عن التخصص في رياضة معينة واحدة، وكرس فيكتور إيليك كل جهوده لإعداد المبتدئين وتنمية لياقتهم الجسمانية، في ذلك الوقت أدركت الهدف من تكرار التمرينات عشرات المرات على كل هذه الألعاب: الجري والقفز والانزلاق ولعب الكرة الطائرة؛ فإن التمرين على هذا كله في الشتاء، يساعد على تسجيل أرقام جديدة في الصيف.

وأقبل الصيف مرة أخرى، وانتقلت إلى الفرقة الدراسية السابعة، وأصبحت العطلة المدرسية وشيكة، ومن ثم خطر لي أن أستأنف التمرين على قذف الرمح والكرة، وأكثر من هذا، قررت أن أتعلم كيف أرمي القرص، وأقذف بالجلة.

ولكن، ليس كل ما يتمنى المرء يدركه على كل حال، فقد أعلنت
أمي ذات يوم أنها قررت إرسالتي إلى عمتي في الريف، قائلة:

- يجب أن تزدادي قوة.

- ولكن... ليس هناك يا أماه شيء أفضل من الرياضة للحصول
على القوة... عجباً... إنها تساعد.

- سمعت هذا كله، ورأيت شهادتك... ولكن شرب اللبن لن
يضررك!

ولم يكن ثمة جدوى من المناقشة، فقد كنت أعلم تماماً أن هواء
الريف والطعام الجيد مما يرد عليّ كامل صحتي التي فقدتها بسبب
الجوع أثناء حصار ليننجراد، فأنا ما زلت نحيلة الجسم، شاحبة الوجه،
ولم تكن الحياة سهلة تماماً في الأعوام القليلة الأولى بعد الحرب؛
فالأطعمة كانت توزع بالبطاقات. نعم... لم يكن ثمة بأس في قضاء
الصيف بمزرعة عمتي الجماعية، ولكن... ماذا عن التمرين؟

ولم أدر ماذا أفعل، والتمست المشورة من فيكتور إيليك، فقال لي:

- اذهبي طبعاً... ولا تنسي أن تعودتي قوية سميئة.

- ولكن... ماذا عن التخصص؟

- يمكنك أن تستمري فيه، في الهواء الطلق... في الحقول
والغابات.

- ولكن لن يكون هناك أي ملعب رياضي أو مدرب.

- ليس هذا أهم شيء، ولكن المهم هو إرادة التمرين. حسناً...

لسوف أقدم إليك وصفة تضاف مع غذاء اللبن.

ثم تناول مفكرة جيبه، وكتب بضعة أسطر، ونزع الورقة، وسلمها لي قائلاً إنها «الوصفة»، وكانت كما يلي:

«يوم بعد يوم... ثلاثون حصباء... عشرون حجرًا... عشرون ورقة شجر... غصن جاف».

ولما قرأتها، لم أستطع أن أعرف لها رأسًا من ذيل.. وانفجر فيكتور إيليك ضاحكًا حين رأى الحيرة على وجهي، وقال شارحًا:

- يجب على رامي الرمح أن ينمي مجموعات معينة من العضلات، وليس رمي الرمح أو القرص هي الطريقة الوحيدة لها، فمن الممكن الحصول على النتيجة نفسها بقذف الحصى... وهذه موجودة بكثرة في الريف. اقدفي ثلاثين منها يومًا بعد يوم إلى أبعد ما تستطيعين.

- هذا واضح... وماذا عن الحجارة!

- إنك تفكرين في التمرين على رمي الجلة، وأن حجرًا قد يحل محلها... ما رأيك في هذا؟

- أعتقد أنك على صواب، ولكن ماذا أفعل بعشرين ورقة شجر؟

- يمكنك أن تختاري عشرين ورقة من أي نوع من الشجر، شجر الغرب أو التامول أو الزيزفون... المهم ألا تكون نامية على مسافة خفيضة جدًا من الأرض، وعليك أن تقفي تحت إحدى هذه الأشجار... ثم تقفزي لتتزعج ورقة. وهكذا، فإن القفز يقوي عضلات الساقين، وأنت تعلمين أن ساقى الرامي ينبغي أن تكونا قويتين.

- نعم.. أعرف، ولكن إتقان أصول اللعبة ضروري أيضاً! لقد قلت بنفسك إن التمرينات الخاصة ضرورية لرمي الرمح بطريقة صحيحة.

فابتسم فيكتور إيليك وقال:

- أوه! لقد نسيت الغصن الجاف، إن هذا الغصن هو الذي سيعلمك المبادئ الأولية لأصول اللعبة، وعندما تبدئين الرمية، يجب أن تفعلي هذا بسايقك، وهما أمام الرمح، وكأنما تحاولين الهرب منه.. افعلي هذا في الريف بغصن طويل بدلاً من الرمح.

- هل حقاً أستطيع أن أتعلم كيف أطوح ذراعي بقذف الغصن؟

- طبعاً تستطيعين.

- ولكن من الذي سيقوم أخطائي؟

- أنا بعد عودتك من الريف.. وفي خلال هذا دربي نفسك ولا تكسلي.. فالعمل لا يضيع أبداً.

وزالت مخاوفي، وشكرت ليفكتور إيليك نصيحته، وودعته وودعت أصدقائي، وقد حاولوا، كالمعتاد، أن يصافحوني بقوة ولمدة طويلة.. بل إن بعضهم صافحني مرتين.

وكانت مزرعة عمتي الجماعية في مقاطعة نوثر جفسكي بإقليم بسكوف. وكانت القرية مكاناً رائعاً ذات اسم لطيف «دبروكا» ومعناها «الشفوق»، وهو اسم على مسمى، فقد تمتعت فيها بالشفقة والعطف.

وتقع دبروكا على منحدر تل، تحيط بها المزارع الخصيبة، وفي أسفل، عند نهاية منخفض عميق، كان ثمة نهر هادي صاف يجري.

وكانت ضفافه الرملية الناعمة زاخرة بالحصى المستدير الأملس، أي من النوع المطلوب.

وكنت عادة أصحو مبكرًا، في نحو السادسة صباحًا، وبعد أن أرطدي ثوبًا للخروج، أهرع إلى النهر حيث يكون الهواء في ذلك الوقت من الصباح منعشًا، والضباب يرتفع فوق النهر، وكنت أجري وأقفز على الشاطئ الرملي، ثم أتراخي مستريحة، ثم أغوص في الماء. فإذا عدت إلى البيت، تكون عمتي قد فرغت من حلب البقرة، وكان مذاق اللبن فوق ما يخطر على البال! فلا عجب أن كنت أشرب منه عددًا من الأقداح، الواحد بعد الآخر، وأكل خبزًا من الشيلم المقدم اللذيذ.

وبعد الإفطار كنت أمضي للعمل في حديقة المطبخ، وكنت على الرغم أنني من سكان المدن، أعرف كيف أجتز العشب، لقد تعلمت هذا منذ ثلاث سنوات عندما كنت أذهب مع «الرواد الصغار» للمساعدة في المزارع الجماعية بالضواحي.

وهنا، في حديقة المطبخ، كنت أقرن العمل بالتمرين (وكنت أقوم بهذا الأخير) حسب تعليمات فيكتور إيليك. وكانت حديقة مطبخنا مفصولة عن حديقة مطبخ جارنا بممر تعودت أن أتخذ منه نقطة بدء للجري والغصن الجاف في يدي. وكانت متعة حقًا أن أجري قليلًا بعد أن أعمل في حديقة المطبخ.

وكنت في المساء أعود إلى النهر ومعني أولاد عمتي في هذه المرة، وهناك كنا دائمًا نلتقي بالكثير من الشبان والفتيات.

وكانوا في أول الأمر يدهشون حين يرون فتاة حضرية تقذف

بالحصى عبر النهر، ولكن بعضهم حاول طبعًا، بعد ذلك أن يباريني في القذف، ولكنهم، برغم كل محاولاتهم، لم يستطيعوا مسيرتي، وبدا لي أن كبرياءهم أهضمت، فراحوا يؤكدون لي أن شابًا يُدعى بتكان، وهو تلميذ بمدرسة صناعية، يستطيع أن يفوز عليّ فوزًا ساحقًا.

وسرعان ما جاء بتكان إلى المزرعة في إجازة، ثم أقبل إلى الشاطئ، وكان شابًا طويلًا يقضي معظم وقته في إصلاح وضع قبعته الرسمية على رأسه، وكان عليها شعار المطرقتين المتقاطعتين، ولما حذره زملاؤه قائلين إنه سيجدني منافسًا خطيرًا، انتقى حصواته بعناية.. ولكنني مع هذا فزت عليه.

ولم يستطع أصدقائي الجدد ببساطة، أن يفهموا لماذا لا ألقى أقل من ثلاثين حصاة في كل مرة، وكانوا يقولون:
- كفى يا جاليا.. لقد تعبنا.. هلم نسبح.

ولكنني كنت أستمع في التمرين. وكان من السهل قذف الحصوات العشر الأولى، ولكن بعد العشر الثانية، كان يسري الألم في كتفي وذراعي، وكنت أتغلب على التعب وأستمع في قذف الحصى.

إن قذف ثلاثين حصاة وعشرين حجرًا، والقفز لانتزاع عشرين ورقة شجر، يضاف إلى هذا التمرين في الصباح بغصن جاف، لم يكن بالبرنامج السهل. إلا أنني، مع مرور الوقت، تعودت عليه، كما تعودت على تمرين نفسي بنفسي.

وسرعان ما أتاحت لي فرصة أخرى لتقوية نفسي بدنيًا، لقد قررت

أن أمارس القراءة بعض الشيء، وكانت ثمة مكتبة عامة في قرية مجاورة تبعد خمسة كيلومترات، وفي كل يوم والآخر كنت أذهب إليها فأقطع خمسة كيلومترات ذهابًا، ومثلها إيابًا، ولم أكن أجري الطريق بطوله، طبعًا، وإنما أجري قليلًا، ثم أمشي، ثم أجري مرة أخرى. ولم يكن الطريق -لحسن الحظ- ممهدًا أو مرصوفًا، وإنما كانت تتخلله حفرات أقفز فوقها ومرتفعات أتسلقها، وألواح كمعابر على النهر أو وزن نفسي فوقها، أي كانت رحلتي في سبيل الكتب كالسباق عبر المنطقة.

وراح الصيف يمرق بسرعة، وكنت أستمتع بالحياة في دبروكا، وأزداد قوة طوال الوقت.

وأخذ صبيان القرية وبناتها يهتمون تدريجيًا بتمريناتي، فإذا هم ينضمون إليّ عندما أبدأ في قذف الحصى، وقد تحديتهم مرة في مباراة للقفز الطويل، وقبل عدد كبير منهم التحدي، ولكن سرعان ما تبين لي أنهم لا يعرفون شيئًا عن هذه الرياضة، فعلمتهم كيف يبدؤون، ومتى يقفزون، وبعد هذا بدأ التحسن على بعضهم.

ولما تعلم كثير منهم كيف يقفزون من دون حركة البدء، علمتهم بقية الدقائق الفنية لهذه الرياضة، وقد وجدوها ممتعة. ولم أعد بعد ذلك أتمرن بمفردي؛ فهناك على ضفة النهر بالقرية، كونت فريقًا رياضيًا حقيقيًا.

وعدا التمرين كنا نلعب اللابتا كل مساء، ذلك لأنه كان هناك الكثيرون الذين يحبون هذه اللعبة.

ولكن، أيًا كانت متعة حياتي في قرية دبروكا، فقد كنت لا أكف عن

التفكير في المدرسة الرياضية، ترى ماذا يجري في استادها؟ والرحلات إلى أولجينو؟ ترى هل تقدمت دوزيا في رمي الرمح، ويورا في رمي المطرقة.

وفي ذات يوم وأنا في مكتبة القرية، رأيت نسخة من مجلة «الرياضة السوفيتية» الدورية، وأعلنت إحدى المقالات عن قرب موعد الحفل الرياضي لبطولة الناشئين في الاتحاد السوفيتي في إقليم فورونيز. هذا على حين أقيم أنا في دبروكا؟ فلو أنني كنت في ليننجراد، لأمكن إرسالني للاشتراك في الحفل، وأحسست في ذلك المساء بهبوط في روعي المعنوية شديد، وقد بلغ هذا الإحساس حدًا جعلني أنسى أوراق الشجر العشرين، ولا أنكر أنني قمت بجميع التمرينات في اليوم التالي، ولكن أبناء عمتي لاحظوا أنني ملولة قلقة، فسألوني ماذا بي، وكان عليّ أن أخبرهم.

وقال ابن عمي الكبير:

- ألم يكن من المحتمل ألا يرسلوك إلى فورونيز؟

وأضاف الأصغر قائلاً:

- وكأنما لا يوجد في ليننجراد ما يكفي من الرياضيين غيرك؟

حقاً.. لماذا كان عليهم أن يرسلوني؟ لا... ليس ثمة ما يدعو إلى هذا القلق. الأفضل أن أذهب إلى النهر، وفيما أنا أغادر البيت، التقيت بموزع البريد، وقال لي:

- دعينا نراك ترقصين يا ابنة ليننجراد.

- أئمة خطاب لي؟

- لا إنها برقية.... ولأنها برقية ينبغي أن ترقصي مرتين!

ولما فضضت البرقية، رقصت حقًا، ذلك لأنها كانت كما يلي:

«عودي بسرعة إلى ليننجراد، ستشتركين في بطولات الاتحاد السوفيتي. الأم موافقة. ألكسييف».

وغادرت دبروكا في اليوم التالي، وكان هذا في أواخر شهر يوليو، وكنت قد أمضيت هناك شهرًا ونصف شهر فقط بدلًا من شهرين. ولكنني غدوت أحسن صحة وقوة.

وقد ابتهج كل من فيكتور إيليك وأمي حين رأياني أعود ملوحة البشرة بضوء الشمس موردة الخدين بجسم أكثر امتلاء.

ولم يكن أمامي في ليننجراد غير فترتين للتمرين فقط. ولكن رمحي كان أبعد طيرانًا، وكان قذفي للجلة لا بأس به، وقد فوجئت تمامًا حين تبينت أنني لست أسوأ حالًا من غيري في رمي القرص.

وقال فيكتور إيليك ضاحكًا:

- أرأيت ما فعل بك الغصن الجاف والحصى والحجارة وأوراق الشجر، وتقولين أيضًا إنك قمت بسباق عبر المنطقة وممارسة القفز الطويل؟ حسنًا يا فتاتي... يمكنك أن تري الآن نتائج هذا كله أيضًا.

وقوم فيكتور إيليك بعض أخطائي، وزودني بالنصائح المفيدة الخاصة بالمباريات البطولية المقبلة.

وكان بين الثلاثين شابًا وفتاة من الرياضيين في ليننجراد الذين ذهبوا إلى فورونيز، سبعة من تلاميذ مدرستنا الرياضية.

أبعد من كل إنسان

ومرة أخرى يبرز السؤال القديم نفسه: من الذي سيكون أسرع جريًا، وأعلى قفزًا، وأبعد رميًا؟ في هذه المرة فقط، كان هذا السؤال في نفوس الرياضيين الناشئين جميعهم من جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي، الذين اجتمعوا في فورونيز للاشتراك في مباريات البطولة للناشئين.

ووصل فريق ليننجراد إلى فورونيز قبل موعد الحفل بثلاثة أيام، وقد عُقدت أواخر الصداقة في عنابر النوم وفي ملاعب التمرين مع صبيان وفتيات من موسكو وكيف ومنسك ومن الجمهورية القوقازية، وقررت الاشتراك في ثلاث ألعاب: رمي الرمح، والقرص، والجملة.. وبمراقبتي لمنافسي أثناء التمرين أدركت أنه من اليسير أن أتنبأ بالفائزين؛ وذلك لأن الرياضي لا يكشف أبدًا عن حقيقة قوته أثناء الممران.

واعتبرت زويا كورنييفا، إحدى زميلاتي في مدرسة زينيت الرياضية أخطر المنافسين لي، وكنا نتمرن معًا، وشعرنا بالأسف لأن ناتاشا دياتلوا لم تكن معنا، فقد كانت كفيلة، في الواقع بمساعدة الفريق، ولكن ناتاشا بدأت في ذلك الموسم مرحلتها الرياضية بين الكبار.

وكان المتبارون متحمسين منذ اللحظة الأولى، لا لمجرد الانتصارات الشخصية فحسب، وإنما لإحراز النصر للفريق كله أيضًا. ففي سباق المائة متر كانت المباراة عنيفة بين ناديا جيراسيوسا من موسكو وبين زميلاتنا من لاتفيا، وفازت الأولى وأعلن المذيع في مكبر الصوت أن الفائزة عضو في «الكومسومول» -مجلس رعاية الشباب- وأنها فرغت لتوها من المرحلة الدراسية فائزة بالميدالية الذهبية. أما أنا فلم أكن غير عضو في جمعية «الرواد الصغار»، ولم أظفر إلا بدرجات متوسطة في التاريخ.

وكان أول ظهوري في المباريات على البطولة، في مباراة رمي الرمح، وكان أخطر المنافسين لي هما زوبا، وشونا أزدوفا التركمانية ذات الأربعة عشر ربيعًا، وكانت تلك الفتاة القوية الطويلة تبدو أكبر مني سنًا بكثير، وأبرع في الرمي من غيرها، لقد قذفت بالرمح مسافة ٣٢, ٠٤ مترًا وفازت ببطولة الاتحاد السوفيتي، وفازت زوبا بالمركز الثاني، وأنا بالمركز الثالث، وكنت سعيدة بهذا لأنه لم يكن من السهل الفوز بالبطولة في تلك المباريات العامة الشاملة، وكان عليّ لكي أفوز بالمركز الثالث أن أقذف بالرمح مسافة ٢٠, ٣٠ مترًا؛ أي بزيادة مترين عن الرقم الذي أحرزته في العام السابق.

وسررت أيضًا بما أحرزت في مباراة رمي الجلة، فقد رميتها مسافة ٨, ٦٠ أمتار وأحرزت المركز الرابع، وكانت تانياشير موتسكايا من موسكو هي الأولى، وزويا كورنيفيا الثانية مرة أخرى.

وأناحت مباراة رمي القرص فرصة أخرى لفوز الفتاة التركمانية،

لقد قذفت بها أزدوفا مسافة ٤٧, ٣٠ مترًا، وفازت ببطولة الاتحاد السوفيتي، وكنت السادسة؛ لأن رميتي لم تتجاوز حد الخمسة والعشرين مترًا بقليل. وكانت هذه أيضًا نتيجة لا بأس بها، إذا اعتبرنا أنني لم أبدأ التمرين على رمي القرص إلا منذ عهد قريب.

ومما خيب الأمل أن فريق ليننجراد لم يبرز في ذلك الحفل، إذ جاء ترتيبه الرابع فقط بعد موسكو ولاتفيا وجمهورية جنوب روسيا السوفيتية، وبدا في وضوح أن علينا بذل المزيد من الجهد استعدادًا لمباريات البطولة التالية.

وبدأت الدراسة فور عودتي إلى ليننجراد، وكنت عند ذاك في الفرقة السابعة -السابعة فقط- برغم أنني كنت في السادسة عشرة، ولكن هذه لم تكن غلطتي، فقد كان عليّ -كالكثيرين من الأطفال غيري في ليننجراد- أن أنقطع عن دراستي عامين بسبب الحصار.

وكنت مصممة على أن أجيد الاستذكار، وأن أجدّ في دروسي، وكان كل درس يزودني بمتعة جديدة، وكانت العلوم الرياضية أثيرة لديّ؛ لقد أحببت مسائل الجبر العويصة على حين كان رسم النظريات الهندسية المعقدة من المباهج دائمًا، وكان التفكير يراودني بصفة دائمة عن المرحلة الدراسية التالية بعد انتهائي من الفرقة السابعة، كنت أفكر في الانضمام إلى كلية ليننجراد الميكانيكية، فقد كان الكثيرون من رياضيي جمعية زينيت يدرسون بها، وقد وجدوها ممتعة، وعندئذ يمكن للإنسان أن يتخصص في علم ما بامتياز، علم تصميم الأجهزة البصرية مثلًا.

وبدأت الدراسة في وقت واحد بالمدرسة، وبمدرسة الرياضة البدنية. وكان الطقس في شهر سبتمبر من ذلك العام جميلاً مشمساً، وقد أحرزت عددًا من الانتصارات في مختلف الألعاب والمباريات.

وأخذت أتمرّن بحماس على رمي الرمح، وكان فيكتور قد نصّحني بأن أزيد من قوة الجري في بدء الرمية، وأن أعدّل الزاوية التي أذف بها الرمح.

وأقامت مدرستنا الرياضية في ذات يوم أحد، حفلها الرياضي لبطولات الخريف، وأسعدتني النتائج التي حصلت عليها، لقد استطعت قذف الرمح مسافة ٣٩, ٣٢ مترًا، وكان هذا أول رقم قياسي لي في الاتحاد السوفييتي كله، فلم يسبق أبدًا أن قذفت فتاة في مثل سني الرمح إلى مثل هذه المسافة، لا زويا كورنييفا ولا بطلة الاتحاد السوفييتي شونا آزادوفا، ولا أحد إطلاقًا، لقد أصبحت الآن حاملة رقم قياسي، ولكن من الممكن أن يضرب هذا الرقم ويحطمه منافس آخر؛ فمثلًا كان في مقدور زويا أن تقذف الرمح مسافة سنتيمتر أكثر لتتزع الرقم مني. ولم يكن يهمني لو أنها هي التي تتزعه. ولكن كيف يكون الحال لو أن الرقم القياسي انتقل إلى مدينة أخرى؟ لا... إنني لا أستطيع أن أدعه يفلت من أصابعنا، ولكي أمنع هذا، قررت أن أستمر في التحسن للاحتفاظ به.

وكنت في موسم المران أنصت باهتمام إلى كل كلمة من تعليمات فيكتور إيليك، وتحت إشرافه أيضًا كنت أتمرّن على رمي القرص وقذف الجلة.

وأقيمت حفلة عامة للبطولة في ملعب دينامو في العشرين من شهر

سبتمبر، وكانت المدرجات مزدحمة بتلاميذ المدارس الذين جاءوا ليشاهدوا زملاءهم يتنافسون على البطولات في كل الألعاب الرياضية. وكانت المفاجأة - حتى بالنسبة لي - أنني سجلت رقمًا قياسيًا جديدًا في الاتحاد السوفييتي في تلك الدورة، إذ قذفت القرص مسافة ٢٧, ٣٢ مترًا، وكان الرقم القياسي القديم قد سجل بزمان طويل قبل الحرب على يد تانيا سفيريوكوف، وهي تلميذة من طشقند، أصبحت فيما بعد واحدة من أروع الرياضيين السوفييت، وحاملة الرقم القياسي العالمي في رمي الجلة.

وكنت قبل أسبوع قد سجلت أول رقم قياسي في الاتحاد السوفييتي، وقد هنأني عليه زملائي وأساتذتي في المدرسة، وها هم أولاء الآن يكررون لي التهنة.

وقالت لي جالينا نيقولاينا مدرسة الألعاب الرياضية وهي تصافحي:

- شكرًا يا جالينا، إن مدرستنا الـ ١١٦ للبنات تحمل الآن رقمين قياسيين في الاتحاد السوفييتي.. فإن أرقامك هي أرقامنا أيضًا.. أليس كذلك؟

طبعًا كانت كذلك.. فقد كنت أولًا وأخيرًا تلميذة بالمدرسة وعضوًا بفريقها الرياضي، وفي هذه المدرسة نفسها بدأت أتعلم الرياضة البدنية، ومنها نفسها أرسلت إلى فيكتور إيليك.

وسرعان ما اشتركت في دورة رياضية أخرى في ملعب دينامو أيضًا، ولكن المباريات على البطولة في هذه المرة كانت بين جميع

الرياضيين الناشئين في مدارس ليننجراد الرياضية.

وكما حدث في المباريات السابقة جميعها في ذلك الموسم، كانت زويا كورنييفا من أخطر المنافسين لي، لا سيما في لعبة رمي الرمح، وكانت مجهوداتها الأولى جيدة جدًا، ولكنني لم أكن مستعدة أن أتخلى عن رقمي، وفي إحدى محاولاتي الأخيرة استطعت أن أقذف بالرمح مسافة ٥٤, ٣٥ مترًا محطمة بذلك رقمي القياسي الذي كان يزيد قليلاً على ٣٢ مترًا، وفي اليوم التالي حطمت رقمي القياسي في رمي القرص بزيادة ثلاثة أمتار أيضًا.

ومرة أخرى تلقيت التهاني والتهاتف، ولكن كان ثمة شخص واحد لم يكن شديد الحماس لنجاحي.. ذلك هو فيكتور إيليك، بل لقد كان ينظر إليّ في غير رضى، ولم أعرف السبب إلا فيما بعد.

كان لفيكتور الحق كله في عدم رضائه عني، ذلك أن فوزي الأخير هو الذي كشف عن ضعفي، فإن رياضة قذف الرمح والقرص من أشد الرياضات صعوبة وتعقيدًا وشدة، وكان المعروف بأنه حتى أبرع الرياضيين وأقواهم لم يكن في استطاعتهم تحسين نتائجهم إلا بسنتيمترات قليلة في كل مرة، وعلى الأكثر بعشرة سنتيمترات أو نحو ذلك، ولكن هأنذا قد تجاوزت رقمي القديم بثلاثة أمتار، وبعد مثل هذه الفترة القصيرة أيضًا؛ إذن كم عدد الأخطاء التي لا شك في أنني ارتكبتها في المرات السابقة؟ وهل يمكن ألا أرتكب هذه الأخطاء مرة أخرى؟ طبعًا يمكن، ولكي أتجنبها في المستقبل، كان عليّ أن أدرس وأتقن دقائق فن رمي الرمح.

كان هذا في مضمونه ما دار بذهن مدربي، ولكنه لم يخبرني به كله،
وإنما قال فقط:

- لسوف تتمرنين في الشتاء، وحتى في أيام الآحاد.

وكانت تلك أحسن جائزة يمكن أن تخطر ببالي؛ فقد كانت
التمرينات التي تُجرى أيام الآحاد في مدرسة زينيت شتاء، مخصصة
غالبًا لمعاونة الرياضيين الممتازين على المزيد من الإتقان والبراعة.
وكان خريف عام ١٩٤٧م مسرحًا لأحداث ضخمة سعيدة.. ولكن
لم تكن كلها ذات علاقة بالرياضة.



عضو في الكومسومول

إنني أذكر تمامًا أول مؤتمر «للرواد الصغار» في العام المدرسي. لقد جاءت فتياتنا في ملابسهن الرسمية الجيدة الكي... بالبلوزات والكرافتات الحمراء، والشرايط الملونة في شعورهن، وانتظمت الطوابير، وأخذت كل واحدة تقدم تقريرها لرئيس «الرواد الصغار» وكانت ثمة مسائل كثيرة تستلزم المناقشة والاتفاق عدا انتخاب مجلس إدارة جديد.

وكان التقرير الأول مقدمًا من لاريزا أندرييفا، رئيسة المجلس التي انتهت مدتها.

وبعد مناقشة تقريرها، انتقدها «الرواد الصغار» وعرضوا الاقتراحات التالية:

«يجب أن نتابع في حرص مدى تقدم تلاميذ المدرسة ونساعد المتخلفين في الدروس».

«يجب العمل على ظهور مجلة الحائط بانتظام».

«يجب أن نجعل اجتماعات «الرواد الصغار» بهجة مسلية».

«إن حصص الرياضة البدنية غير كافية، يجب إعداد فرق رياضية قوية لمدرستنا».

«يجب أن نذهب إلى دور السينما والمسارح معاً مرات أكثر، وأن نعقد الاجتماعات لمناقشة الكتب الجديدة».

وقدم «الرواد الصغار» عندئذ أسماء المرشحين الجدد لمجلس الإدارة، وكان اسمي بينهم، وقد أصبحت عضواً بالمجلس، ثم رئيسة له.

وكان ذلك تكريماً كبيراً، ولكن مسؤولياته كانت كبيرة، ولم أدر في أول الأمر كيف أقوم بواجباتي.

ولكن وقع عندئذ حادث ضخم آخر في حياتي، ذلك أنه سمح لي بالانضمام إلى مجلس منظمة رعاية الشباب «الكومسومول». وقد أعانني هذا على تصحيح الأوضاع في مجلس «الرواد الصغار».

وقد قالت لي تانيا جيلينا سكرتيرة لجنة الكومسومول بالمدرسة:

«إن أهم عمل مخصص لك في الكومسومول هو العمل في مجلس صغار الرواد، ولسوف نطالبك بالكثير، ولكننا في الوقت نفسه سنساعدك، وإن مساعديك المهمين سيكونون من الكومسومول».

وإلى هذه المساعدة يرجع الفضل في الحصول على متطوعين من التلاميذ الممتازين لمساعدة زملائهم المتخلفين، وفي انتظام ظهور مجلة الحائط الجميلة، وفي تكوين جماعات من جميع أقسام «الرواد الصغار» للذهاب معاً إلى السينما والمسرح.

واهتم «الرواد الصغار» أيضاً بالرياضة، فقد كان الكثير من التلميذات يرين أن حصص الرياضة البدنية غير كافية، وهكذا بدأنا نخرج كثيراً لممارسة رياضة الانزلاق، وأعدنا في كل فصل مدرسي فريقاً للعبة الكرة الطائرة.

وكان أحسن اللاعبين في هذه الفرق يختارون للعب مع فريق المدرسة العام الذي انتخبت رئيسة له، ولم يكن لدينا مدرب خاص، فوقعت على عاتقي مهمة الرئاسة والتدريب.

وكان الفريق المدرسي يتخلف بعد الدراسة مرتين في الأسبوع للتمرين، وقد حاولنا أن نتقن كل دقائق اللعبة، وأن نمارس عمليات الدفاع، ونفطن إلى الحركات الخادعة، وأن نتقن أحسن التميريات المفاجئة، وكانت لاريزا أندرييفا ولوسياجو ركيبا بارعتين في هذا بوجه خاص، وكنت أيضاً معتبرة من اللاعبات البارعات، وعلى الجملة كان الفريق لا بأس به، ولكننا كنا أيضاً نعلم أن للمدرسة رقم ١٠٤ بحيّنا فريقاً قوياً، فكيف يكون الحال لو فاز في الدوري العام، لا! بل يجب أن نتصر عليه.

ولكي نجعل التمرين أكثر بهجة وأجدي نفعاً، أخذنا ندعو فريق الكرة الطائرة للصبيان من مدرسة قريبة ليلعب معنا، وقد علمنا رئيس الفريق ثولوديا لابوزكو وبقية اللاعبين كثيراً من دقائق اللعبة، وساعدونا على تحسين دفاعنا وجمال تمريراتنا. وقد لعبنا معاً مباريات كثيرة للتمرين، ورغم أن الصبيان كانوا ينتصرون علينا، إلا أننا لم نشعر أبداً بالفشل، وأكثر من هذا علمونا كيف نلعب مع فريق أقوى منا، وكيف

نستغل كل طاقاتنا إلى أقصى حد.

وأصبح فريقنا مستعدًا للدورة الرياضية، وأخذنا نفوز في المباراة واحدة بعد الأخرى، ووصلنا بسهولة إلى الدور النهائي الذي كما كنا نتوقع كان علينا فيه أن نباري فريق المدرسة رقم ١٠٤، وأقيمت المباراة الأخيرة في ملعبنا الذي ازدحم تمامًا. لقد جاء عدد كبير من المتفرجين، ومنهم مدرسوننا؛ ليشاهدوا المباراة.

وقلت لفريقي:

- تذكرن يا بنات تدرجاتنا وطريقتنا الخاصة. مررن فقط إلى اللاتي في المراكز المناسبة، وهاجمن بقدر ما تسمح الفرصة.

وكانت المعركة عنيفة، وجاءت لحظات كان الفريق المنافس فيها يسبقنا كثيرًا، ولكننا فزنا في المباراة وظفرنا ببطولة المنطقة.

وكان العمل في جماعة «الرواد الصغار» يستغرق مني وقتًا طويلًا. كان عليّ أن أراس اجتماعات المجلس، وأن أراجع أعمال مجلس الفرقة، وأن أنفذ تعليمات رئيس الجماعة، وفوق هذا كله كنت عضوًا في هيئة تحرير مجلة الحائط، كما كنت عضوًا في فريق الكرة الطائرة بالمدرسة، وقد استطعت بطريقة ما، أن أقوم بكل واجباتي، وبطبيعة الحال لم يكن من الميسور أن يكتب لي النجاح في كل هذا معًا، ومن ثم فكثيرًا ما تعرضت للنقد بين الحين والآخر.

وعدا هذا كله، كان عليّ أن أتمرن ثلاث مرات في الأسبوع بالمدرسة الرياضية وليس مرتين كما كان الحال من قبل؛ كان النشاط

الاجتماعي مهمًا، وكان عليّ أيضًا أن أعمل على الإجابة في الألعاب الرياضية، ولكن المهمة الأساسية كانت إجادة الاستذكار؛ ذلك أن المدرسين كانوا شديدي الاهتمام بتلاميذ الفرقة السابعة.

كيف يمكن أن أجد وقتًا لكل هذا؟ كيف يمكنني أن أقوم بكل هذا؟ كيف يمكننا أن نتصر في مباراة الكرة الطائرة دون الحصول على درجات ضعيفة في الإملاء؟

كانت الإجابة الواضحة هي أن أحسن توزيع وقتي، وأن ألتزم جدولًا للمواعيد، ولكن هذا، على كل حال، لم يكن يكفي من دون المساعدة التي كنت أتلقتها من الآخرين، سواء في دراستي أو في عملي، فمن دون هذه المساعدة ما كنت أعرف كيف يمكن القيام بكل هذا.

وكانت زميلاتي في الفرقة تساعدني في استذكار الدروس، وكانت زميلاتي في مجلس إدارة «الرواد الصغار» تساعدني في القيام بالعمل في هذه الجمعية، وكانت لجنة الكومسومول تتابع عن كثب أعمالنا، وتقوم أخطاءنا، وتقدم لنا النصيحة فيما ينبغي أن نفعل إذا استبدت بنا الحيرة في شيء ما، وكنت دائمًا أعرف أن في مقدوري التماس المساعدة من مدرساتي أيضًا.

وكان هذا الجو الودود نفسه سائدًا في المدرسة الرياضية أيضًا، فقد كان كل من الصبيان والبنات يساعدوني في إتقان أصول لعبة الرمي بالرمح، وفي تقوية نفسي بدنيًا.

وكان فيكتور إيليك يسألني بين الحين والآخر:

- كيف حالك في المدرسة؟ ما الدرجات التي حصلت عليها في
الدروس أخيراً؟

وكان أيضاً مهتماً بفريقنا المدرسي في لعبة الكرة الطائرة. وكان هو
الذي نصحننا بالمران مع فريق الصبيان.

ولكن الأشياء لا تمضي هكذا ببساطة، ففي بعض الأحيان
كانت الأمور تتعقد... تتعقد بشدة. ولكني كنت أعرف أن أعضاء
الكومسومول لا يهابون المصاعب. ولشد ما كانت بهجتنا عندما نتغلب
على بعض المصاعب، وننجح في تحقيق الهدف.

ولكن الذي أبهجنني حقاً هو أن إدراكي بأن نجاحي في العمل
الأساسي الذي كلفت به من الكومسومول، وفي عملي بجماعة
«الرواد الصغار» كانا السبب في حصولي على شهادة الشرف من لجنة
الكومسومول بالمنطقة، وكانت هذه الشهادة هي الجائزة الممتازة على
هذه الأعمال كلها.



أيام الأاحاد في الشتاء

كنت في الشتاء أنتظر بفارغ الصبر عطلة نهاية الأسبوع، فقد كنت طوال الأسبوع لا أضيع ساعة سدى، وكنت أحقق الكثير من المهام المنوطة بي. وكنت أحياناً أشعر بالتعب... بأشد التعب، ولكن ما أجمل أن أطوي كراسة الواجبات، وأضع الكتب المدرسية جانباً، وأنزع ورقة يوم السبت من التقويم.

إن الألعاب الرياضية لون من الترفيه الرائع للجسم، وكانت التمرينات في أيام الأاحاد ممتعة بوجه خاص؛ ذلك لأنه كان مسموحاً لي في تلك الأيام بالتمرين مع أروع رياضيي جمعية زينيت.

وكنت أتناول طعام غدائي في ساعة مبكرة أيام الأاحاد؛ لأن التمرينات كانت تبدأ في الساعة الثانية بعد الظهر، وكنت أستقل الترام الذي كان يحملني من حي ثوبورج ويجتاز محطة فنلندا، والتمثال البرونزي الذي يمثله وهو يلقي خطاباً من سيارة مصفحة، ثم شارع كومسومول حيث يقيم فيكتور إيليك وكثير من رياضيي جمعية زينيت، وكان من المؤكد أنهم يستقلون الترام من أقرب محطة: فيكتور إيليك، ونونا مارسونا، وساشا جورشكوف وزويا كورنييفا، وشيرباكوف،

وكرابروف وغيرهم. وكان من الطبيعي جداً أن يقيم عدد كبير من أعضاء جمعية زينيت الرياضية في شارع كومسومول. لقد كان أول تلاميذ فيكتور إيليك هم أبناء جيرانه.

كانوا جميعاً يحتشدون في الترام الذي يصبح مسرحاً للصخب والابتهاج، وسرعان ما تنطلق الفكاهات والضحكات، وأحياناً الأغنيات، وكان علينا أن نقطع طريقاً طويلاً؛ لأن ملاعب جمعية زينيت كانت تقع بالحي الصناعي في مشارف المدينة، وكان عدد كبير من المشتغلين في المصانع والشركات بالمنطقة من المترددين على مدرسة الرياضة البدنية.

وكان عدد آخر من طلبة المدرسة ينضمون إلينا في نهاية الخط، فمضي معاً في مرح عبر الاستاد المكسو بالجليد إلى الملعب المسقوف «الجمنازيوم».

وكان عدد الرياضيين في أيام الأحاد يبلغ نحو ثلاثين رياضياً، وجميعهم ممن أحرزوا انتصارات كثيرة ضخمة، وجميعهم ممن قررا نوع الرياضة التي سيتخصص كل منهم فيها، ولم تكن جميعاً متساوين في الأعمار، فقد كان بعضنا في الخامسة عشرة والسادسة عشرة، مثلي، وكان ثمة آخرون أكبر سنّاً بكثير، فمثلاً كان كل من يورا لوكيانوف، وإيفجينى لانوفسكي، وفكتور لوفليف، قد اشترك في الحرب، ونال الترقية والأوسمة، وبعد تسريحهم من الخدمة العسكرية، عادوا إلى مدرسة فيكتور إيليك، ولما كانوا رياضيين مدربين فعلاً، فإنهم لم يكونوا في حاجة إلا للمزيد من الإثقان، وكانوا يتعلمون من فيكتور

إليك، ويساعدونه في تعليم الغير.

وكانت اجتماعاتنا للتمرين أيام الأحاد، كالاتتماعات المعتادة، تبدأ بتمرينات مرونة الجسم، ثم ننقسم عادة إلى مجموعات، حيث نتمرن على الألعاب التي تخصصنا فيها، وكان فيكتور إيليك ينتقل من مجموعة إلى أخرى، يرشدنا، ويراقبنا، ويقومنا، ويبين لنا كيف نحسن الأداء، وكان يساعده في هذا الرياضيون الأكثر مراناً الموجودون في كل مجموعة.

وكنت أتمرن في مجموعة الرماة مع ناتاشا دياتلوففا، وزويا كورنييفا، وساشا جورشكوف وتينا إجناتيفا ويورا شيرباكوف، وبوريس ماتفييف، وكنا نتمرن بالرمح، والقرص، والجللة، والكرة، ولكن تمريناتنا كانت تتركز عادة في اللعبة التي تخصص فيها كل منا، وكنت أتمرن أنا على الرمي بالرمح والقرص.

وكنت عندئذ قد أتقنت فقط المبادئ الأساسية لأصول رياضة الرمي بالرمح والقرص، وكان الوقت قد حان لأدرس هذه الأصول الفنية بالتفصيل، التفصيل الذي ربما لم أكن لأفهمه في بادئ الأمر.

إن معظم المبادئ في أصول الرمي بالرمح وتفصيلاتها العديدة يمكن أن تطبق على أوجه كثيرة، ولكن أي هذه الوجوه أحسنها؟ إن أحسنها ما يناسب قوة الرياضي، وطول قامته، وبنيان جسمه. إن الفتاة الطويلة الرشيقة ألكسندرا كودينا - من موسكو - تقذف الرمح بطريقة تختلف عن طريقة لودميلا أنوكينا من ليننجراد، وهي أقصر قامة وأعرض أكتافاً. وإن ناتاشا دياتلوففا أحسن رامية رمح في مدرستنا

الرياضية، ولكن لا ينبغي على زويا كورنييفا وأنا أن نقلد طريقتهما؛ لأن جسمينا يختلفان عن جسمها.

كم عدد الخطوات التي ينبغي أن أقطعها في جري البدء؟ ٢٥ أو ٢٦ أو ٢٧؟ وعند أي خطوة رمي ينبغي أن ألق ساقاً على ساق؟ أهى الخطوة الرابعة أم الخامسة أم السادسة؟ وعلى أي زاوية يجب أن أحني جسمي عند قذف الرمح؟ وكيف ينبغي أن أحني كتفي.

إن الرجل الذي يمكن أن يجيب عن كل هذه الأسئلة كان فيكتور إيليك، وكان يراقبني بعناية في كل المباريات، ويعرف تمامًا كل أسباب فشلي ونجاحي.

وتعلمت تدريجيًا كيف أصحح أخطائي، وكيف أؤدي حركات الرمية كما ينبغي، ولم يتم هذا بسهولة، كان عليّ أن أكرر كل حركة مئات المرات لكي أجيد أصولها، ولكن كانت هناك أشياء من الصعب جدًا إتقانها؛ فأحيانًا كنت أمسك الرمح عاليًا أكثر مما يجب وأنا أجري، وأحيانًا أخرى كنت أفشل في الانحناء بكتفي، أو أقذف بالرمح عاليًا، بدلًا من قذفه في خط مستقيم، ولكن فيكتور إيليك كان صبورًا مثابراً، وكان يصحح أخطائي المرة بعد المرة، وبتكر الوسائل لمساعدتي على إتقان أكثر الحركات صعوبة.

وكنت أيضًا أتقدم في رمي القرص، وإن حركات رامي القرص تختلف تمامًا عن حركات رامي الرمح، ولكنها تتساوى معها في التعقيد وفي كثير من الدقائق.

إن رامي القرص، كرامي الرمح، يستغل عضلاته إلى أقصى حد

ويبذل قوة عضلاته دفعة واحدة، عندما يقذف القرص، ولكنه لا يعد نفسه للرمية عن طريق الجري المبدئي، إنه يقوم بالرمية عن طريق طي نفسه كاللؤلؤ، ثم «ينفرد» فجأة بقوة عارمة.

إن الرامي -والقرص في كف يده- يتخذ موضعه عند حافة دائرة قطرها متران ونصف متر، ولا يسمح له بالخروج من هذه الدائرة. وهناك عدد من الحركات لإعداد القرص، وللمساعدة في بذل الجهد الأخير عند القذف، فاليد بالقرص تتراجع إلى الخلف، والرامي يلقي بجسمه إلى الأمام، ثم يدور حول نفسه ويقذف بالقرص في الهواء.

إنها حركات ليست كثيرة كما يبدو، ولكن كل حركة شديدة التعقيد، وكل منها تحتوي على عدد كبير من الدقائق الصعبة، وثمة طرق كثيرة لقذف القرص، وقد جربتها كلها في أيام الآحاد، وأخيراً اخترت -بمساعدة فيكتور إيليك- الطريقة التي رأيتها أكثر مناسبة لي، وإنها لمهمة شاقة مرهقة... إن العثور على أحسن طريقة لقذف القرص هو البداية.. وبعد ذلك كان عليّ أن أبذل جهدي لإتقانها.

ومرة أخرى كما هو الحال في رمي الرمح، بدأت في ممارسة جميع التمرينات تحت الإشراف الدقيق من فيكتور إيليك ونصائحه التوجيهية.

كنت في بعض الأوقات أرتاب في جدوى ضرورة البحث عن طرق جديدة خاصة بي، فلماذا لا أقلد ببساطة كلافديا مايو كايا في فن رمي الرمح، أو نينادومباز في قذف القرص؟ إنهما على كل حال، بطلتان وحاملتا أرقام قياسية؛ أي أنهما أحسن اللاعبين في سنهما، وأنا، حقاً

لم أكن قد شاهدت في ذلك الحين دومباز أو مايو كايا، أفوكينا، أو أي واحد من الرماة المشهورين، ولكن فيكتور إيليك كان يعرفهم جميعاً، وعندما أخبرته بما يدور في ذهني، هز رأسه وقال:

- لا يا جاليا.. لا جدوى من تقليد الآخرين! إنها ليست الطريقة التي تصنع البطل، وإنما البطل هو الذي يبتكر الطريقة، وفيما بعد ستعرفين صدق ما أقول.

ولم يستلزم الأمر وقتاً طويلاً لأدرك أنه كان على صواب.

ولم تكن تمرينات أيام الأحاد مكرسة فقط للبحث عن طرق للقفز تختلف عن طرق الآخرين، وإنما كان عليّ أن أبذل الجهد لأتعلم الطرق العامة التقليدية التي ينبغي على كل رام أن يتقنها، ولم يكن هذا في ميدان رمي الرمح والقرص وحسب، وإنما كان واجباً أيضاً في لعبة رمي القرص والجملة.

وكنت في ذلك الحين ضعيفة جداً في رمي الجملة، ولكنني كنت بين الحين والآخر أحصل على نتائج لا بأس بها بالنسبة إلى سني، وكان الفضل في هذا يرجع فقط إلى قوة كتفي وذراعي وساقني، وإلى العادات التي اكتسبتها من الألعاب الرياضية الأخرى أيضاً.

إن أصول الرمي بالجملة، كما تبدو من النظرة الأولى، قد يظن أنها بسيطة، إن اللاعب يقف في دائرة أصغر بعض الشيء من الدائرة التي يقف فيها راми القرص، ولكنه لا يجري كما يفعل راми الرمح، ولا يدور حول نفسه كما يفعل راми القرص، وكل ما يفعله أن يحجل بطريقة غريبة معقدة، ثم يقذف الجملة بكل قوته، ولهذا السبب لا يستطيع

اللاعب أن يستجمع قواه تدريجيًا، وإنما عليه أن يقوم بحركة عارمة في اللحظة نفسها التي يقذف بها الكرة.. على أن يكون هذا كله بحركة واحدة، ولكي يفعل هذا، يجب أن يؤدي كل حركة بإتقان تام حتى أبسط تفاصيلها.

وفي تمرينات أيام الأحاد كنت أمارس رياضة رمي الرمح، وقذف القرص، والكرة، وإن كان اهتمامي بالرمح والقرص أكثر، وكنا نتمرن قليلاً جداً على رمي الكرة؛ فإن رامي الرمح أو القرص البارع يستطيع أن يقذف بالكرة إلى مسافات أبعد.

ولكني لم أكن أذهب إلى مدرسة الرياضة أيام الأحاد فقط أثناء فصل الشتاء، بل كنت أتردد عليها مرتين في الأسبوع للتمرينات العامة، وفي أحيان كثيرة كنا نخرج لممارسة رياضة الانزلاق على الجليد، وذهبتنا مرة أو مرتين إلى أولجينو، وكان ملعبنا في الغابة هناك رائع المنظر وهو مكسو بالجليد اللؤلؤ.

وبلغت السابعة عشرة في اليوم الثاني والعشرين من شهر يناير عام ١٩٤٧م، وقد صنعت أمة الكعكة التي أحبها، وحضر كثير من الأصدقاء والصديقات لتهنئتي، ولم يكن إعداد الحفل والابتهاج بها هما الشيء الوحيد الذي شغلني في تلك الليلة، وإنما كانت ثمة أشياء كثيرة أخرى تدور بذهني. فطبقاً للنظم الرياضية، لا يجوز للإنسان بعد بلوغه سن السابعة عشرة أن يشترك في بطولات الناشئين؛ أي كان عليّ عندئذ أن أتبارى مع فتيات في السابعة عشرة والثامنة عشرة، وكان المعروف أنهن أحرزن انتصارات أكبر مني، وفي يوم بلوغي السابعة عشرة لم أعد حاملة

لأرقام قياسية في الاتحاد السوفيتي، ولكي أعود إلى حمل الأرقام،
يجب عليّ أن أزيد كثيرًا الأرقام التي سجلتها من قبل.

ولكن إذا أردت أن أقذف بالرمح أو بالقرص إلى مسافات أبعد،
كان عليّ أن أغدو رياضية أكثر براعة وإتقانًا، وأخذت في التمرين
بأعنف مما كنت أفعل من قبل، وما أبهج الإنسان حين يكتشف سر
بعض الحركات التي طالما حاول إتقانها بلا جدوى. إن كل ما على
الإنسان بعد اكتشافها، أن يتقنها، ثم يستغلها لصالحه.

وكان هذا عسيرًا في بعض الأحيان، فقد كنت أفضل المرة بعد
المرة، ويخامرني الإحساس بشوط الهمة، ولكني لم أكن الوحيدة
التي تواجهها المصاعب، فقد كان زملائي يتمرنون بعناد، وكثيرًا ما
أراقب زدياكو، نيفا، وتينا إجناتيفا، ونونا مارسوفا، وبوريس ماتفييف،
وجريجوري كرابروف وأوليج فيودروت، فكنت أرى أنهم أيضًا لا
ينجحون على طول الخط، ومع ذلك لم يتدمروا أبدًا أو يفكروا في
الانسحاب، كان مجرد النظر إليهم يثير الحماس، فإذا بي أعود فألتقط
القرص الذي أكون قد رميته بعيدًا منذ لحظة.

وسمعت ذات يوم شخصًا ما يهتف بي لكي أخفض ذراعي وأنا
أستدير وأخفف من توتر عضلاتي، فلما نظرت حولي، رأيت تينا
إجناتيفا تراقبني أثناء التمرين، ثم قالت وهي تقطب جبينها:

- لا، ليست هذه هي الطريقة، لسوف أريك كيف.

وأمسكت بالقرص وعلمتني بأناة كيف أرفع ذراعي وأنا أستدير
حول نفسي.

ولم يكن لدينا مثل على المواظبة والمثابرة أفضل من فيكتور إيليك نفسه، وكان ثمة شيء واحد في حياته الرياضية ترك في نفسي أثرًا عميقًا، فقد اشتغل فيكتور وهو غلام -ودون علم والديه- بهلوانًا في سيرك أثناء العطلات الصيفية، وكانت الفرقة تقوم بحركات بهلوانية شاقة في الهواء، وفي ذات يوم سقط فيكتور من شبكة النجاة وكسرت ذراعه اليمنى، والتأمت العظمة المكسورة، ولكن ليس كما ينبغي تمامًا. وبقيت ذراعه اليمنى أقصر من اليسرى، كما كان لا يستطيع ثنيها، ولكن بالرغم من ذراعه العاجزة هذه، استطاع فيكتور أن يسجل أرقامًا قياسية للاتحاد السوفيتي في رمي الرمح، وأن يحوز البطولة سبع مرات؛ فإلى أي حد من القوة، والمثابرة، كان عليه أن يتمرن ليحرز هذه الانتصارات؟ وإلى أي مدى كان الأمر صعبًا عليه بلا شك، وأي مبلغ من المثابرة والثبات وقوة الإرادة كان في حاجة إليه ليحقق النصر؟

كان هذا فيما مضى، ولكن الزمن لم يغير فيكتور إيليك، فقد كنا جميعًا نرى مدى الحماس والنشاط في تمريناته الخاصة.. وكان في العام السابق قد ضرب رقمًا قياسيًّا في رمي الرمح بالاتحاد السوفيتي، ولكنه فقد البطولة أمام لاعب أصغر سنًّا، ومع ذلك فقد أبقى أن ينسحب مهزومًا وجعل هدفه في الحياة أن يسترد البطولة، ولكي ينجح في هذا كان عليه أن يواصل التمرين بقوة وعنفة ومثابرة، وكان على الحجلة مثلًا نحتديه. وكنا في أيام الآحاد، ونحن نتمرن على الألعاب المتخصصة فيها، نفرغ من التمرينات في ساعة متأخرة، ونكون عادة متعبين، ولكن لم نكن نتعب أبدًا إلى حد الرغبة في العودة إلى البيت، وإنما كنا نحب

أن نمارس لعبة اخترعها فيكتور إيليك، وكانت مزيجًا من كرة السلة والرجبي بعدد من اللاعبين أيًا كان.

كنا ننقسم إلى فريقين ونبدأ اللعب... وكانت القاعة ترن بالضحكات والضحكات.

وذات يوم ونحن ننصرف، شكا أحدنا من الإحساس بالتعب، فقال له فيكتور ضاحكًا: «يجب أن تعتاد على هذه اللعبة».

- أوه... إن ظهري وكتفي تؤلمانني.

- إذن يجب أن تستريح، وعليك ألا تذكر إلى أي حد أنت متعب...

فما الطريقة المثلى في هذا الشأن؟

- إننا نعرف! السينما!

وقرنا جميعًا - فيما عدا الذين لديهم مشاغل مهمة - أن نذهب إلى السينما، وشاهدنا فيلم «الزملاء المرحون»، ولم نحفل بأنه كان فيلمًا قديمًا، وأن الكثيرين منا سبق لهم أن شاهدوه، وإنما استمتعنا بمواقفه الهزلية الضاحكة مع الممثلين أفيوزوف وأورلوف، ولما انتهت الحفلة، سألنا فيكتور قائلاً:

- من الذي كان يشكو من التعب.

ولم يكن أحدنا يشعر بالتعب عندئذ، فقد كان كل منا سعيدًا منتعشًا يحس بالقوة. عجبًا... بل شعرنا أن في مقدورنا بدء التمرينات من جديد، ولكن الوقت كان متأخرًا، وحان موعد العودة إلى البيت... وهكذا مر يوم آخر.

سجدر الفريق

جزائر كيروف... إننا في ليننجراد نسميها أيضًا «جزائر الراحة»، فليس في ليننجراد رجل أو امرأة لم يقض بضع ساعات من الراحة هناك. وعند مصب نهر نيفا، تكون فروعه وروافده عددًا من الجزائر، كريستوفسكي وكامين وابتكارسكي، ويلاجين. إنها الآن تسمى جزائر كيروف، وقد تحولت إلى متنزه عام للطبقة العاملة.

إن في هذه الجزائر حدائق كثيرة وشوارعها واسعة، وممرات، وإن بها في الواقع مزارع خصيبة، وسيكون فيها المزيد فيما بعد، وقد بدئ العمل بعد الحرب في إنشاء حديقة عامة بجزيرة كريستوفسكي -حديقة النصر الضخمة، وهناك أيضًا عدد من المصحات ومساكن لقضاء الإجازات في بيوت ودارات «فيللا» مريحة بجزيرة كاميني، وعلى كذب منها توجد المحطات المائية، وأقدم ناد لليخوت في المنطقة، وساحات رياضية، وساحات للتنس.

إن الملعبين الفاخرين بالجزائر وهما ملعبا دينامو وميديك، لم يكونا كافيين لمدينة ليننجراد، ومن ثم تقرر إنشاء ملعب آخر، وهو أكبر استاد في الاتحاد السوفييتي، يتسع لمائة ألف متفرج، ولسوف يتم

إنشأؤه قريباً. نعم... إن جزائر مصب نهر نيفا لم تعد «جزائر الراحة»، وإنما «جزائر الرياضة».

وفي مستهل صيف عام ١٩٤٨م عقدت طالبة مدرسة زينيت الرياضية دورة تمرينية في هذه الجزائر، وقد ذهبنا إليها لمدة شهر، وأقمنا في أحد المصحات.

كان من الضروري، بعد قضاء فصل شتاء كامل في ملاعب مقفلة، أن نتمرن في ملاعب مفتوحة لنحسن نتائجننا، ولنظفر بسمت رياضي جيد، وقد أتاحت لنا الدورة التمرينية فرصة طيبة في هذا الشأن، فكنا نتمرن كل يوم، وكان بين أيدينا استاد فخم مزود بكل ما نحتاج إليه، وكنا نأكل كثيراً، ونحافظ في الوقت نفسه على اتباع جميع قواعد التغذية اللازمة للرياضة. وكان من الطبيعي أن نعترف بحميل جمعيتنا الرياضية التي أنفقت كل هذه الأموال لتجعل هذه الدورة ممكنة، ولفيكتور إيليك الذي قام بإعدادها.

كنا نستيقظ مبكرين، ونقفز من أسرتنا، ونجري بشعر غير ممشط وبأعين لا يزال النوم فيها، إلى ساحة الملعب خارج المخيم لنقوم بتمرينات الصباح، وبعد هذا نغسل ونتناول إفطارنا، ونمضي للتمرين. وكان الاستاد جد قريب... وكنا نمضي إليه جماعات، نضحك ونتفكه طوال الطريق، ونستنشق في عمق هواء الصباح المنعش، وندير وجوهنا إلى النسائم الآتية من نهر نيفا، وكنت جد سعيدة، ولماذا لا؟ لقد أتممت السنة الدراسية بنجاح، وكان عملي في جماعة «الرواد الصغار» موضع تقدير لجنة الكومسومول بالمنطقة، وكنت أتقدم حثيثاً

في تماريني الرياضية.

ولم أدرك إلا عندئذ فقط مدى فائدة التمرينات الشتوية، كان عليّ حقاً أن أسجل رقمًا قياسيًّا جديدًا، ولكي أفعل هذا، كان يتحتم عليّ أن أقذف إلى مسافات أبعد من ذي قبل.

كان الرقم القياسي في الاتحاد السوفيتي الذي سجلته في الخريف في رمي القرص للفتيات في سن الخامسة عشرة والسادسة عشرة، هو ٣٤, ٩٢ مترًا، وكان الرقم المسجل للفتيات في سن السابعة عشرة والثامنة عشرة يزيد بمقدار عشرين سنتيمترًا، وكان رقمي المسجل في رمي الرمح بين الناشئين هو ٣٥, ٥٤ مترًا، وهو بين الفتيات الأكبر سنًّا يزيد بمقدار خمسة أمتار. أما عن الألعاب الأخرى، فإنني لم أحمل فيها أبدًا أي رقم قياسي.

وكانت أرقام في رمي الرمح والقرص والكرة لا تزال أقل كثيرًا من الأرقام القياسية في الاتحاد السوفيتي - وهي الهدف الذي كرس نفسي لتحقيقه - ولكنني لم أشعر بثبوت الهمة؛ فقد حققت في ذلك العام نتائج أحسن من نتائج العام السابق، وأحسست أن في مقدوري الاستمرار في هذا التحسن.

إن كل ما تعلمت في الجمباز أثناء الشتاء أصبح كبير الأهمية الآن، كنت قد درست قواعد الرمي جزءًا بعد جزء، والآن، في الملعب المفتوح أضيفت هذه الأجزاء التفصيلية إلى سلسلة من الحركات الصحيحة التي ساعدتني على قذف الرمح والقرص مسافات أبعد فأبعد، وكان هذا التجاوب بين الحركات هو الذي يطالبني به المدرب.

ولم تكن الأمور كلها تجري هكذا ببساطة، فقد كنت ضعيفة جداً في تحقيق التجاوب بين الحركات، ولكن كان ثمة مجال واسع للتحسن على كل حال. كما كان هناك تقدم ملحوظ أيضاً، وقد شجعني هذا بحيث قررت أن أضعف الجهد في التمرين مع المثابرة والصبر، مدركة أن على طريقة التمرين يتوقف النجاح أو الفشل، وكان الوقت لا يزال متسعاً أمامي؛ فإن العطلة الصيفية في مستهلها.

وفي أوائل شهر يوليو، أقيمت دورة رياضية للشباب في استاد دينامو بلينجراد، وكان معظم الانتصارات من نصيب مدرستنا الرياضية. فمن المباريات الثلاث والعشرين، فاز غلماننا وبناتنا بعشرين منها، وسجل بوريس ماتفييف رقماً قياسياً جديداً للاتحاد السوفيتي في رمي القرص، وتساوى مع الرقم القياسي للاتحاد السوفيتي في رمي الجلة، وفازت لويدا ليونتيفا على نونا مارسوفا في سباق المائة متر، وسجلت رقماً قياسياً جديداً لمدينة ليننجراد، وكذلك ضربت أرقام قياسية جديدة على أيدي أوليج تيودوروف وإنجانيكتينا وغيرهما من زملائي بالمدرسة. وسجلت أنا رقماً قياسياً جديداً لمدينة ليننجراد في رمي الرمح وقذف الجلة.

كان كل منا قد أحرز نصراً أو أكثر في الدورة، وهكذا أتحننا لفريق زينيت فوزاً ساحقاً جعله يظفر بالجائزة الأولى؛ تمثال من البرونز يمثل رياضياً شاباً.

وتعالت الهتافات من مدرجات المتفرجين كالرعد، عندما أخذ فريق زينيت الفائز، المكون من رياضيين أقوياء ملوحي البشرة في

قمصانهم الزرق، يقوم بحولة الشرف التقليدية أمام المدرجات... فما أسعد الإنسان حين يجد نفسه عضواً في فريق منتصر.

وانتهت الدورة التمرينية بعد ذلك بأسبوعين، وكان قد تقرر تخليد ذكراها بإقامة حفلة للبطولات المدرسية، وقد كشفت المباريات عن مدى التقدم الذي أحرزناه، وفي هذه المرة سجل رياضيوننا تسعة أرقام قياسية جديدة للاتحاد السوفيتي، وعددًا كبيرًا من الأرقام القياسية لمدينة ليننجراد.

ولم يكن عبثاً ما بذله مورييس ماتفييف في تمارينه العنيفة لتحسين قواعد القذف بالجلّة، فقد حطم الرقم القياسي السابق للاتحاد السوفيتي بزيادة واحد وعشرين سنتيمتراً، وحطم رقمه القياسي في رمي القرص. وكما كان الشأن في الدورات السابقة، استطاعت لوبدا ليونتييفا أن تمتاز على غيرها من الفتيات، فقد ضربت الرقم القياسي في سباق المائتي متر الذي كانت سجلته إحدى تلميذات تبليزي، وتسمى نايانيكيتنا، إذ قطعت المسافة في ٢٦,٥ ثانية، أي بأقل من الأولى بخمس ثانية.

وجاءتني الدورة بالبهجة أيضاً؛ لأنني فيها كوفئت على مثابرتي وتعبي، فقد سجلت في يومين ثلاثة أرقام قياسية للاتحاد السوفيتي؛ الأول حين قذفت القرص مسافة ٣٦,٨٦ متراً؛ أي بزيادة متر ونصف متر عن الرقم القياسي الذي سجلته بوردا دينا من موسكو، وفي اليوم نفسه قذفت الكرة مسافة ٨٣,٤٤ متراً؛ أي أبعد كثيراً عن الرقم القياسي الذي سجلته للاتحاد السوفيتي تامارا جريزيلوفا التلميذة بمدرستنا.

وفي اليوم التالي، اشتركت في مباراة رمي الرمح - وكنت أريد أن أسجل رقمًا قياسيًّا جديدًا أيضًا؛ أي أحطم الرقم القياسي ٦٦, ٤٠ مترًا الذي سجلته ناتاشا دياتلوف، ومن سوء الحظ لم يكن في مقدوري منافستها؛ لأنها كانت قد انتقلت في العام السابق إلى فريق الكبار، ولكنها كانت، على كل حال، موجودة بالاستاد في مقاعد المتفرجين.

وقالت لي:

- يجب أن تحطمي رقمي القياسي.. فنحن جميعًا نتمنى هذا.

فسألتها مندهشة:

- أتريدني مني أن أحطم رقمك القياسي؟

- طبعًا.. لأنه عندئذ يبقى في نطاق جمعية زينيت!

وقذفت بالرمح مسافة ١٥, ٤٢ مترًا، ولم يكن هذا فحسب رقمًا قياسيًّا، وإنما كان أكثر من ذلك، لقد جعلني أحمل درجة «الامتياز». وكانت ناتاشا أول من تقدم لتهنئتي.

وكان موسم الألعاب الرياضية الصينية لا يزال في مستهله، فما أعظم البهجة والانفعال اللذين أحسست بهما عندئذ! وقد كان أمامي المزيد من المباريات؛ منها دورة البطولة بين شبان الاتحاد السوفيتي في موسكو. وكان من المهم جدًّا أن نعمل -نحن رياضيي ليننجراد- على الفوز؛ إذ لم يظفر فريقنا في العام السابق إلا بالمركز الرابع.

وقد تمرنا كثيرًا لتحسين أنفسنا، وكانت الدورة المنتظرة التي ستقام للبطولة بين شباب جمهوريات الاتحاد السوفيتي الغربية، فرصة طيبة

لتقدير إمكانياتنا استعدادًا لدورة البطولة العامة في الاتحاد السوفيتي كله.

ومثل ليننجراد عدد كبير من رياضيي جمعية زينيت في دورة موسكو. وقد وقع الدفاع عن شرف مدينة لينين على عاتق لويدا ليونتيفا، وزويا كورنييفا، وهاري ألكسييف، ونونا مارسوفا، وجريجوري كرابروف وأنا. وكانت قمصاننا الرياضية تحمل شعار المدينة «ل» باللون الأبيض. وكان فيكتور إيليك، لسوء الحظ، مشغولاً جداً، فلم يستطع السفر إلى موسكو، ولشد ما كان أسهل على الواحدة منا أن تمضي إلى الملعب وهي تشعر أنه قريب منها، ومستعد لأن يقدم لها النصائح الأخيرة، وأن يحذرنا من الأخطاء، وأن يبين لها ماذا ينبغي أن تفعل.

وقد قال لنا وهو يودعنا على محطة السكة الحديد:

- لا عليكم.. لسوف تؤدون واجبكم كما ينبغي من دوني، بل إنه من الأحسن ألا أكون معكم؛ فقد حان الوقت لأن تعتمدوا على أنفسكم... ولكن لا تنسوا أن يعاون بعضكم بعضاً.. فأنتم تكافحون جميعاً من أجل ليننجراد.

وأثبت فريق ليننجراد وجوده بنجاح هذه المرة، وفاز بالمركز الأول، وكان الكثير من هذا النجاح يرجع إلى انتصارات رياضيي جمعية زينيت؛ فقد فازت لويدا ليونتيفا في سباق المائة متر، وجاءت زويا الأولى في رمي الجلة، وأحرزت أنا البطولة في رمي الرمح والقرص والكرة.

وفي حماس الانفعال بالنصر، أسرعنا للاتصال تليفونيًّا بفكتور إيليك.

ولم أستطع أن أسجل في تلك الدورة أي أرقام قياسية جديدة للاتحاد السوفيتي، ولكنني - بعد عودتي إلى ليننجراد - استطعت أن أقذف بالقرص مسافة ٩٢, ٣٦ مترًا.

وأقيمت الدورة الرياضية العامة لبطولات الشباب في الاتحاد السوفيتي كله بمدينة ليننجراد، وقد احتشد جميع الرياضيين الشباب من جميع أنحاء العالم على ضفاف نهر نيفا.

وهنا، مرة أخرى، لم يستطع فيكتور إيليك أن يكون معنا؛ فقد كان عليه في هذه المرة أن يسافر إلى موسكو ليشارك في بطولة اتحاد النقابات الصناعية السوفيتية.

وقبيل سفره مباشرة، وقع حادث بسيط مشؤوم، ولكن تُرى هل هو حادث بسيط حقًا؟ فبينما كنت أتمرّن، انكسر رمحي في يدي. برغم أن الرماح الرياضية كلها تتساوى في الطول والوزن، إلا أنها شديدة الاختلاف في السمّت، فمن الممكن أن يكون بعضها ربيعًا أو سميكًا، أو أكثر استقامة من غيره، وكل هذه الاختلافات التي تبدو بسيطة يكون لها أكبر الأثر في النتائج.

وكان رمحي مصنوعًا بيد فيكتور إيليك نفسه، وهو جد خبير في هذه الصناعة، وكنا نداعبه بتسمية رماحه «الرماح الطائرة». والآن، وقبل دورة رياضية بالغة الأهمية، انكسر «رمحي الطائرة»، وأحسست بالرغبة في البكاء وأنا أتطلع إلى رمحي المكسور. ترى هل سيتاح لي

الوقت الكافي لأعتاد على رمح جديد؟ هل سأجيد الرمي بواحد آخر جديد؟ إن نتائجي سيكون لها أثرها في الفريق كله بطبيعة الحال. فلو أن فيكتور لم يكن ينوي الرحيل إلى موسكو ذلك المساء، لأمكنه أن يصنع لي رمحًا آخر.

وفحص فيكتور الرمح المكسور وهز رأسه مغمغمًا ثم قال:

- إن في الإمكان إصلاحه، ولكن هذا يحتاج إلى وقت يا جاليا... لسوف آخذ رمحك معي إلى موسكو؛ علني أجد هناك وقتًا يكفي لإصلاحه قبل الدورة، فإذا نجحت فسوف أرسله إليك.

وأحسست طبعًا بالفضل لفكتور إليك، ولكن مخاوفي لم تفارقني، وإن كنت أعلم أنه لا حاجة بي إلى استعمال الرمح إلا في آخر يوم للدورة. فهل تراه سيجد الوقت الكافي لإصلاحه؟

وودعنا مدربنا، وأنصتنا باهتمام إلى نصائحه وتوجيهاته التي قدمها إلينا في آخر لحظة، ثم تمنينا له النجاح وتمنى لنا مثله.

كان فريق ليننجراد في الدورة الرياضية العامة في العام السابق قد استطاع أن يصل إلى المركز الرابع فقط، ولكننا في هذا العام قررنا الفوز بالمركز الأول. لقد زادت قوتنا كثيرًا منذ ذلك الحين، وكان انتصارنا الأخير على موسكو في بطولة جمهوريات روسيا الجنوبية منذ أيام قليلة أمرًا نحن جديرون به حقًا، ولكننا الآن سننافس فرقًا من جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتي، ولم يكن ثمة شك في أن الحصول على المجد في هذه الدورة سيكون شاقًا.

وكانت المباريات الأولى نفسها في دورة البطولة العامة هذه قد بينت مدى المشقة التي يجب أن يتحملها الفريق للحصول على كل نقطة، ففي معركة سباق المائة متر الأولى، برزت إيما دروياجينا من سفير دلوفسك بقطعها المسافة في ١٣ ثانية، ولكن في المعركة التالية للسباق نفسه، استطاعت برتا كلافيينا من لاتفيا أن تقطع المسافة في وقت أقل بعشر ثانية مما قطعتها درويا جينا، ثم قطعتها إنجانيكيتينا من مدرستنا، في وقت أقل بعشر ثانية أيضًا، ثم ما لبثت لويدا ليونتييفا - من مدرستنا - أن قطعت المسافة في ٦, ١٢ ثانية، وكان هذا رائعًا، ولكن جيتاساند بانك من أستونيا كانت أسرع، فقطعتها في ٥, ١٢ ثانية. ولم تستطع فتاة أخرى أن تضرب هذا الرقم، حتى ولا فاديا نيكيتا صاحبة الرقم القياسي السابق في الاتحاد السوفيتي.

وفي هذا السباق نفسه للصبيان، كانت المعركة لا تقل عنفًا، فقد قطع المتسابقون الخمسة المسافة في وقت واحد ٥, ١١ ثانية، وهو أمر نادر جدًا، وكان هؤلاء الخمسة هم أجنور كوزلوف وبوريس باجنوف من ليننجراد، وإدوارد بورفسكي من موسكو، وإينوليو من إستونيا، وأنافولي بيلوسوف من رستوف.

وأحرز رياضيو ليننجراد عددًا من الانتصارات المهمة، لقد منح بوريس ماتفييف الفريق عددًا كبيرًا من النقاط حين حطم الأرقام القياسية للاتحاد السوفيتي في رمي القرص والجملة. وتقاسمت إنجانيكيتينا وجيتا سانديباك الفوز في سباق الحواجز، وحطمت أنا الرقم القياسي للاتحاد السوفيتي في رمي القرص، إذ قذفت به مسافة ٢٧, ٣٧ مترًا.

نعم... كان رياضيو ليننجراد يكافحون بقوة في سبيل المركز الأول، ولكن الفرق الأخرى في الوقت نفسه لم تكن متكاسلة، فقد أحرزت لنفسها انتصارات وضربت أرقامًا قياسية أيضًا، وقد كشفت الدورة عن تقدم شامل في الحياة الرياضية بوجه عام، وكانت إستونيا ممثلة بفريق قوي، وأثبت فريقا أوكرانيا وأشبال نقابة العمال وجودهما أيضًا، وكانت هذه الفرق الثلاثة هي أخطر منافسينا. هذا على حين كان فريق موسكو متخلفًا جدًا.

وأخيرًا جاءت مباراة رمي الرمح للشابات، أوه! أين رمحي الوفي؟ لقد كان عليّ أن أتبارى برمح جديد كانت زوجة فيكتور قد ساعدتني على إعداده في الليلة السابقة، فلم أكن معتادة عليه. ولكنني مع هذا استطعت أن أقذف به مسافة ٤٠ مترًا، وأن أدخل الدور النهائي الذي تقررته إقامته في المساء.

وكانت المعركة حامية إلى أقصى حد، فقد كان رياضيو ليننجراد في المقدمة، ولكن فريق إستونيا كان وراءهم مباشرة، ولم يكن الفارق بين الفريقين غير ١٧٧ نقطة فقط، ولم يكن من العسير على الإستونيين أن يظفروا بها، فمثلًا كانت فرق رمي الرمح تمنح نقطة عن كل خمسة ستيمترات تزيد على مسافة الأربعين مترًا، وكانت هناك أدوار نهائية أخرى في عدد آخر من المباريات يستطيع خلاله منافسونا أن يلحقوا بنا، وكذلك أيضًا الأوكرانيون، فما أتعس أن نُهزم في عقر دارنا بعد أن وصلنا إلى هذه المرحلة المتقدمة!

وكان شعور الانفعال والاهتياج سائدًا للملاعب كلها، وكنا نشعر

طبعاً بالتوتر العصبي، وكان حرماننا من فيكتور إيليك قد زاد الأمر سوءاً، وفجأة أحسست كأنه قريب مني، فإن واحداً من رياضيي جمعية زينيت أحضر لي معه من موسكو في ذلك الصباح رمحي بعد إصلاحه، وكان مصقولاً بعناية، ومعدداً بأشد إتقان. آه... لشد ما كان اعترافي بالجميل لفكتور إيليك العجوز العزيز!

ولكن فيكتور إيليك كان، كما يبدو، يريد مني شيئاً أكثر من مجرد الاعتراف بالجميل، فقد وجدت مع الرمح رسالة منه موجزة هذا نصها:
«من أجل الرقم القياسي للاتحاد السوفيتي... أريد ألا تكون المسافة أقل من ٤٣ متراً».

وكان الدور النهائي في مباراة رمي الرمح سيقام بعد نصف ساعة. وكان الدور الأخير في سباق الأربعمائة متر على وشك البدء، وُنودي على العدائين للوقوف على خط البدء، تُرى ماذا ستقدم نونا مارسوفا لفريق ليننجراد؟ لقد تركزت نظراتنا عليها. وكانت نونا، كما يبدو، تعرف يقيناً أهمية فوزها في هذا السباق، ومن ثم كانت تجيد الجري، باذلة كل قوتها وإرادتها، وجلسنا نتأملها ونأمل ألا تضعف عند النهاية، لا... لم تضعف نونا، لقد جاءت الأولى بنتيجة باهرة... برقم قياسي جديد مقداره دقيقة واثانيتان، وساعدت فريق ليننجراد على الاستمرار في البقاء بالمقدمة، واندفعنا لنعانقها مهئين.

ولكن كانت ثمة نواح أخرى لا تزال أمام الفرق المنافسة لتتنصر علينا، وكان مصير البطولات يتوقف على رماة الرمح... علينا نحن الفتيات، ولهذا السبب كنت أشعر بالانفعال النفسي يزداد لحظة بعد أخرى.

كان لي الحق في ثلاث رميات، أحسنها هي التي تسجل، وجريت بقوة، وطوحت ذراعي وقذفت الرمح... ولكن إلى مسافة أربعين مترًا فقط! لا شك أنني ارتكبت خطأً ما.. ولا شك أنني لم أحسن توقيت حركاتي.

وفي محاولتي الثانية كانت النتيجة ٤١ مترًا... أحسن.. ولكن ليس كما ينبغي. ترى ماذا دهاني، إن رمحي الحبيب في يدي، وهو الآن أعز عليّ بتلك الرسالة التي تقول «من أجل الاتحاد السوفيتي فقط» إنني ما كنت لأجرؤ أن أخذل فيكتور إيليك أو أتسبب في هزيمة فريق ليننجراد...
أيمكن هذا؟!

وفيما أنا ألتقط الرمح وأرفعه للرمية الأخيرة، رأيت وجوه أصدقائي وقد بدا عليها القلق والتوتر على غير العادة، وسمعتهم يهمسون:
- لا أقل من ثلاثة وأربعين.

نعم.. لا أقل من ثلاثة وأربعين، ولست أذكر كيف قذفت الرمح، ولكن أذكر أن رميتي كانت رائعة، أدركت هذا في اللحظة التي أطلقت فيها الرمح، وانحنيت إلى الأمام بقوة حتى أوشكت أن أجتاز الخط الحرام، وتنبهت لهذا وتراجعت في الوقت المناسب. وطار الرمح وطرفه المدبب يلمع في الشمس، ثم بدأ يهبط وأخيرًا سقط وراء العلم الأحمر الذي يحدد محاولتي السابقة.

وسألت وأنا أشعر فجأة بالتعب الشديد:

- كم مترًا..؟ ٤٣!

ولكن المسافة كانت ٢٩, ٤٤ مترًا؛ أي إنني تجاوزت المسافة التي

طلبها مني فيكتور إيليك بكثير.

وبعد هذا لم يكن ثمة أي فرصة لأي فريق أن يلحق بنا، وهكذا فاز فريق ليننجراد ببطولة الدوري العامة للألعاب الرياضية بالاتحاد السوفيتي.



مع الكبار

كانت دورة الألعاب الأولمبية المعقودة في لندن قد انتهت قبل أيام قليلة فقط من بدء دورة بطولات الشباب في الاتحاد السوفيتي . وكانت بوما النمساوية قد فازت ببطولة رمي الرمح الأولمبية للنساء بمسافة ٤٥,٥٧ مترًا، وكانت الثانية بارفيان الفنلندية بمسافة ٤٣,٧٩ مترًا، وفي رميتي الأخيرة كنت قد تجاوزتها بمسافة خمسين سنتيمترًا، وكان من المحتمل أن أفوز عليها في المباراة الأولمبية، ولكن ما هذا؟ يجب ألا أقارن نفسي بالراميّات الأجنبية، وإنما بالراميّات من بنات وطني، وهن أحسن الراميّات في العالم.

وكانت كل من كلاديا مايوكايا ولودميلا أنوكينا قد قذفت بالرمح إلى ما بعد خط الخمسين مترًا، واستطاعت ناتاشا ديافلوفا من مدرستنا الرياضية أن تقترب منه جدًا أيضًا، أما نينا دومباز فقد كان في مقدورها أن تقذف بالرمح مسافة تزيد على ٥٣ مترًا.

وكان يمكن لتانيا سيريوكوفا أن تقذف الجلة إلى مسافة ١٥ مترًا تقريبًا، وكان هناك راميّات ممتازات أيضًا بين نساءنا، أنا أندرييفا، وكلاديا توكينوفا وألكسندرا كودينا، وإليزافيتا بجويانيتيفا، وهذا على

سبيل المثال لا الحصر، وأنا لم أر واحدة منهن غير ناتاشا.. ولكن سأراهن يوماً.

ثم إذا بمفاجأة! لقد أعلن إيليك أن المسؤولين سيسمحون لي كاستثناء، بالاشتراك في دورة البطولة للكبار المقرر عقدها بمدينة خاركوف، وكان هناك استثناء آخر، هو بوريس ماتفييف البالغ من العمر ١٧ عاماً.. لقد تقرر سفره معي.

لقد جاء إلى خاركوف أكثر من ستمائة رياضي ورياضية للمنافسة في المباريات، وكانوا أحسن وأقوى الرياضيين في جمهورياتنا الست عشرة، وكان الرماة -بطبيعة الحال- هم موضع اهتمامي الخاص.

فهنا كان جميع الذين حلمت برؤيتهم يوماً، وقد التقيت في الوقت ذاته بحاملي ألقاب «الامتياز» في الرياضة، والأبطال الرياضيين، وأصحاب الأرقام القياسية.

إن المرة الأولى التي رأيت فيها نينادومباز كانت عندما تقدمت إلى الملعب، وكانت طويلة، قوية الجسم، عريضة الكتفين، ومع ذلك فما أبدع ما كانت في حركاتها من رشاقة ورقة نسائية، رأيتها وهي تقوم بجري البدء، ثم وهي ترفع القرص، وفيما هي تطوح به، بدت ذراعها ضعيفة، ولكنها كانت القوة كلها عند القذف. حركة استرخاء.. رمية رائعة، ولم يخطر ببالي أبداً أن هناك من يستطيع إرخاء عضلاته تماماً كما فعلت.

وقد رأيت بالقرب مني كلاً من سيفويوكوفا وأندرييفا وهما متمرنان على رمي الجلة، وكانت لكل منهما طريقتهما في الرمية، فأندرييفا كانت

تستغل كتفها وعضلات ظهرها لتحصل على أحسن نتيجة، على حين كانت سيفريوكا بارعة في أصول حركة الحجل، وكانت لكل رامية رمح طريقته الخاصة أيضاً، فلم تكن طريقة أنوكينا تشبه بأي حال طريقة مايوكايا أو كودينا. لقد كان فيكتور إيليك محقاً في قوله «إنها الطريقة ليست هي التي تصنع البطل، إنما هو البطل الذي يبتكر الطريقة».

وبقيت أنظر إلى هؤلاء السيدات المشهورات بإعجاب، وأحسست بالخجل من تمريني على رمي الرمح أو القرص معهن، ولما لاحظ فيكتور إيليك ترددي سألني قائلاً:

- ماذا يدور بذهنك؟ تذكرني أنك ستتبارين غداً، وعليك أن تتمرني على جري البدء عشرين مرة أولاً.

وانصرف عني ليقوم بتمريناته الخاصة.

وجريت مرة، ومرتين، ثم تلفتُ حولي لأرى هل هناك من يرقبني أو يضحك مني! لا.. لم يكن هناك أي أحد يحفل بي، وجريت المرة بعد الأخرى.. وفجأة سمعت من يقول لي:

- حسناً.. أمسكي بالرمح أعلى من هذا.

وكانت الملاحظة في محلها.. إذ وجدت الرمح أكثر انخفاضاً مما ينبغي، ولكن من التي هتفت بي؟ لقد كانت أقرب للاعبات إليّ وهي لودميلا أنوكينا، فلما نظرت إليها في تساؤل، أردفت قائلة:

- أمسكي رمحك أعلى من هذا.. واجعلي ساقيك إلى الأمام أكثر

استقامة.

وحدت لها في نفسي تقويمها لي، وشعرت بجميلها؛ لأنها لم تضحك أو تهز كتفها لأخطاء فتاة سوف تتبارى مع الكبار غداً لأول مرة في حياتها.

وجاء أخيراً اليوم المثير الذي انتظرناه طويلاً.. واستدعى المذيع راميات القرص، ولما كنت الأصغر سنًا، فقد تحتم عليّ أن أتقدم أولاً. وقال لي فيكتور إيليك وهو يزودني بتعليماته الأخيرة:

- احتفظي بهدوءك.. لا تنفعلي كثيرًا يا جاليا. تصوّري فقط أن هذه مباراة مدرسية، وأنت في ملعب زينيت.

إن من السهل أن تقول هذا! ولكن قلبي كان يخفق بعنف وأنا أتقدم إلى الدائرة، ولو أن أحدًا سألني عندئذ كيف ينبغي رمي القرص؟ لما عرفت كيف أجيب، لقد نسيت كل شيء، وإن الفضل يرجع إلى المران وحده في تعليمي كيف أتصرف آليًا.

وقمت برميتي الأولى وأنا بلا شعور إطلاقًا بما أفعل، كم مترًا؟ نحو ٣٤ مترًا فقط! إن في مقدوري أن أرمي أبعد من هذا بكثير، وتغلّبت على اضطرابي وجمعت كل جهدي للإجادة في المرة الثانية، ولما قذفت القرص، أحسست أنني أجدت كثيرًا، وأن المسافة قد لا تقل عن ٣٦ مترًا.

ورأيت فيكتور إيليك وبوريس ماتفييف وناشأ ديالتوفا يهرعون نحوي بوجوه مشرقة، لقد طار القرص مسافة ٧٦, ٣٨ مترًا، وكان هذا رقمًا قياسيًّا جديدًا بين الفتيات الكبار.

وأحسست بالانفعال الشديد.. ولكنه كان في هذه المرة انفعال السعادة، فقد كان الناس جميعاً حولي يهتفونني، وكانت مدرجات المتفرجين تضج بالتصفيق المدوي، وبذلت محاولات أخرى كثيرة، ولكنني لم أستطع أن أتجاوز رقمي القياسي الجديد في الاتحاد السوفيتي.

وفرغت من الرمي بالقرص، وجلست أرقب المباريات السيدات: زينيدا بوريسوفا من موسكو، وزويا سنتسكايا من كييف، وكلاديا توكينوفا من ليننجراد، لقد حققن جميعاً نتائج ممتازة، ولكنهن لم يصلن أبداً إلى مستوى نينا دومباز التي فازت مرة أخرى ببطولة الاتحاد السوفيتي في رمي القرص مسافة ١٩, ٥٠ متراً.

وكانت مباراة رمي الجلة بين السيدات ممتعة بوجه خاص، فالمعركة كانت بين اثنتين من موسكو: تاتيا سيفريوكوفا، وأنا أندرييفا، وكانت الأولى حاملة الرقم القياسي في الاتحاد السوفيتي، وكان رقمها الذي مضت عليه ثلاث سنوات، وهو ٨٩, ١٤ متراً كان أكبر من الرقم العالمي الذي كان يحمله مورمير الألماني. وكانت أندرييفا قد تجاوزت منذ عهد قريب فقط رقمها القياسي ١٤ متراً، وتساءلت: من ستكون الفائزة: سيفريوكوفا أم أندرييفا؟

وكانت أنا أندرييفا هي الفائزة، وبلغت أحسن رمياتها مسافة ١٤, ٤٤ متراً، على حين لم تتجاوز سيفريوكوفا مسافة ١٣, ٨٤ متراً، وهي مسافة أقل كثيراً من رقمها القياسي، وكانت فيكينوفا الثالثة.

وكانت مباراة رمي الرمح التالية، وشعرت بالردة تسري في جميع

أنحاء جسمي، وكان لي العذر، فلم يكن في مقدوري أن أفعل شيئاً للتغلب على هذا الشعور. ومرة أخرى وجدت نفسي أظهر كأصغر المتنافسات، فكان عليّ أن أكون أول الراميات.

وكانت أحسن رمياتي مسافة ٤٧, ٤٢ مترًا؛ أي جد قريبة من رقمي القياسي المسجل منذ عهد قريب، وكان حتى هذا لا يقل كثيرًا عن النتائج التي أحرزت في ذلك اليوم.

وفازت ألكسندرا كودينا اللاعبة الموهوبة في جميع الألعاب الرياضية، وهي من موسكو، ببطولة رمي الرمح، وكانت ناتاشا، لبهجتنا، هي الثانية.

وتقررت إقامة المباراة النهائية لرمي الرمح بين الرجال في المساء، فأخذت أنتظرها بفارغ الصبر؛ لأن معلمنا ومدرّبنا فيكتور إيليك كان مشتركًا بها.

وكان فيكتور في المباريات التمهيدية صباحًا قد تنافس مع فيكتور أيوفليف من جمعية الرياضة الإسبرطية بلينجراد، ومع اثنين من تلاميذه هما: يوري شيرباكوف، وجورجي لوكيانوف، وكان أمامه أيضًا منافسون خطرون من رياضيي أوكرانيا وإستونيا، وكان بين هؤلاء الأخيرين فريدريك إسحاق الذي فاز ببطولة الاتحاد السوفيتي في العام السابق. وكان فيكتور إيليك في مباريات الصباح التمهيدية هو أحسنهم جميعًا برقمه ٠٩, ٦٤ مترًا، وفشل إسحاق في دخول الدور النهائي، وكذلك كان الحال مع شيرباكوف ولوكيانوف، وهكذا انحصرت المنافسة على بطولة رمي الرمح عام ١٩٤٨م بين فيكتور إيليك «من ليننجراد» وهاري

وولمان «من إستونيا» وفازيلي شماكوف من «تبليزي».

وكانت طريقة فيكتور إيليك في اللعب جديرة بالفرجة، كما كان هدوؤه وقوة احتماله شيئاً رائعاً، وما كان في مقدور أحد أن يهزمه في ذلك اليوم، وهكذا عاد لحمل بطولة البلاد في رمي الرمح، واندفع رياضيو جمعية زينيت لتنهته ومصافحته، وعناقه وتقبيله، وكنا جميعاً جد سعداء من أجله، فربما كنا الوحيدون الذين عرفوا إلى أي حد من الإرهاق كان يتمرن، وبأي مدى من الصبر والمثابرة كان يعد نفسه للبطولة التي أصبحت الآن بين يديه.

وأحرز بوريس ماتفييف النجاح في رمي الجلة، ولم يكن أقل اضطراباً مني بسبب ظهوره بين الكبار لأول مرة، ومع ذلك فقد نجح في قذف الجلة مسافة ٨٤, ١٢ متراً، وكانت تلك ثالث مرة في ذلك الصباح يحطم فيها الرقم القياسي للاتحاد السوفيتي.

واستمرت دورة البطولة أياماً عديدة، وقد رأيت في خارشوف الشيء الكثير المثير، وتعلمت أيضاً الشيء الكثير، وكان أقوى الرياضيين وأكثرهم مراناً قد استطاعوا في هذه الدورة، بعد معارك عنيفة، أن يسجلوا اثني عشر رقماً قياسياً جديداً للاتحاد السوفيتي.

وعدنا إلى ليننجراد في وقت افتتاح المدارس، وكما سبق أن قررت، التحقت بكلية ليننجراد الصناعية، وبذلك لم أعد مجرد تلميذة، وإنما طالبة جامعية، فما أروع رنين هذه الكلمة في أذني!

وأحببت زملائي الجدد في الكلية والمدرسين، وشعرت بمتعة كبيرة في المحاضرات الأولى عن الموضوعات التي كنت سأدرسها:

الميكانيكا والطبيعة الخاصة والرياضيات العليا، وكانت الرياضيات دائماً من العلوم المحببة لدي، وكانت هناك مادة الرسم أيضاً، وأنا بارعة فيها، ووجدت كل إنسان ودوداً معي، وقد قالت لي سكرتيرة منظمة الكومسومول:

- يبدو أنك ستتولين أمر الرياضة هنا. ونحن نريد أن تنضمي إلى لجنتنا الرياضية، فما رأيك؟

ووافقت بسرور، وقد ازداد سروري، وأنا أفكر فيمن سيقع عليهم اختياري لمعاونتي، وكان بين هؤلاء زملاء والزميلات، ليذا إستافيفا، وجاليا ريشوفوفا وأوليج فيوورف، وفوفا شاروفين، وغيرهم من الطلبة من جمعية زينيت الرياضية.

وبدأت الفترة الدراسية قبل انتهاء موسم الصيف الرياضي، وقد التقت المدارس الرياضية في دورة رياضية باستاد دينامو، ومرة أخرى انتصرت مدرسة زينيت الرياضية، وفازت بعدد كبير من المراكز الأولى، وسجلت أرقاماً قياسية جديدة، وحطم بوريس ماتفييف للمرة الرابعة رقمه القياسي في ذلك الصيف، وسجلت رقمًا قياسيًّا ثالثًا برمية مسافتها ٤٥,٥٣ مترًا.

وكان هناك أكثر من رقم قياسي بين الفتيات، ولكن ثلاثًا فقط من الكييرات أجدن في ذلك الموسم، وكنت أنمو بسرعة، وعمًا قريب كنت سأبلغ الثامنة عشرة، ويغدو لي الحق في التصويت.

وتوج الصيف والخريف بحادث سعيد في حياتي، لقد منحت لقب «الامتياز» في الرياضة.

كانت الحرب قد أفسدت ودمرت طفولتي، وجلبت عليّ الكثير
من الشقاء، ولكن كم من السعادة، وكم من الخير والإشراق والبهجة
وجدت في الرياضة؟ إن صباي أوشك على النهاية، وأمامي مرحلة
الشباب، والمزيد من المعرفة والعمل.. والميدان الرياضي الواسع.



الفصل الثاني في الملعب الكبير

تحت النجوم الكهربية

في مستهل عام ١٩٤٩م، تلقينا -نحن رياضيي- لينجراد هدية رائعة، هدية طالما حلمنا بها، لقد غدونا أصحاب أول استاد شتوي في الاتحاد السوفييتي.

إن في لينجراد عددًا من الملاعب المقفولة الفاخرة، ولكن حتى أكثر هذه الملاعب اتساعًا، وأحسنها إعدادًا وعدة، فإن جدرانها وسقوفها تحد من معظم التمرينات والألعاب الرياضية، لا سيما المباريات العامة؛ فطريق السباق لا يكون أبدًا في الطول المناسب المنتظم، وإمكانيات القفز لا تكون أبدًا ميسورة كالتي تتاح في الهواء الطلق، وعندما يقذف أحدنا الرمح أو القرص، فإنه لا يستطيع إلا استخدام نصف قوته، إن لم يكن أقل من نصف قوته، وكان هذا سر لهفة الرياضيين على موسم الصيف؛ حيث يستطيعون القيام بالتمرينات والمباريات في ملعب مفتوح.

وكان الصيف لا يزال بعيدًا، والطقس لاذع البرودة، والرياح الشتوية تهب بعنف، ولكن هذا كله لم يكن يضايقنا، فقد كان لدينا استاد «ملعب مفتوح» في البناية القديمة لمدرسة ميخايلوفسكي لتعليم الفروسية.

إن هذه البناية الضخمة تقع في وسط المدينة تمامًا، بالقرب من فونتايكا، ومشروع نيفسكي، وحديقة الصيف، وقد شيدت منذ مائة وخمسين عامًا في عهد بول الأول، وفي أول أمرها كانت مسرحًا لتعليم الفروسية والاستعراضات، وتغيير طوابير الحرس، وغير ذلك من الشؤون العسكرية، وفي مستهل هذا القرن بُدلت محاولة لإقامة دورة رياضية بها للبطولة.

إن الصور الشمسية لهذه الدورة يمكن رؤيتها في مجلات ما قبل الثورة المصورة، إنها تبين أنصار الرياضة بمدينة بطرسبرج وهم في معاطفهم المصنوعة من الفرو، وفي قبعاتهم وأغطية رؤوسهم، يرتعدون من البرد، وهم يتلاصقون بالقرب من جدران القاعة الضخمة الكئيبة الباردة، وإن إحدى هذه الصور تبينهم وهم يراقبون سباق الدراجات الذي كان سيرجي ألوشكين المشهور مشتركًا فيه، وصورة أخرى تبين مباراة في السلاح، ولكن تلك المحاولات لجعل هذه القاعة الباردة غير المعدة، ساحة للألعاب الرياضية، لم تلبث أن أهملت.

لقد شاهدت مدرسة ميخايلوفسكي القديمة للفروسية عددًا كبيرًا من الناس، فقد زارها فلاديمير إيليك لينين مرتين: المرة الأولى في أبريل عام ١٩١٧م عندما خطب في اجتماع عقده جنود إحدى الفرق المدرعة، والثانية في أول يناير عام ١٩١٨م عندما خطب في أول فصيلة مكونة من الحرس الأحمر لمدينة بتروجراد.

ولم تستغرق إعادة بناء مدرسة الفروسية غير شهرين فقط؛ فقد راح يعمل فيها جيش كامل من البنائين، وتم الآن بناء الاستاد، وأضيئت

واجهته بالأنوار اللألاء، وفتحت أبوابه الواسعة لاستقبال الرياضيين.
لم يكن عليك فقط إلا أن تدخل، وأن تنضو عنك معطفك، وأن تتقدم بضع خطوات لتجد نفسك وجهًا لوجه مع الجو القديم المألوف لملاعب رياضي حقيقي مفتوح، وكان من الصعب أن تصدق أنك في فصل الشتاء، ذلك أن الجو في داخله كان دافئًا، واللاعبين في ملابسهم القصيرة يتمنون على فضاء لامع كالبحر، وفي الوسط ملعب لكرة القدم، وباعة الملابس يتجولون ببضاعتهم بين المتفرجين.

وكان كل شيء هنا -بطبيعة الحال- على صورة مصغرة من الملاعب الكبيرة في الهواء الطلق، ولكن الأمر في جملته كان مثيرًا وممتعًا.

إن طول الملعب الشتوي ١٨٠ مترًا، وعرضه ٤٠ مترًا، وارتفاعه ٩ أمتار ونصف المتر. وهو يبدو على كل حال أكبر من حقيقته، إذ لا يوجد به عمود أو عقد واحد، وإن طريق السباق يبلغ ٢٥٠ مترًا في الطول، منها ١٢٠ مترًا في خط مستقيم ويتفرع منه ثلاثة ممرات.

وقد ساعد حجم هذا الملعب وحسن إعداده على الاحتفال بافتتاحه ببرنامج ضخم منوع الألعاب؛ فقد شاهد المتفرجون سباق الستين مترًا، والمائة متر، وسباق ١١٠ أمتار للحواجز، وتبع هذا عرض فاخر لفريق «الجمباز»، وما إن انصرف هذا الفريق حتى احتل الملعب أبطال القفز ورمي الجلة.

وبدا أن المتفرجين لم يستمتعوا فقط بالمباريات في ألعاب القوى، وإنما استمتعوا أيضًا بمباراة كرة السلة التي كانت بين فريقي معهد

التربية البدنية وبورفسكي، وقد أقيمت المباراة في ساحة فاخرة بجوار ملعب كرة القدم، وكانت هذه الساحة -عند اللزوم- تستخدم لمباريات الملاكمة والمصارعة وحمل الأثقال، أما الملعب الأوسط فهو يتسع لثلاث ساحات للتنس.

وبعد مباريات ألعاب القوى، أقيمت مباراة ودية في كرة القدم بين فريقي دينامو وزينيت، ولم يحدث أبدًا في تاريخ هذين الفريقين أن لعبا في شهر فبراير، حقًا كان اللاعبون يجدون الملعب ضيقًا بعض الشيء، وكان هذا يحد من متعة اللعبة، وقد تحتم أن يهبط عدد اللاعبين في كل فريق إلى سبعة أفراد، ولكن مع هذا كله كانت مباراة في كرة القدم تلك التي رأيناها.. مباراة لم يكن في الإمكان إقامتها في أي ملعب مقفول آخر.

أصبح لدينا استاد.. استاد شتوي فاخر، كل شيء فيه ينم عن العناية التي يُحاط بها الرياضيون.. ابتداء من أجهزة التكييف الهوائية المصممة بعناية، إلى العشب على حافتي طريق السباق.

وكان افتتاح هذا الاستاد قد تحدد في يوم الاحتفال بالعيد الخامس لذكرى النصر في تحطيم حصار الأعداء لمدينة ليننجراد، وقد تحول هذا العيد إلى حفل رياضي فاخر بهيج.

وبعد هذا، كانت ثمة حفلات رياضية دائمًا، أو دورات تمرينية في هذا الاستاد تبدأ في الساعة الثامنة صباحًا إلى منتصف الليل. فإن في مدينة ليننجراد عددًا كبيرًا من الرياضيين، ولكي يتمكن الجميع من التمرين، كان من الضروري تحديد ساعات معينة لكل فريق، وقد

سمح لفريق مدرسة فيكتور إيليك أن يتمرن فيه مرة كل أسبوع ابتداء من الساعة ٤٥, ٣ بعد ظهر كل يوم أربعاء.

وفي أول يوم لتمريننا فيه، وصلنا قبل الموعد بكثير؛ لأننا كنا متلهفين على البدء، فلما دخلت القاعة، لم أعرفها لأول وهلة، فقد بدت أكبر.. أكبر كثيرًا في الواقع؛ ذلك لأن مدرجات المتفرجين كانت قد رُفعت، إذ كانت مصممة لكي تُرفع، وتُطوى، وتُحول إلى حائط ذي قضبان، وكانت تلك فكرة عملية مذهشة حقًا.

وقد رأينا عند وصولنا عددًا من المجموعات يتمرنون.. رأينا عدائي المسافات الطويلة يستخدمون طريق السباق، وقد بدا بوضوح من العرق المتصبب على جباههم أنهم داروا مرات حول الساحة.

وكان وسط الاستاد مشغولًا بصغار الرياضيين من جمعية «داد زيدانوث بالاس»، وكان الصغار يوشكون على الانتهاء من تمريناتهم الجمبازية، وعلى اليمين رأيت يوري اليازوف يتمرن على القفز العالي، وفي الطرف الآخر من الاستاد كان رماة الجلة يتمرنون، وقد خطر لي في أول الأمر أن أكتفي بمراقبتهم، ولكن لم ألبث أن بدأت التمرين معهم.

وكانت غرف الملابس - ككل شيء آخر في الاستاد - رائعة، رحيبة، دافئة، لكل منها حمام برشاش ملحق بها، فإن في هذا الاستاد كل ما يجعل الرياضي مستريحًا راضيًا، فإذا احتاج إلى فحص طبي، فالطبيب موجود، وإذا شاء القراءة فالمكتبة وقاعة المطالعة تحت أمره، وإن أحس بالجوع، فهناك ركن بيع اللبن، وبالملعب جميع الأدوات الرياضية التي تقدم عند الطلب بها، وكان كل شيء نحتاجه في انتظارنا

معداً من قبل، بناء على طلب فيكتور إيليك.

وكان الاستاد يسطع بأنوار ثلاثة نجوم ضخمة، تتركب من مئات المصابيح الكهربائية، وكان الضوء هادئاً على الرغم من سطوعه.. أهدأ بكثير من أضواء الكشافات التي تُعشي الأبصار.. وفي هذا دليل آخر على الاهتمام الشديد بالرياضيين. وقد بدأنا أولاً بالتمارين الجمبازية المعتادة، وكانت ممارستها هنا أفضل بكثير؛ حيث المكان متسع، وحيث يمكن التحرك بحرية أكثر؛ فما أطف الإحساس الذي يخامر اللاعب، وهو يقف على أرض حقيقية!

وجعلنا فيكتور إيليك نجري كثيراً في ذلك اليوم؛ ذلك لأن الجري وثباً يزيد قوة الاحتمال، ويسرع الحركة، ويقوي الأرجل، وهذه كلها من الضروريات للرياضي، وكان من العسير في الملعب المقفول أن نقوم بالتمارين على هذه الصورة، ولكن الأمر هنا يختلف.

وقد فعلنا ما أرد فيكتور إيليك أن نفعله، فتمرنا على جري البدء، أحياناً مسافة أمتار قليلة، وأحياناً مسافة المائة من الأمتار كلها، كما قمنا بجميع التمرينات الأخرى الإضافية، وفي الواقع فعلنا أكثر مما كنا نفعل أحياناً في ملاعب الهواء الطلق.

وبعد راحة قصيرة، بدأنا التمرينات في ألعاب التخصص، وإنها لمتعة حقيقية أن يتمرن الإنسان في استاد شتوي؛ فقد كان ثمة مكان فسيح يكفي لجري البدء، وللتحرك بحرية، وللاستخدام كل قوى الجسم بكاملها.

واتفقنا على أنه قد أصبحت لدينا الإمكانيات الأنموذجية لتدريب

الشتاء، وقبل هذا بنحو شهرين، كانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بالاتحاد السوفيتي، قد تبنت القرار التاريخي القاضي بالعمل على زيادة الاهتمام بالألعاب الرياضية والتربية البدنية، وقد عهد إلينا الحزب بمهمة تنظيم وإتقان قواعد الألعاب، وتسجيل المزيد من الأرقام القياسية العالمية، وكان المطلوب منا كثيرًا، ولكن الذي قدم إلينا كان أيضًا كثيرًا، وفي كرم، وكان افتتاح الملعب الشتوي في ليننجراد من الأدلة على الاهتمام الكبير الذي تحيط به الحكومة السوفيتية الرياضيين، وكان على الرياضيين، جماعات وأفرادًا، أن يشبوا اعترافهم بجميل الحزب والحكومة، فماذا كان في مقدوري شخصيًا أن أفعل؟

لقد كان عليّ أن أعمل كثيرًا قبل أن أسجل أرقامًا قياسية عالمية، ولكن كان في إمكاني أن أفعل هذا بطريقة أسرع إذا أنا أتقنت قواعد ألعابي بنجاح أكبر وأسرع، أي إذا قررت العمل بمزيد من المثابرة لتحسين نتائجي.

ماذا ينبغي أن تكون أهدافي في العام الجديد؟ لقد التمتت المشورة من فيكتور إيليك، واتفقنا على أنني إذا بذلت ما يكفي من الجهد، فمن الممكن أن أصل إلى النتائج التالية في نهاية عام ١٩٤٩ م:

٤٢, ٤١ مترًا في رمي القرص.

٤٨, ٤٧ مترًا في رمي الرمح.

١٤, ١٣ مترًا في رمي الجلة.

وأنتهل الشتاء في تمارينات عنيفة، مع إتقان القواعد الفنية، وصقل

الحركات وتفصيلها، واستيعاب فن التوفيق بين الحركات المختلفة، وتنمية القوة البدنية.

إن الرجل الرياضي لا يستطيع تحقيق النجاح من دون هذا، فمن الواجب أن يعمل دائماً على تقوية ذراعيه وساقيه وعلى زيادة مرونة جسمه. من الواجب أن يتعلم كيف يجري، ويدور، ويقفز بسرعة. وكلما كان أصح وأقوى بدنًا، كان في مقدوره أن يتقن أصول اللعب بطريقة أبسط وأفضل.

لقد تذكرت جيداً ما قاله فيكتور إيليك ذات مرة لي: «إن العمل لا يضيع أبداً»، ومن ثم كنت واثقة من أنني لا أبذل جهدي عبثاً، وأن التمرينات التي كنت أقوم بها سوف تحسن إلى حد كبير نتائجي في الصيف، ولكن لم تكن النتائج الجيدة فقط هي كل المطلوب مني عندئذ.

كما أنني لم أكن أريد في الوقت نفسه أن أتخلف عن دروسي بالكلية أيضاً، فقد كان عليّ أن أدرس مواد كثيرة، وهكذا كنت ألتقى المحاضرات بانتظام، وأقوم بالواجبات الدراسية في البيت، وأتمرّن على العمل بمصنع الأجهزة البصرية.

وكان الكثير من زملائي في جمعية زينيت يدرسون في المعاهد والكليات، ويتعلمون مختلف المهن، ويكافحون للوصول إلى مختلف الأهداف. فنونا مارسوفا وهاري ألكسييف قد التحقا بمعهد للمعلمين، وزويا كورنييفا التحقت بكلية الجغرافيا بجامعة ليننجراد، وفي الجامعة نفسها، ولكن في كلية علوم الأحياء، كانت كل من جوشا كرابردوف

وإيجور كوزلوف بالمعهد، وكانت تامارا جريزيلوفا تدرس لتغدو طبيبة، وكانيا رميانسييفا لتكون محامية، أما بوريس ماتفييف، وساشا جورشكوف، ويوجيني لاتكوفسكي، وناتاشا وياتلوا فقد كن على وشك التخرج من معهد لسجاف للألعاب الرياضية والتربية البدنية، ودياتلوا بهذه المناسبة لم يعد اسمها دياتلوا، فقد تزوجت منذ عهد قريب وغدا اسمها ناتاشا سميرنتسكايا.

ولم يكن كل من جورجي لوكيانوف ويوجيني لاتكوفسكي يكتفي بمعهد واحد، بل كانا يدرسان في وقت واحد بمعهد لسجاف في الجامعة أيضًا، وفي الكلية نفسها وفي الفرقة التي كنت بها كان أوليج تيودورف وجاليا رياشيكوفسكي ونلوديا شارونين.

وكان معظمنا هم الأوائل في فرقهم، وكان أولئك الذين يعملون هم قادة العمال، فإن لوزيا كوليكوفا وليوشا توردوف، ولوبا زاتيسيفا، ودوزيا جريجوريفا كن فخر مصانعهن، لا لما يحرزونه فقط من انتصارات رياضية، وإنما لنجاحهن أيضًا في كثرة الإنتاج.

وانصرم شتاء عام ١٩٤٩م في العمل، وفي التمرين بالاستاد الشتوي، وظلت مدرسة فيكتور إيليك تنمو وتتسع، فقد كان ثمة تلاميذ جدد كثيرون يتمنون في ملعب جمعية زينيت، وكنت لا أكف عن التمرين لتحسين طريقة ألعابي.

وسرعان ما أقبل الصيف، فودعنا الاستاد الشتوي وأنجمه الكهربائية، وخرجنا إلى الهواء الطلق.

مهرجان بودابست

في عام ١٩٤٩م اشترك رياضيو الاتحاد السوفيتي لأول مرة في دورة ألعاب الطلبة الجامعيين العالمية، وكانت هذه المباريات الدولية جزءاً من برنامج مهرجان الشباب العالمي والطلبة الجامعيين، وقد تقرر في ذلك الصيف إقامة المهرجان بمدينة بودابست في شهر أغسطس.

وقبل بدء المهرجان في ١٤ من أغسطس بنحو أسبوع، غادر مدينة موسكو إلى بودابست قطار خاص يحمل المشتركين من الاتحاد السوفيتي. وقد ذهب إلى عاصمة المجر، الموسيقون، والراقصون، والمطربون، والرياضيون، وكان عدد هؤلاء الآخرين فقط نحو مائتين، وقد أحسست بالانفعال وأنا أجد نفسي واحدة منهم. وكان بينهم غيري من مدرسة فيكتور إيليك، ناتاشا سميرنتسكايا «دياتلوف سابقاً» ويوري لوكيانوف.

لقد تمرّنا بعنف من أجل المهرجان، وكانت أكثرنا مراناً ناتاشا، وكانت منذ عهد قريب قد سجلت رقماً قياسياً في رمي الرمح، وهو رقم عال جداً؛ ٤١، ٥٣ متراً، وسوف نطيل الحديث عن ذلك فيما بعد، وكان لوكيانوف أيضاً قد تقدم كثيراً، أما عن نفسي، فقد حطمت مرتين الرقم القياسي للاتحاد السوفيتي للبنات الشابات في رمي القرص، وقد توقف الرقم الآن عند ٤٣، ٤٠ متراً.

وكانت لاقت دعوة الحرب إلى المزيد من إتقان قواعد الألعاب تجاوبًا من جماهير الرياضيين، وكان كل متخصص في إحدى ألعاب القوى، وكل لاعب لكرة السلة، وكل بطل في الجمباز، وكل ملاكم أو مصارع من الذاهبين إلى بودابست له اختصاصه في رياضته.

وأخذ قطارنا يقترب من الحدود المجرية، وكانت الرحلة بهيجة مرحة؛ فقد تفكهنا وضحكنا وغنينا. ومع ذلك كان الواحد منا بين الحين والآخر يستغرق في الصمت والتفكير، لماذا؟ أعتقد أننا جميعًا كنا نفكر في شيء واحد، في مسؤوليتنا، كان علينا في خلال أيام قليلة أن نلتقي بشباب من جميع أنحاء العالم، وهم سوف يقدرّون الشعب السوفييتي عن طريق براعتنا، ووسائلنا في اللعب، وسلوكنا.

واجتاز القطار الحدود في الحادي عشر من شهر أغسطس، وكانت تلك أول مرة أجد فيها نفسي خارج حدود وطني، وفي أول محطة مجرية، أُستقبلنا استقبالا حافلا من عدد كبير من أصدقائنا المجرين، وكان الإفريز مزدحمًا بممثلين من طبقة العمال المجرين ومبعوثين من المصانع المحلية، ومن جمعيات الإنتاج الزراعي التعاونية، ومن الطلبة والتلاميذ.

«تحيا الصداقة السوفييتية المجرية، تحيا منظمة رعاية الشباب».

وهكذا كانوا يحيوننا... وكانت كلمة «إلجين» المجرية ومعناها «يحيا» هي أول كلمة مجرية تعلمناها.

وغادرنا مركباتنا وصافحنا الأصدقاء، وتبادلنا معهم التحيات، وعدنا إلى القطار مرة أخرى محملين بباقات الزهور، وكانت مثل هذه

الاستقبالات تنتظرنا في كل محطة يقف بها القطار، وقد امتلأت مركباتنا بالزهور والخشخاش والورود وذنوب الفرس والدالية والأقحوان.

وبدأ شفق الغروب يهبط بسلام على حقول المجر، ومن بعيد رأينا أضواء بودابست المتألقة، ثم سرعان ما رأينا، شامخًا إلى عنان السماء، خيال النصب التذكاري المهيب المقام على جبل جيلبرت، تخليدًا لذكرى محرري البلاد... المحاربين السوفييت.

كان الميدان خارج محطة السكة الحديدية مكتظًا بالناس، ولم يكن المرحبون بنا من الشباب المجرى فقط، وإنما أيضًا من مبعوثي الأمم الأخرى، وعقد اجتماع ألقى فيه خطب كثيرة، ولكن آلاف النظرات الموجهة إلى مندوبي الاتحاد السوفييتي كانت أبلغ من كل حديث؛ فقد كانت هذه النظرات مفعمة بالحب والتقدير والسعادة والأمل.

وقمنا بجولة في بودابست في صباح اليوم التالي، وكانت المدينة المنبسطة على ضفتي الدانوب تظهر في ثوب أيام الإجازات، وأعلام ثمانية دول ترفرف في شوارعها وميادينها، وكانت الإعلانات الملونة واللافتات ذات الشعارات بكل اللغات ترحب بالضيوف في مدينة بودابست.

وكانت هذه الشعارات تقول:

«من أجل السلام والصدقة بين الشعوب. من أجل مستقبل أفضل للشباب».

وأينما ذهبنا كنا نرى مظاهر المهرجان: ألوان وأنواع من الشباب

من كل الأجناس. وكان رمز هذا المهرجان يمثل الواقع تمامًا، لقد جاء الشباب من جميع الأمم ليشاركوا في مهرجان الصداقة والسلام، ومع أن المهرجان نفسه لم يكن قد بدأ، إلا أننا رأينا فعلاً شبان فيتنام مشغولين في حديث طيب مع شبان فرنسا، وزنجياً يصافح اسكتلندياً، ونرويجية شقراء تعانق فتاة هندية، وتشيكوسلوفاكيين وبلغاريين يحيون مبعوثين للشعب الصيني.

وأقيم حفل الافتتاح الكبير للمهرجان في استاد بودابست، وهو أحسن استاد في مدينة بودابست، إذ كانت مدرجاته تتسع لخمسين ألف متفرج، وبدأ الحفل باستعراض للمشاركين في المباريات الموسيقية والرياضية، وقد استقبل مبعوثو الاتحاد السوفييتي بهتاف حماسي مدوّ. وتلا هذا رفع علم المهرجان وإطلاق آلاف من الحمام، رمز السلام، واهتز الهواء بهتافات الشباب الديموقراطي المتحمس، فكانت لحظة خالدة. وفي الليلة نفسها، أقيمت الحفلات الموسيقية في الميادين، والمسارح، والحدائق ببودابست.

وأنا لن أتحدث عن مهرجان الفن العظيم الذي استمر نحو أسبوع كامل، أو عن النجاح الهائل الذي حققه الموسيقيون والمطربون والراقصون السوفييت، وكذلك لن أحاول أن أصف بالتفصيل كل المباريات التي اشترك فيها جميع الطلبة، فإن هذا كله فوق طاقتي، ولكنني سأحاول فقط أن أصف المباريات في ألعاب القوى التي اشتركت فيها. كانت المباريات الرياضية مقامة على نطاق واسع، إذ كان المشتركون فيها مئات الرياضيين من ١٦ دولة، وكان الفريق المجري

هو أكبر الفرق، إذ كان عدد أفراده يبلغ ٦٩ مشتركًا، وكان فريق الاتحاد السوفيتي يتكون من ٤٩ لاعبًا، والفرنسي ٣٨ لاعبًا، والتشيكوسلوفاكي ٢٩ لاعبًا، وكانت فرق النمسا وبلجيكا والدانمرك وغيرها من الدول الرأسمالية قليلة العدد، ولكنها قوية.

وأقيمت مباريات ألعاب القوى في استاد إيلور؛ في الصباح مباريات التصفية وفي المساء الأدوار النهائية. ولم يكن من العسير على الرياضيين السوفيت أن يصلوا إلى الأدوار النهائية، فمثلاً كانت المسافة اللازمة لرمي الرمح بين النساء هي ٣٦ مترًا، وفي القرص ٣٤ مترًا، وفي الجلة ١٠,٥٠ من الأمتار.

وأحرزت الفتيات السوفيتيات نصرًا في أول مباراة، فقد فازت زويا دو كوفيل ببطولة المهرجان في سباق مائة متر، وجاءت صوفيا مالشينا الثانية، ومن ثم ارتفع علمان سوفيتيان تحية للفائزتين.

وسرعان ما ارتفعت ثلاثة أعلام سوفيتية أخرى؛ ففي رمي الرمح للرجال، فاز الرياضيون السوفيتيون بالمراكز الثلاثة الأولى، فكانت الميدالية الذهبية من نصيب فيكتور أيوفليف، والفضية ليوري لوكيانوف، والبرونزية لإيفان كوبتيوك من دينبروبتروفسك.

واستمر رياضيو الاتحاد السوفيتي في الظفر بالميداليات بعد الميداليات، ولكن هذا لا يعني أن الانتصارات كانت سهلة أو بغير مقاومة عنيفة من الخصوم، ولكن العكس هو الصحيح، فقد كانت المعارك عنيفة في معظم المباريات؛ فإن بطلي القفز الطويل السوفيتيين واجها أخطر المنافسين مثل إدوارد آدماسك من بولندا، ولابدرسون من

فرنسا، وفيكجك من تشيكوسلوفاكيا.

لقد فاز أدامسك، وهو قافز ممتاز، بالمركز الأول بسهولة، ومن ثم دارت رحى المعركة الأساسية حول المركز الثاني وميداليته الفضية، وكان على فولكوف لكي يظفر به أن يستجمع كل قواه وإرادته، وظفر بادانوف من باكو بالمركز الثالث بعد صراع عنيف.

وأقيمت مباراة رمي الرمح للنساء في اليوم التالي، وقد أحرزت ناناشا سميرنسكايا فوزًا باهرًا بمسافة ١٠, ٥١ مترًا فظفرت بالميدالية الذهبية، وسجلت رقمًا قياسيًا جديدًا في دورة ألعاب الشباب، وكانت كودينا -من موسكو- الثانية، ورودندا -من المجر- الثالثة، وجئت أنا الرابعة، ومع ذلك كنت سعيدة؛ لأن هذه النتيجة المتواضعة أضافت ثلاث نقاط لصالح الفريق السوفييتي، وكان نجاح ألكسندرا كودينا في رمي الرمح واحدًا من انتصارات كثيرة أحرزت في الألعاب الجماعية، وكذلك فازت بالجائزة الأولى في القفز العالي، وقد اشتركت كودينا في مباريات كثيرة لألعاب القوى، ورأست فريق الكرة الطائرة للنساء، وظفرت بثماني ميداليات، منها اثنتان ذهبيتان.

إن مباريات بودابست كانت نقطة بدء المنافسة المثمرة الطويلة بين كودينا ومنافستها أولجاجيارماتي، الرياضية المجرية الفذة، وبطلة أولمبياد عام ١٩٤٨م. ولا تزال هاتان الاثنتان تتنافسان على البطولة في رياضتي القفز الطويل وسباق الحواجز.

لقد التقينا منذ ذلك الحين كثيرًا، الأولى تفوز، ثم الثانية، وهكذا، كل منهما تزيد نتائجها تحسینًا، ولكن الذي حدث في عام ١٩٤٩م

بيودابست، هو أن الفتاة المجرية أثبتت أنها الأقوى، وفي سباق الحواجز لمسافة ٨٠ مترًا كانت الأولى لودميلا كريم زاد -من الاتحاد السوفيتي- وكانت جيارماتي الثانية، وكودينا الثالثة، وفي القفز الطويل كانت جيارماتي الأولى، وفالاتيفا فازيليفا من موسكو الثانية، وكودينا الثالثة مرة أخرى.

ولكن كودينا كانت مبتهجة لوجود خصم عنيف لها في شخصية أولجا جيارماتي، فإن الإنسان على الرغم من كل شيء يتعلم من الرياضيين الأقوياء، فإن قوة جيارماتي الرشيقة الرقيقة تكمن في روعة أدائها الرياضي، وكانت كودينا ترقب بعناية كيف كانت جيارماتي تجري وتقفز، فقد كانت لحركات المجرية مظاهر كثيرة لا تغيب عن ملاحظة الفتاة الروسية التي قالت أخيرًا:

- لسوف أستخدم بعض هذه الحيل.

ولم تكن هي الوحيدة في المهرجان التي أرادت أن تتعلم من منافسيها، فقد أتاح المهرجان فرصة رائعة ليتبادل الرياضيون تجاربهم، وكان المشتركون من الشباب يشهدون أداء الرياضيين السوفيت ويتعلمون أيضًا.

فأنا أذكر -مثلاً- الأثر العميق الذي تركته نينا دومباز في الرياضيين والمدربين الأجانب بطريقتها في رمي القرص. لقد رأوا كثيرًا مما يعتبر فنًا جديدًا: الوضع المبتكر الذي تتخذه دومباز في جري البدء وظهرها مستدير نحو اتجاه انطلاق القرص، والسرعة غير العادية التي تطوح بها البطلة السوفيتية جسمها القوي الكبير، والطريقة العجيبة التي تمد بها

قدمها لتظفر بالتوازن، كان من الواضح للجميع أن هذه الحركات لم تتقن في يوم، وأنها كانت نتيجة تجارب شاقة ومران طويل، وقد ثبتت جدوى طريقة دومباز بأحسن رمياتها، فإن القرص طار مسافة ٢٤, ٥١ مترًا.. أبعد من مسافة أي شخص آخر.

لم يكن للبطلة الرياضية السوفيتية الرائعة مثل بين السيدات. فإن المركز الثاني الذي يقل مسافة ٨ أمتار كان من نصيب إليزافيتا باجريانسفيا، أما المركز الثالث فقد نالته كلاديا ثوكينوفا، ومرة أخرى كانت المراكز الثلاثة الأولى من نصيب الفريق السوفيتي.

وكانت كلاديا توكينوفا الأولى في رمي الجلة بنتيجة طيبة هي ٢٩, ١٤ مترًا، وكانت كودينا التي لا تعرف التعب هي الثانية.

وكانت مباراة القفز الطويل للرجال، في أواخر الدورة، من أمتع وأعنف المباريات؛ فالمشركون في الدور النهائي كانوا الرياضيين السوفيت: يوري إليازوف، وفازيلي سيدوركو وكانادي ريش وبعض الرياضيين الممتازين من الأجانب مثل برازوزديسكي من بولندا وستير من رومانيا، وكوفاك من المجر، وبنارد من فرنسا، وكينا وبابا-جالو، وهما زنجيان يمثلان فرنسا أيضًا.

لقد وجد الكثيرون منهم أنه من العسير القفز إلى ارتفاع ٨٥, ١ من المتر، فلما ازداد الارتفاع خمسة سنتيمترات، لم يقفزه غير إليازوف وستير، ومرة أخرى ارتفع قضيب القفز إلى ٩٤, ١ من المتر وجرى ستر بروعة، وقفز، ولكنه أسقط القضيب، واستطاع إليازوف، الرياضي من ليننجراد، أن ينجح في القفز من أول مرة بهدوء وثبات وروعة أداء، وتمكن ستر من

النجاح في المحاولة الثانية ولهذا ظفر بالمركز الثاني بعد إليازوف، ويجب الإشارة هنا إلى أن زميلي الرياضي من ليننجراد كان يشكو من وجع في ساقه، ولولا هذا لوصل إلى نتيجة أحسن دون شك، فإن رقمه القياسي للاتحاد السوفيتي في ذلك الحين كان ٩٩, ١ من المتر.

لقد اشترك الرياضيون السوفيت في ٢٨ مباراة في ألعاب القوى، وفازوا في ١٧ مباراة بالمراكز الأولى، وكذلك فزنا بالمركز الأول كفريق. وكان الفريق المجري هو الثاني، ويليه الفرنسي.

وكذلك أحرز فريقنا للرياضة البدنية انتصارات رائعة في حمل الأثقال، والمصارعة، والملاكمة، والغطس، وكرة السلة، والكرة الطائرة، وقد فاز الرياضيون السوفيت في هذه الألعاب بمائة وأربع عشرة ميدالية ذهبية من ١٣٤ ميدالية مُنحت في المهرجان، لقد رأى الشباب من جميع أنحاء العالم القوة والنشاط والأداء الرياضي للشعب السوفيتي.

وبدأ المهرجان يقترّب من النهاية، ومضينا للمرة الأخيرة إلى جولة في شوارع بودابست الكريمة، وسبحنا في حمامات السباحة الراحية بجزيرة مارجيت، وتمشينا في ظلال الحدائق والمتنزهات بالعاصمة المجرية. وقبل الرحيل إلى موسكو، علمنا بكل بهجة أن اللجنة المركزية للكومسومول قد منحت شهادة الشرف للفريق السوفيتي تقديراً لانتصاراته في المهرجان.

واحتشد جمهور كبير لتوديعنا، وكان هذا مظهرًا آخر لاتحاد القوى التقدمية مع الاتحاد السوفيتي، ولاستعداد الشباب في جميع البلاد للدفاع عن السلام، وودعنا الآلاف من أصدقائنا الجدد، ونحن نأمل في

اللقاء مرة أخرى قريباً.

وفي محطة كييف في موسكو، وجدنا في استقبالنا والترحيب بنا عددًا كبيرًا من المنظمات الرياضية والكومسومول، وقد خطبت ألكسندرا كودينا بالنيابة عن المبعوثين السوفيت:

«إننا سعداء بأن نعلن أننا نحن الرياضيين السوفيت المشتركين في مهرجان الشباب العالمي، قد حققنا ثقة بلادنا فينا، وظفرنا بالمركز الأول، ولكننا لن نقف عند هذا الفوز، وإنما سنحسن استغلال قوتنا ومعلوماتنا ليزداد علم الرياضة السوفيتية ارتفاعًا في سبيل مجد بلادنا الاشتراكية العظيمة».

وفي خلال يومين كنت في ليننجراد، زاخرة القلب بالبهجة لما رأيت في المهرجان، مما جعلني أبادر في إشراك زملائي وأترابي في شعوري.

وكان ثمة شهران على مقدم الشتاء، وقبل أن يبرد الطقس، اشتركت في عدد كبير من المباريات الرياضية، أهمها رمي الرمح؛ لأنني لم أكن قد بلغت التاسعة عشرة بعد.

وفي الخريف ظفرت ببطولة النقابة الصناعية في رمي الرمح، والقرص والجملة بين النقابات، وكانت نتائجي في تحسن دائم، وقد تحقق كل ما استقر رأيي عليه، وفي شهري سبتمبر وأكتوبر، سجلت ثلاثة أرقام قياسية: في رمي الرمح «٦٤، ٤٩ مترًا»، وفي رمي القرص «١٢، ٤١ مترًا»، وفي رمي الجملة «٢٧، ١٣ مترًا».

صديق ومنافس

سيكون لزامًا عليّ أن أchied عن نسق الترتيب الزمني في سرد قصتي، قبل أن أبدأ في وصف أحداث عام ١٩٥٠م، أرى من الواجب أن أعود إلى الورااء حينًا، وأن أرنو إلى المستقبل حينًا آخر لأقدم صورة كاملة للشخصية التي كان لها أكبر الأثر في هذه الأحداث، إنها ناتاشا سميرنتسكايا، وعن صداقتي لها سوف يكون حديثي.

لقد سبق أن ذكرت ناتاشا سميرنتسكايا «دياتلوفًا سابقًا». فعندما التحقت لأول مرة بمدرسة فيكتور إيليك ألكسييف وأنا صبية صغيرة نحيلة، كانت ناتاشا قد غدت فتاة كاملة النضج، ورياضية مدربة، ورامية رمح ممتازة.

وأشك كثيرًا فيما إذا كانت قد أولت أي اهتمام إلى هذه «الجرادة» الصغيرة ذات الضفائر من الشعر الأشقر؟ ولكنني لم أكن أستطيع أن أحول عيني عنها، وسرعان ما أخذت أعرف الكثير عن هذه الفتاة القوية المرححة، وعن كيف التقى بها فيكتور إيليك بباتيجورسك؟ وكيف جاءت إلى ليننجراد؟ وكيف التحقت بمدرسة زينيت الرياضية، ثم بمعهد لسجاف.

وقد شهدت في صيف عام ١٩٤٦م مولد مجموعة كاملة مسلسلة من الأرقام القياسية للاتحاد السوفيتي التي سجلتها بين «الفتيات الكبار»، وكانت أرقامًا في رمي الرمح، والكرة، والجلة.

وبعد عام، أي بعد أن قررت اختيار اللعبة التي سأخصص فيها، وبعد أن أتقنت دقائق أصول رمي الرمح، بدأت التمرن على مجموعة ألعاب ناتاشا نفسها وتعلمت الكثير منها، وكانت ناتاشا ترحب بمساعدة زميلاتنا الصغيرات، وتشرح لهن دقائق فن اللعب، وتقدم إليهن كل ما تعرفه عن هذا الفن.

وفي عام ١٩٤٨م انتقل الرقم القياسي الأخير لناتاشا إليّ أنا في فريق البنات أو الناشئات، وفي الوقت نفسه أخذت أقرب تدريجيًا من أحسن نتائجهما في فريق «البنات»، وأصبحت أخطر منافسة لها في الألعاب الرياضية.

ولم تكن نتائجي الرياضية التي وصلت إليها فقط هي التي تتحسن، وإنما كنت أنا أيضًا أنمو بدنيًا وعقليًا، فمن جماعة «الرواد الصغار» انتقلت إلى منظمة رعاية الشباب «الكومسومول»، ومن تلميذة ثانوية، غدوت طالبة جامعية، وكان هذا هو السبب الذي جعلني أشارك في الميول مع ناتاشا، وأن تزداد الأحاديث المتبادلة بيننا، لا في الرياضة وحسب، بل عن الدروس، والحياة، ومشروعات المستقبل، ونشاط الكومسومول كذلك.

وتوثقت عرى الصداقة بيننا في صيف عام ١٩٤٩م أثناء دورة ألعاب موسكو التي سبقت رحلتنا إلى بودابست، وقد ظللت أتذمر

خائفة من ألا أجيد اللعب بسبب تخلف فيكتور إيليك عن الحضور معنا في بودابست > «لأنه لم يستطع يومذاك الحضور»، وكنت أقول إنني صغيرة للاشتراك في مباريات دولية، وإن نتائجي لا تزال ضعيفة.

وكانت ناتاشا تضحك وتقول:

- ألسنت أصلح لأن أكون مدرباً لك؟ إنني على وشك التخرج في المعهد والحصول على الدبلوم، ثم لا تكوني متواضعة أكثر من اللازم حول نتائجك! عجباً! إنك قد تفوزين عليّ في رمي الرمح!

ولم أستطع أن أفوز عليها يومذاك طبعاً؛ فقد كانت ناتاشا في ذلك الصيف أحسن ما تكون حالاً واستعداداً، وكانت تبذل أقصى جهدها في التمرين لتسجيل رقم عالمي.

وقد تعلمت وأنا أرقبها أشياء كثيرة، ولم تكن هذه الأشياء فقط عن دقائق أصول اللعب التي كنت ضعيفة فيها، وإنما أيضاً عن كيف أكون أكثر صبراً، وكيف أكره نفسي على صقل الحركات.

وكشف لي موسم المران أن كل شيء قد أُعد لتسجيل ناتاشا رقمًا عالميًا، وكانت صاحبة الرقم القياسي العالمي في رمي الرمح في ذلك الحين، وهو ٤٨, ٢١ مترًا «بواما» النمساوية، وكان الرقم القياسي في الاتحاد السوفييتي الذي سجلته كلافديا مايوكايا أعلى بكثير (٣٢, ٥٠ مترًا)، ولكنه لم يكن مسجلًا دوليًا؛ لأن الاتحاد السوفييتي لم يكن في عام ١٩٤٧ م -عندما سجلت كلافديا رقمها- عضوًا في الاتحاد الدولي العام للرياضة البدنية.

وأرادت ناتاشا أن تسجل رقمًا قياسيًّا عالميًّا في مهرجان بودابست، ولكن كانت ثمة ظروف كثيرة منعتها من تحقيق هذه الرغبة: الطقس الرديء، والأرض الموحلة، والرياح، بل كانت مشاعرها أيضًا مضطربة بعض الشيء، وكان هذا كله مما يؤثر على النتائج، ولكن لا ينبغي على الرياضي أن يكف عن العمل لتسجيل رقم قياسي عالمي، طالما أنه يشعر بقدرته على ذلك، إن عليه أن يستفيد من أول مباراة رسمية تتاح له فرصة الاشتراك فيها، وهذا ما فعلته ناتاشا تمامًا؛ ففي خلال دورتنا التمرينية، التقينا مع تشيكوسلوفاكيا في مباراة ودية، وقررت ناتاشا أن تشارك فيها.

وكان عدد قليل جدًّا -بطبيعة الحال- هم الذين يعرفون رغبتها في تسجيل رقم قياسي عالمي، وكنت أنا من هؤلاء القليلين، وقد أحسست بالقلق الشديد من أجل صديقتي.

ولكن ناتاشا، من ناحية أخرى، ظهرت في المباراة على أتم ما تكون هدوءًا، وكانت قبل المباراة قد أدت جميع التمرينات الجمبازية، وتمرنت على الجري بالرمح، وضحكت وتفككت معي، وقد قلت لها قبل أن أعود إلى مكاني بين المتفرجين:

- حالفك الحظ يا ناتاشا.

وسجلت رقمها القياسي العالمي برميها الثانية أو الثالثة، وكانت أبعد ٣٨، ١ من المتر من رقم بواما النمساوية.

وكانت ناتاشا بطبيعة الحال سعيدة، وكذلك كنت، وكم كانت بهجة مدرسة زينيت الرياضية! كان في مقدوري أن أتصور تمامًا ماذا

كان يجري في ليننجراد حين بلغ سكانها أن فتاة منهم سجلت رقمًا قياسيًّا عالميًّا، من المحتمل أنهم أخذوا يرقصون ويتعانقون، ويقبل بعضهم بعضًا.

ولكن ناتاشا نفسها كانت بعيدة كل البعد عن الرضا بما وصلت إليه؛ لقد أرادت أن تحطم الرقم القياسي للاتحاد السوفيتي أيضًا. فعدت إلى التمرين، بضع ساعات كل يوم، مولية اهتمامًا خاصًا بخطوة الالتفاف، وبكيفية وضع ساقها عند رمي الرمح.

وكانت تسألني بين الحين والآخر:

- ما رأيك يا جاليا؟ هل أخطأت؟

ولم أكن أشعر بالارتياح وأنا ألعب دور المدرب لحاملة رقم عالمي قياسي، ولكن لم يكن ثمة مفر من هذا؛ فقد كان فيكتور إيليك موجودًا في ليننجراد مع مدرسته، وكان عليّ أن أصحح أوضاعها بقدر ما أستطيع.

ولم يكن معنى هذا أننا تركنا لأنفسنا تمامًا، فإن كان فيكتور إيليك بعيدًا عنا، فقد كنا نستطيع التماس النصيحة من المدربين المجريين دائمًا، فمثلًا كنت دائمًا ألقأ إلى ديمتري بتروفيك ماركوف الذي كان يمرن تانيانا سيفريوكوفا وأنا أندرييفا، ثم كان هناك أيضًا ليونيد ألكسندروفيتش متروبولسكي مدرب اللاعب البارع أوتو جريجالكا، وكان متروبولسكي يراقبني فعلاً وأنا أتمرّن، ويبين أخطائي، ويقدم لي النصائح والإرشادات اللازمة.

وفي الواقع لم تكن نريد أن نستغل عطف هؤلاء المدربين أكثر مما ينبغي، ومن ثم كنا نتمرن بأنفسنا معظم الوقت.

وقبيل رحيلنا إلى مهرجان بودابست، اشتركت ناتاشا في دورة موسكو لبطولة ألعاب القوى، حيث عقد لها لواء الفوز.

كانت رميتها الأولى قريبة من الخمسين مترًا، والثانية أحسن، ولكنها أحرزت النجاح بالرمية الثالثة؛ فقد طار الرمح مصفراً في الهواء، ثم هبط على مسافة ٤١, ٥٣ مترًا، وكانت تلك نتيجة نادرة.. أكبر من رقم مايوكايا القياسي بثلاثة أمتار، ولا توجد في العالم كله امرأة تستطيع أن ترمي الرمح إلى مثل هذه المسافة.

أما أنا فلم أستطع حتى أن أحلم بالوصول إلى هذه النتيجة، ومع ذلك فعندما كنا عائدتين من بودابست، استدارت ناتاشا إليّ وقالت:

- أتعرفين من هي أخطر منافسة لي؟

فحاولت أن أخمن، وذكرت أسماء كودينا، ومايوكايا، وأنوكينا. ولكنها ابتسمت قائلة:

- لا.. إنكِ أنتِ أخطر منافسة لي.

فرددت عليها قائلة:

- ماذا تعنين؟ عجباً! إن أحسن نتائجي هي ٥٣, ٤٥ مترًا.

- هذا لا يهم.. لسوف تصلين إلى الخمسين مترًا قبل نهاية الموسم. فقلت مداعبة:

- حسنًا.. ربما.. إذا ساعدتني وأضفت إلى رقمي ثلاثة أو أربعة

أمتار من رقمك.

فقلت في لهجة جادة:

- سوف أساعدك حقًا.. ولكن لن تحتاجي لأن يضيف أحد شيئًا من رقمه إلى رقمك.

وساعدتني كثيرًا ونحن نتمرّن معًا، ذلك لأنه بالرغم من تكريس فيكتور إيليك الكثير من اهتمامه بأمر تمريني، فقد كان لديه الكثير من التلاميذ الآخرين، فلم يكن في وسعه أن يخصص كل وقته لي، ليراقب كل صغيرة أو كبيرة في تمريني، ولكن ناتاشا كانت دائمًا بجانبني، لا تغفل عن شيء يبدر مني، فهي تقوّم أخطائي، وتنهرني وتساعدني. واستمرت نتائجي في التحسن، وكانت عندئذ تهنّئي ناتاشا وتمتدحني، ثم تصر على أن في إمكاني الحصول على نتائج أفضل، وإلى هذا الحد كانت تخشاني».

وفي دورة البطولة للألعاب الرياضية للاتحاد السوفييتي عام ١٩٤٩م أصبحت ناتاشا لأول مرة في حياتها بطلة الرمي بالرمح، وكنت الثانية برمية مسافتها ٤٨, ٤٧ مترًا، وبطبيعة الحال شعرت بالبهجة لكوني الثانية بعد حاملة رقم قياسي عالمي، ولكن رقمي بعيد عن خط الخمسين مترًا الذي كنت أحلم به، ودعك من الحديث عن رقم ناتاشا العالمي.

وكانت المنافسة عنيفة بيني وبين ناتاشا في دورة ألعاب الاتحاد الصناعي التي أقيمت بعد ذلك بقليل في مدينة دينبرد تبروفسك، وكنا في مجموعتين مختلفتين، وكانت تلك آخر مرة ألعب فيها مع فريق

الناشئات، وقد اشتركتنا في مباريات مختلفة، وفازت ناتاشا ببطولة «البنات الكبار» وأنا ببطولة الناشئات، وكانت أحسن نتائج ناتاشا في ذلك اليوم ٤٨,٣٠ مترًا فقط، على حين كانت نتيجتي ٦٤,٤٩ مترًا، وكانت تلك حادثة نادرة، إن لم تكن فريدة في نوعها، وكانت نتيجة ناتاشا الضعيفة مجرد مصادفة عارضة، إن جاز لي أن أقول هذا، ولهذا فإنني لم أبتهج كثيرًا بالفوز عليها قدر ابتهاجي لاقترابي من خط الخمسين مترًا، وقد شاركتني ناتاشا في هذا الشعور.

وأخيرًا لم أستطع تجاوز خط الخمسين مترًا إلا في العام التالي، وبعد هذا واصلت التقدم، وسرعان ما جاء الوقت الذي لم يعد فيه بيني وبين الرقم العالمي غير سستيمترات قليلة، والشيء العجيب هو أن حاملة الرقم نفسها كانت طوال الوقت تتقدم أيضًا، ولكنها في الوقت نفسه ظلت تحثني وتدفعني إلى الأمام؛ لأن ناتاشا لم يكن يهمها الاحتفاظ بالرقم، بقدر اهتمامها بأن تزيد عليه فتاة سوفيتية.. أي فتاة.

إنها لم تساعدني فقط في تحسين طريقتي الرياضية، وإنما كانت تعرف كيف تقوي روعي المعنوية عند اللزوم، وفيما يلي مناسبة جديرة بأن أذكرها على سبيل المثال.

أقيمت دورة رياضية ودية في ألعاب القوى بين رومانيا والاتحاد السوفيتي، وقبل المباراة بيوم أصيبت ناتاشا في كتفها أثناء التمرين، وتقرر عدم اشتراكها في مباراة رمي الرمح، ولكنها جلست بين المتفرجين لتكون من أشد المشجعين لي حماسية.

وقمت برمية طيبة، ولكن حدث شيء ما بعد ذلك.. فإنني في

الرميتين التاليتين لم أتجاوز حدود الأربعين متراً، ولم أستطع قط أن أدرك ما حدث لي، ربما كانت الحرارة الشديدة في ذلك اليوم، أو ربما لم أكن في أحسن حالاتي الطبيعية، وعلى أي حال، فإن روعي المعنوية هبطت إلى الحضيض بعد الرمية الثانية الرديئة، وخطر لي أن كل شيء قد انتهى، وأني خسرت المباراة، وأمسكت بالرمح، وتنفست بعمق وأنا أقوم بالمحاولة الأخيرة، وإن كنت قد فقدت الأمل في الفوز.

وعندئذ رأيت ناتاشا تجري نحوي، وكانت غاضبة والشرر يتطاير من عينيها وهي تقول صائحة:

- أهذه هي الطريقة لرمي الرمح؟ أتتبارين من أجل نفسك؟ أم من أجل الفريق؟ ليست هناك أي حماسة في رميتك، كما أن طريقة البدء رديئة، استجمعي قواك كما يجب.

وهبطت كلماتها الزاجرة كالدش البارد على رأسي، فزمت فمي، وأومأت برأسي لها، وانطلقت، وفي هذه المرة استطعت أن أستجمع كل قوتي في القذف، وطار الرمح مسافة أبعد من مسافة أي منافسة، وفزت بالمركز الأول.

وانتهى أخيراً موسم عام ١٩٤٩م الصيفي الرياضي الزاهر بالأحداث، ومرة أخرى فتحت أبواب الاستاد الشتوي للترحيب بنا، وأحسسنا بالبهجة ونحن نلعب تحت أضواء النجوم الكهربائية الساطعة، وتمرننا مع ناتاشا طوال فصل الشتاء، وساعدت كل منا الأخرى، وصرنا صديقتين مخلصتين، وكان يبدو على فيكتور إيليك أشد السرور وهو ينظر إلينا قائلاً:

- حسنًا أيتها الصديقتان الخصمان؛ من منكما ستسجل الرقم القياسي التالي؟

وتمرنا بجهد وقوة؛ فقد كان في انتظارنا امتحان خطير في الصيف التالي، وكان الاختيار قد وقع علينا للاشتراك في دورة الألعاب الرياضية الأوروبية بمدينة بروكسل، وكانت هذه الدورة تعقد مرة كل أربعة أعوام بين الدورة الأولمبية والأخرى، وكنت كالمعتاد خائفة، لا أكف عن الضجر، على حين كانت ناتاشا تضحك وتحفظ بهدوئها.



بطولة أوروبا

كان في مواجهة نافذة غرفتنا بفندق السنترال، مباشرة، منزل مكون من خمسة طوابق، وعلى طنفة الخارجى كان ثمة رجل عجوز ملتصق مصنوع من أنابيب نور النيون يشرب أقداحًا من البيرة الواحد بعد الآخر، وكانت ثمة إعلانات أخرى بنور النيون الساطع في كل مكان حولنا، وكان ضجيج الشارع تحتنا، وهممة المئات من الأصوات، وزعيق أبواق السيارات المتواصل جعل النوم مستحيلًا.

وكنا في بروكسل للاشتراك في بطولة أوروبا لألعاب القوى التي كانت ستبدأ بعد ثلاثة أيام، وعلى الرغم من أن الرحلة الجوية أجهدتني، إلا أنني لم أستطع النوم.

وبعد طعام الإفطار، مضينا بالحافلة إلى الملعب الذي وضع تحت أمرنا، وبروكسل مدينة كثيرة التماثيل، والنافورات، والميادين، وكان أشد ما هالني تلك الأعداد الضخمة من راكبي الدراجات في الشوارع.

وجرينا في الملعب قليلاً.. ولعبنا الكرة الطائرة، وقمنا ببعض تمارين الجمباز، ثم بدأنا التمرين، وكانت المشاركات السوفيتيات في بطولات رمي الرمح والقرص والجملة هن: نينا دومياز، وكلافديا

توكينوفا، وناتاشا سميرنتسكايا، وكيفا شمسكايا، وأنا أندريفا وفيرانا بوكوفا -وهي فتاة موهوبة- وأنا، وكنا جميعاً نشعر بالأسف لأن ألكسندرا كودينا لم تتمكن من الحضور لمرضها، وبطبيعة الحال كنا مهتمات بمعرفة من هن المنافسات لنا على الرغم من أننا عرفنا على الأقل ثلاثة منهن: بواما النمساوية وميشيلين أوسترمير الفرنسية، ودانا زاند بيكوكا التشيكوسلوفاكية.. والاثنان الأوليان كانتا من حاملات الأرقام القياسية العالمية.

وقالت ناتاشا:

- أيًا كان أمرهن... فسوف نكافهن بأشد قوة، ونحن على أتم الاستعداد لهذا؛ بفضل مدربينا الاثنين.

فقلت في دهشة:

- أي مدربين تعين؟ من أين جئت بهما؟

- أنت واحدة.. فقد دربتني.. ودربتك.. وأنا الثانية.. أليس كذلك؟ ولم يكن فيكتور إيليك معنا.. وهكذا تمرنت كل منا بنفسها، محاولة مساعدة الأخرى، ولست أذكر كم عدد الأيام التي انصرمت بعد وصولنا إلى بروكسل عندما صدمنا بنأ مقتل رئيس الحزب الشيوعي البلجيكي جوليان ليو، وكان منظمًا موهوبًا، وخطيبًا ممتازًا، وابنًا بارًا لوطنه، ورفيقًا مخلصًا، وقد قُتل ليو بأيدي الفاشستيين، وقد أثارته هذه الجريمة الدموية أشد الاستنكار، لا بين البلجيكين فقط، وإنما بين الدوائر العالمية أيضًا.

وشُيِّعت جنازة الزعيم البلجيكي المحبوب قبل دورة الألعاب بيوم، وقد شهدها مائة ألف شخص، وشعرنا بالأسف؛ لأننا لن نستطع الاشتراك فيها لأننا ممثلون رسميون، ولكننا بكيناه بقلوبنا، وشاركنا العمال البلجيكيين شعور استنكارهم ومطالبتهم المسؤولين بعاقب المجرمين.

وبدأت دورة الألعاب الأوروبية في الثالث والعشرين من شهر أغسطس باستاد إيزيل، وهو أكبر استاد في بروكسل، وكانت السماء في الصباح ملبدة بالغيوم، وتساقط المطر أثناء ازدحام المدرجات بالمتفرجين. ولكنه سرعان ما توقف، إلا أنه ترك بحيرات صغيرة من الماء في مدرج السباق وفي وسط الملعب، وعلى الرغم من سوء الأحوال الجوية، فقد كانت المدرجات مكدسة بالمتفرجين، نحو ٣٥ ألفاً جالسين، ومثلهم واقفين.

إحدى وعشرون دولة أوروبية كانت مشتركة في تلك الدورة، وكانت أكبر الفرق، وهي فرق إنجلترا وفرنسا وإيطاليا، كل فريق منها يتكون من ٦٠ رياضياً، وكان عدد فريق السويد يزيد على ٤٠ لاعباً، والاتحاد السوفيتي ٣٤ لاعباً، ومن دواعي الأسف أن الفريق المجري القوي تخلف عن الاشتراك في هذه الدورة.

وبدأ الاحتفال باستعراض أمام مقصورة الأمير البلجيكي، وبعد بضع خطب، رفع علم الدورة عالياً.

وكانت المباراة الأولى سباقاً.. ولم يكن سباق المائة متر التقليدي، وإنما سباق الماراثون، وبعد أن دار المتسابقون حول الملعب، تفرقوا

إلى شوارع بروكسل حيث كان عليهم أن يواصلوا السباق لمسافة ٤٠ كيلومترًا (جريًا)، وكان يمثل الاتحاد السوفيتي في هذا السباق فيودسكي فانين وفازيلي جوردنكو.

وفي الاستاد كانت الكشافات الكهربائية مسلطة على سباق الحواجز ورمي الجلة بين السيدات، وفي الدورة الأوروبية السابقة بمدينة أوسلو عام ١٩٤٦م، كانت تانيا سفيريوكوفاف هي الفائزة ببطولة رمي الجلة، تُرى من التي ستفوز بالميدالية الذهبية هذه المرة؟ ومثل الاتحاد السوفيتي في هذه المباراة ناندريفا وتوكينوفاف وأنا، وقد قدمنا إلى أخطر منافسة لنا، وهي أسترمير الفرنسية، وكانت شابة خميرية اللون متوسطة الطول، تضع المنظار على عينيها.

وسبقت أندريفا وتوكينوفاف منافستهما بمرحلة كبيرة، ولكن نتيجة أسترمير كانت أحسن من نتيجتي، وفازت أندريفا ببطولة أوروبا، وجاءت كلافيا توكينوفاف الثانية، وميشيلين أسترمير الثالثة، وأنا الرابعة، وهكذا منحت الميدالية الذهبية لممثلي الاتحاد السوفيتي، وتلقيت أنا الميدالية البرونزية؛ ذلك لأن التقليد في البطولات الأوروبية يقضي بمنح ميداليتين فضيتين للثانية والثالثة، وميدالية برونزية لكل من الرابعة والخامسة والسادسة.

وكنت راضية بمركزي.. فلم يكن ثمة بأس أن أكون الرابعة في بطولة أوروبا وأنا في التاسعة عشرة من عمري.

وما كدت أستريح حتى استدعيت للاشتراك في مباراة رمي الرمح، ومرة أخرى كنت على أرض الملعب، ولكن مع ناتاشا سميرنتسكايا

وفيرانا بوكوفا هذه المرة، وقد قررت أولاً أن أحدد المكان الذي أقدف منه الرمح.. فقد كان هناك سبع وعشرون خطوة في جري البدء بالنسبة لي، وأخذت أحصي عددها ابتداءً من خط المراقبة إلى الفاصل الأسمنتي، فوجدتها خمساً وعشرين؛ أي أقل خطوتين من المسافة التي تعودت أن أجريها بداءة، وكانت كل من ناتاشا وفيرا أسعد حظاً؛ لأنهما تعودتا الجري خمساً وعشرين خطوة فقط عند البدء؛ فماذا أفعل أنا؟

لم يكن ثمة ما يكن أن أفعله، لقد علمت للأسف أن الحكام رفضوا زحزحة خط المراقبة إلى الوراء خطوتين، ونصحوني أن أبذل جهدي في حدود المسافة المقررة، ومن دواعي الدهشة أنه لم يخطر ببالي أن يقابل رجائي هذا البسيط بالرفض، ولكن عليك، كما يقال، أن تفعل في روما كما يفعل الرومانيون.

واشتركت خمس عشرة سيدة في مباراة رمي الرمح، وكانت بواما التي فقدت رقمها القياسي العالمي أمام ناتاشا سيدة صغيرة الجسم مكتنزة في نحو السابعة والثلاثين، ولما توثقت صلتنا بها، وجدناها شديدة المرح، بسيطة، لطيفة، وبدا لنا من رميتها الأولى أن هناك الكثير من أصول اللعبة الذي يمكن أن نعلمه منها، لقد رمت الرمح، بطريقتها الخاصة في رشاقة، ودقة وسرعة.

وصعد من الخمس عشرة سيدة إلى الدور النهائي ست فقط، وكانت ناتاشا أولاهن وتليها بواما، ثم نابوكوفا، زاتويكوف، ولكسبي «من الدانمرك» وأنا؛ فهل ترى سيتغير هذا الترتيب في النهاية؟ كنت واثقة أنه سيتغير، ولكن كيف؟

وكانت رمية ناتاشا الأولى في الدور النهائي ليست رائعة إلى حد كبير، على حين كانت رمية بواما - من ناحية أخرى - أفضل، إذ بلغت مسافة ٤٣,٨٠ مترًا؛ أي أكثر بضعه سنتيمترات من ناتاشا، ورمت كل من نابوكوفا وزاتوبيكوفا وكلسبي وأنا بعد ذلك، ولكن لم تستطع إحدانا أن تصل إلى رقم بواما.

وقلت لناتاشا:

- أعتقد أنك تجرين في استقامة أكثر مما ينبغي.. انتبهي لجري البدء، لقد طلب مني فيكتور إيليك أن أنبهك لهذا دائمًا.
- شكرًا.. سأحاول.

وأجادت ناتاشا في الرمية الثانية كثيرًا، وكان يمكن إدراك جودتها بطريقة انفلات الرمح، وبلغت المسافة ٤٧,٥٤ مترًا، أي أبعد بأربعة أمتار تقريبًا من مسافة بواما، وقد قالت ناتاشا لي باسمة:

- لقد جاءت نصيحتك في حينها.

وفشلت بواما في المحاولة الثانية في تحسين رقمها الأول، على حين زودني نجاح ناتاشا بالتشجيع اللازم، فقذفت الرمح مسافة ٤٢,٨٠ مترًا؛ أي أبعد من رمية كل من نابوكوفا وزاتوبيكوفا.

وفي المحاولة الأخيرة قذفت ناتاشا الرمح مسافة ٤٧,٨٠ مترًا.. عظيم جدًّا، وحسنت بواما نتيحتها عن ذي قبل وجاءت الثانية، وكنت أنا الثالثة، والرابعة فيرانوبوكوفا، والخامسة دانا زاتوبيكوفا؛ مرحت لناتاشا.. لقد أحرزت تلميذة من مدرستنا الرياضية بطولة أوروبا.

وفي ذلك اليوم فاز رياضي سوفيتي آخر بالميدالية الذهبية، إنه ليونيد شيرباكوف بطل سباق الحجل، والخطو، والقفز، وحامل رقمه القياسي السوفيتي، لقد أصبح بطل أوروبا، وكانت مسافته ١٥,٣٩ متراً، أحسن من أي واحد آخر من خصومه، ومن بينهم البطل الأولمبي أهمون.

وكذلك نجح عدد آخر من اللاعبين السوفيت، فقد وصل يوجيني بولاتشيك إلى الدور النهائي في سباق ١١٠ أمتار حواجز، وكان نيقولاي كاراكوف وتلميذه فلاديمير روكاويف بين اللاعبين في الدور النهائي في سباق المائة متر، وكان فيودوزي فانين الثالث في سباق الماراثون.

وقد فاز اللاعبون السوفيت في أول يوم للدورة بثلاث ميداليات ذهبية وواحدة فضية وخمس برونزية، على الرغم من أن هذه الدورات الأوروبية كانت تعقد لتقرير بطولة الأفراد لا الفرق، فقد جرت العادة أن تجمع نقاط أفراد كل فريق معاً. وكانت الصحف تقوم بهذا أيضاً، وقد أعلنت عن نتائج أول يوم أن الفريق السوفيتي في المقدمة، ويليه الفريق الفرنسي، ثم البريطاني.

وما كدنا نعود إلى الفندق حتى بدأ جرس التليفون يصلصل، إن أصدقاءنا في موسكو يسرعون بتهنئتنا.

ولم يكن الجو البلجيكي رقيقاً بنا بأي حال، فقد أمطرت السماء مرة أخرى في صباح اليوم التالي، وفي ذلك اليوم لم أكن أنا وناتاشا مشتركتين في الألعاب، فجلسنا -على سبيل التغيير- نرقب الآخرين وهم يتبارون.

وهتفت لفتاة من ليننجراد، فالتينا بوجدانوف من جمعية بورفسنك الرياضية، لقد وصلت إلى الدور النهائي في مباراة القفز الطويل بأحسن نتيجة، تليها لاسن الهولندية، ثم أوستردال الفنلندية.

وفي الدور النهائي قفزت فالتينا بروعة على الرغم من سوء حالة الأرض، وكانت قفزتها مسافة ٨٢,٥ من المتر، وكانت لاسن الثانية بأقل ١٩ سنتيمتراً، ومرة أخرى الميدالية الذهبية للاتحاد السوفيتي!

وكان الدور النهائي لسباق المائة متر للرجال مشوقاً جداً، فقد كان العدائون الأربعة وهم: سوكاريف السوفيتي وبالي الفرنسي وليسيبي الإيطالي وكيسكا البولندي، قد وصلوا إلى شريط النهاية في وقت واحد، وعقد الحكام جلسة استغرقت ساعة لتقرير الفائز، ولمشاهدة فيلم المباراة، وأخيراً قرروا أن الفرنسي هو الأول، والإيطالي الثاني، والسوفيتي الثالث، وكلهم في زمن واحد هو ٧,١٠ من الثانية، والرابع كيسكا بأقل عشر ثانية في الزمن.

وكنّا في اليوم السابق قد هنأنا وانا زنوبيكوفا على فوزها بالميدالية البرونزية، وها نحن الآن نهنيء زوجها أبيل زيتويك على فوزه بالميدالية الذهبية، فقد أحرز نصراً رائعاً في سباق العشرة آلاف متر.

ولعل أكثر المباريات إثارة تلك التي أقيمت في اليوم الثالث من الدورة، لقد فازت في سباق المائة متر للسيدات البطلة الأولمبية فاني بلانكرز كويهن الهولندية، وكانت الثانية فيمينا سيكينوفا والثالثة زويا دو كوميش، وكلتاهما من جمعية دينالا الرياضية، وفي رمي القرص كانت الأولى نينا دومباز والثانية ريما شامسكاي والثالثة جنتيل الإيطالية،

ولكن رماتنا الرجال كانوا أقل نجاحًا.

وسجل عدد كبير من الأرقام القياسية للاتحاد السوفيتي خلال هذه الدورة، فقد جرت يوجينا سيكنوفا مائتي متر في ٢٨,٨ من الثواني محطمة رقمها القياسي بعشر ثانية، وسجلت يوري ليتويف رقمًا سوفيتيًا جديدًا في سباق الحواجز مسافة ٤٠٠ متر.

وكان سباق التتابع بين الرجال ٤ × ١٠٠ من المباريات المثيرة جدًا. ومما زاد الأمر إثارة الحادث الذي وقع قبل ذلك بيومين.

ففي الدور قبل النهائي خالف أحد العدائين الإنجليز المبادئ باجتيازه ممرًا آخر عند دورانه، وبذلك قصر المسافة لفريقه ثلاثة أمتار، وعلى الرغم من هذا، كان الفريق السوفيتي هو الثاني، وأصبح من حقه دخول الدور النهائي.

ولم يلاحظ الحكام هذه المخالفة، ولكن الفرق الأخرى احتجت، واضطر الحكام إلى إعادة المباراة.

وقال الكثيرون من اللاعبين:

- إن هذا ظلم؛ كان الواجب أن يخرج البريطانيون المخالفون من المباراة، هذا كل ما في الموضوع، لقد فقد الفريق البريطاني حقه في دخول الدور النهائي، فلماذا يعاد السباق؟ لماذا يضطر الفرنسيون والروس إلى إعادة المباراة، وهم لم يرتكبوا أي مخالفات؟

ومع ذلك أعيدت المباراة على كل حال، واتخذت الفرق أماكنها، ثم بدأت الأمور بداية خاطئة من أول الأمر، فأولًا لم يكن أحد من الحكام

موجودًا، ثم ظهر أخيرًا، ولكن لم يستطع أحد أن يجد مسدسًا تطلق منه طلقة البدء، وأخيرًا أعيد السباق، ولكن آمال الحاقدين لم تتحقق؛ فإن الفريق السوفيتي جاء الثاني مرة أخرى، وكذلك وصل الفريق الإنجليزي إلى الدور النهائي، أما الفرق الأخرى التي وصلت إلى هذا الدور في سباق التابع 4×100 فكانت فرنسا وإيطاليا والسويد.

وفي الدور النهائي حصل عداؤونا على أصعب الممرات.. الممر السادس؛ حيث كان أوسع المنحنيات، ورغم هذا فقد استطاع فلاديمير سوكاريف الذي كان يجري أولاً أن يسلم العصا إلى ليف كالييف، وجرى الأخير جيدًا وسلم العصا إلى ليفون ساندز.

وقامت منافسة مريرة بين العدائين في المرحلة الثالثة من التابع، فقد استطاع العداء الفرنسي أن يسبق سانادز الذي سلم العصا إلى كاراكولوف أثناء جري المائة متر الأخيرة.

وكان كاراكوف من نادي دينامو موسكو عداءً ممتازًا فاز في بطولات سابقة بالمركز الأول في سباق المائة متر، ولكنه يعد الآن شابًا.. فكيف فاز في هذه المرة؟

كانت المدرجات تئز بالانفعالات، لقد أثبت كاراكولوف جدارته، لقد استجمع كل قواه واندفع في آخر لحظة سابقًا كل خصومه، الفرنسي، بأربعة أعشار الثانية، وفاز الفريق السوفيتي بقطع المسافة في ٤١,٥ ثانية مسجلًا في الوقت نفسه رقمًا سوفيتيًا جديدًا.

ولما فاز كاراكولوف، ألقى بعصاه بعيدًا، ربما بسبب انفعاله، فطارت إلى مدرجات المتفرجين، وهناك استمر «سباق التابع»،

فقد أخذ كل متفرج يسلم العصا إلى غيره، وسرعان ما وصلت إلى المدرجات العليا، حيث وقعت في أيدي أخلص أصدقائنا وأحد أنصارنا حماسة؛ العمال البلجيكيين، ودوت المدرجات بالتصفيق الهائل.. وكان الموقف رائعاً.

وبحت أصوات المتفرجين من فرط الهتاف والحماس أثناء سباق الخمسة آلاف متر الذي كان صراعاً مثيراً بين التشيكي الرائع، عداء المسافات الطويلة، إيل زاتوبيك، وبين البطل الأولمبي جاستون رايف البلجيكي، وكان رايف في الدورة الأوروبية السابقة منذ أربع سنوات قد فاز على زاتوبيك، ومن ثم كان الأخير مصمماً على الثأر لنفسه، وبعد تقدير فرص كل منهما، مالت معظم الصحف إلى الاعتقاد بفوز رايف مرة أخرى؛ أولاً لأنه تمرن كثيراً استعداداً للدورة، وثانياً لأن الكثيرين اعتقدوا أن العداء التشيكي مجهد بعد أدائه الرائع في سباق العشرة آلاف متر.

ووقف العداءون على خط البداية: زاتوبيك ورايف وميمون أحسن عداء جزائري يمثل فرنسا وغيرهم، وبدأ زاتوبيك السباق في هدوء، متخلفاً وراء الآخرين، ولكنه كان حريصاً ألا يتخلف كثيراً عن رايف.

خمسة آلاف متر! إن هذا يعني الدوران حول الملعب اثنتي عشرة مرة ونصف المرة، ومع ذلك فقد استمر الصراع العنيف بين التشيكي والبلجيكي طوال المسافة، وكانا يتبادلات السبق مرات عدة، وقبل دورة ونصف الدورة من النهاية، بذل رايف محاولة أخرى ليكون في المقدمة، ولكنه فشل، وبدا بوضوح أنه بدأ يضعف، على حين كان زاتوبيك -من

جهة أخرى - يجري وكأنه في بدء السباق، بخطوات واسعة مرنة.
وظل رايف يتخلف إلى الوراء شيئًا فشيئًا، وعندئذ بذل ميمون
محاولة غير مجدية ليلحق بزاتويك الذي كان في الواقع يطير نحو
خط النهاية، لقد اجتازه وهو على بعد أكثر من نصف دورة من أقرب
المنافسين إليه، قاطعًا المسافة كلها في ١٤ دقيقة وثلاث ثوان.

واستمر الصراع بين رايف وميمون الذي اجتاز خط النهاية بعد
زاتويك بخمس وعشرين ثانية، على حين جاء رايف متأخرًا بعشرين
ثانية، وقد سقط على الأرض منهوك القوى.

وانتهت دورة بطولة الألعاب الأوروبية في السابع والعشرين من
شهر أغسطس، وقد أحرز فيها اللاعبون السوفييت نجاحًا ضخمًا،
وفازوا كفريق بالمركز الأول بصورة غير رسمية، وعلى الرغم من أننا لم
نشترك في جميع المباريات، فقد ظفرنا بتسع ميداليات ذهبية، وخمس
عشرة ميدالية فضية، وخمس عشرة ميدالية برونزية، وكان الرياضيون
السوفييت في الدورة السابقة قد نالوا ميداليات أقل من هذا بكثير: ست
ميداليات ذهبية، وأربع عشرة فضية، واثنين برونزيتين، وكنا بطبيعة
الحال سعداء إذ حققنا آمال الوطن المحبوب فينا.

وبعد الدورة، أمضينا مزيدًا من أيام قليلة في بلجيكا، فأخذنا نتفرج
على معالم بروكسل ونمضي في رحلات إلى خارج العاصمة، إلى
وترلو حيث هزم نابليون في عام ١٨١٥م، ولسوء الحظ لم يكن هناك
غير القليل مما يستحق المشاهدة، فلم يكن في مسرح المعركة حتى
مجرد متحف مناسب.

وكنا نريد العودة إلى الوطن بأسرع ما يمكن، ولكن الطيران كان
محظورًا بسبب سوء الأحوال الجوية، حيث المطر الغزير والرياح
العاصفة، ولم يكن ثمة مفر من تأجيل عودتنا.

وقالت ناتاشا ذات يوم:

- إذا استمرت الحال هكذا، فسوف ننسى كيف نقذف الرمح،
ينبغي أن نتمرّن.

وبدأنا التمرين في حديقة دار قنصليتنا، وكان لزامًا علينا أن نواصل
التمرين؛ لأنه تقرر اختيارنا للاشتراك في مباريات أخرى أكثر أهمية في
ذلك العام.



في رومانيا وتشيكوسلوفاكيا

وبعد استاد إيزيل في بروكسل انتقلنا إلى استاد خروشوف في كييف -مسرح مباريات الاتحاد السوفيتي في بطولة ألعاب القوى- فهناك تباريت لأول مرة في حياتي في فريق «الكبار»، ومرة أخرى عقد لواء بطولة رمي الرمح لئاتاشا، وكنت، كما حدث في العام السابق، الثانية، وفي رمي الجلة كنت السادسة.

وفي أوائل شهر أكتوبر، أقيمت مباريات أخرى بين طلبة الكليات في ليننجراد، وكانت كليتنا الميكانيكية ممثلة بكثير من تلاميذ مدرسة زينيت الرياضية، وقد فزنا بطولة ألعاب القوى، وبالمركز الأول في مباريات كرة السلة للرجال. وفي المباريات التي أقيمت باستاد ميديك، حيث كانت الظروف ملائمة، أحرزت نتائج أفضل من التي أحرزتها في بروكسل وكييف، فقد سجلت رقمًا قياسيًا حين قذفت الرمح أكثر من خمسين مترًا لأول مرة في حياتي.

وانتهى الموسم الرياضي الصيفي، ووقع الاختيار عليّ وعلى لئاتاشا للانضمام إلى فريق الرياضيين السوفيت الذاهب إلى رومانيا للاشتراك في مباريات ودية، ولأسباب خاصة اضطرت سميرنتسكايا «لئاتاشا»

للاعتذار عن عدم قبول الدعوة، أما بالنسبة لي، فلم أدر ماذا أفعل؟ ومن ثم استشرت أعضاء لجنة الكومسومول في الكلية، ووضح لي أن غياب أسبوعين أو ثلاثة سوف يؤثر على تقدمي في الدروس، ولكن الرحلة كانت هامة، إنها بمناسبة شهر الصداقة الرومانية- السوفيتية، ووجه اللاعبين الرومانيون إلينا الدعوة للاحتفال بهذه المناسبة. وعدا هذا، فإن مثل هذه المباريات ضرورية أيضاً؛ لأننا نستطيع بها أن نجعل تجاربنا في تناول اللاعبين الرومانيين، وأن نعاونهم على تحسين أصول ألعابهم.

وقرر الأمر إيفانوف سكرتير لجنة الكومسومول قائلاً:

- أعتقد أنه يجب أن تذهبي، فأنت لست متخلفة في دروسك، وعندما تعودين سوف نساعدك لكي تلحقي بزملائك في الكلية، سنعد لك الملخصات ونشرح لك كل ما يغمض عليك.

وقال الآخرون يحذرونني:

- اذهبي، ولكن تذكري فقط أن عليك أن تضاعفي الجهد في الاستذكار بعد عودتك، فلا تنسي هذا!

حسناً! إنني لم أكن خائفة من العمل، ولا سيما أن لديّ أصدقاء يساعدونني، ومنحني المسؤولون في الكلية العطلة اللازمة عندما علموا بقرار اللجنة.

وعدت إلى ساحة الملعب... ولكن هذه المرة في ساحة الاستاد الجمهوري الضخم ببوخارست، وكان قد تقرر افتتاح المباريات في خلال أيام قليلة، وفي أثناء هذه الأيام كنا نتمرن مع الذين سينافسوننا،

وكان أصدقاؤنا الرومانيون أضعف منا في معظم الألعاب، وهكذا وجدنا جميعاً تلاميذ لنا.

أخذت نينادومبار تعلم ليومانولين الحاملة للرقم القياسي الروماني كيف تتمرن على قذف القرص، وبينت كلافديا توكينوفا لأولمبيا سيمبانوكل القواعد الفنية لرمي الجلة، ووضعت أنا أندريفا تحت جناحها إيرينا بوب، على حين أخذت أنا وثيرانا بوكوفا نعلم فتاتين رومانيتين؛ هما: إيلونا ميكولوز وإيفا رايميس - كيف ترميان الرمح.

وكانت صديقتانا الرومانيتان فتاتين في السابعة عشرة، وكلتاهما في السنة النهائية بالمدرسة، وكانت رايميس بيضاء طويلة، على حين كانت ميكولوز خميرية وأقل طولاً، وكان على الاثنتين أن تتعلما الشيء الكثير في فن رمي الرمح، وأهم ما كانتا تحتاجان إليه هو التمرينات البدنية لتقوية أرجلهما وأذرعهما وأكتافهما، ولتكتسبا قوة الاحتمال وخفة الحركة، وقد أكدنا هذه الضرورة لا للفتاتين فحسب، وإنما لممرنهما أيضاً، وقد كتبنا، بناءً على طلب الأخير، برنامجاً للتمرينات التي كنا نمارسها في مدرسة ألكسييف «فيكتور إيليك».

وسألتنا إيلونا قائلة في صوت ينم عن الاحتجاج:

- وماذا عن قواعد اللعبة؟ هل إتقان قواعد اللعبة أقل جزء في

البرنامج؟

وأخذنا في أناة نشرح لهما أن القواعد تقوم على أساس من اللياقة العامة البدنية للرياضي، وأنه من المحتم في التمرين أن ينمي اللاعب إتقانه «لأصول اللعبة» وقوة الجسم في آن واحد.

وتحدثنا كثيراً مع تلميذتنا، ولكن كيف يمكننا أن نشرح كل شيء بالكلمات، ولا سيما أنه قد كان علينا أن نفعل هذا بوساطة مترجم، وللتغلب على هذه المشكلة كنا نطلعهما على كل شيء عندما نذهب معاً للتمرين.

في كل مرة كنا نبدأ بممارسة تمرينات «جمبازية» عنيفة مركزة، ثم نتمرن على جري البدء، وكنا نولي مختلف أنواع القفز العالي أو الطويل الخاص بجري البدء أو غير الخاص به، وبحركات الحجل والخطو والقفز اهتماماً خاصاً، فإن هذه كلها تفيد في تقوية الأرجل.

وكنا ندرس لهما القواعد أيضاً؛ ذلك لأن رايميس وميكولوز كانتا ضعيفتين فيها جداً، فقد كانتا ترميان الرمح بذراعيهما فقط لا بكل الجسم، لقد كانت هاتان الفتاتان لا تعرفان كيفية جري البدء، وإمساك الرمح أثناء الجري، وكان علينا أن نصحح أخطاءهما دائماً، وأن نعهد إليهما بممارسة تمرينات إضافية.

وأثبتت كل من رايميس وميكولوز أنهما تلميذتان قديرتان مجتهدتان، وكان من الممتع مراقبتهما أثناء التمرين، ورؤية حركاتهما وهي تزداد إتقاناً وتمتلىء بالحيوية والنشاط.

وكنا في كل يوم نتمرن ساعتين أو ثلاثاً، وقد أتاح لنا هذا وقتاً كافياً للتعرف على بوخارست، وعلى الحياة الاجتماعية والثقافية للشعب الروماني.

إن العاصمة الرومانية مدينة كبيرة مفعمة بالحيوية والجمال، وكان من أمتع الأشياء في تلك الأيام الخريفية الوضاعة أن نتمشى في شارعها

الرئيس الكبير، جاليا فيكتوريا، وأن نستريح في بعض المتنزهات، وأن نتجول على شاطئ نهر ديداستا الصغير الذي يذكرنا بنهر يوجا في موسكو، وكان ثمة ضاحية سكنية على الضفة اليمنى للنهر، وقبيل الحرب كانت بها مجموعات كاملة من الأراضي الفضاء، أما الآن فقد أصبح في مكانها مبان شائقة وميادين فاخرة، والمباني في بوخارست تقام بمعدل كبير جداً، وهي من ثم تزداد روعة يوماً بعد يوم.

والرومانيون شعب مجتهد نشيط مضياف، وقد رأيت في مقابلاتي مع جميع طبقاته، لا مع الرياضيين فحسب، أنهم حقاً يحبون ويحترمون أصدقاءهم السوفيت.

إنهم شديدي الاهتمام بالثقافة السوفيتية، ففي خلال إقامتنا في بوخارست كانت دور السينما تعرض الفيلم الروسي «القوزاق»، وكان هناك آلاف الواقفين في الطوابير أمام شبابيك التذاكر، وقد رأينا الفيلم مع بعض من أصدقاءنا الرومانيين به، وكانت دار السينما مزدحمة، والمتفرجون يستقبلون بحماس كل منظر في الفيلم، ولا سيما مناظر الرقص والغناء، وقد سمعت هذه الأغاني تردد في الشوارع في ذلك المساء نفسه، كان الناس السائرون في شارع جاليا فيكتوريا يغنون «أنت بقيت كما كنت»، على حين كانت الألحان الأخرى تنثال من النوافذ والمطاعم ومكبرات الصوت في الشوارع؛ إن الرومانيين شعب يعشق الموسيقى، وإن كل فرد فيه تقريباً يعزف على بعض الآلات الموسيقية، وإن أغانيهم لرائعة عاطفية مرحة.

وأقيمت مبارياتنا الودية مع اللاعبين الرومانيين في يومي ٢١،

٢٢، وعلى الرغم من جو الخريف البارد، كانت مدرجات الاستاد الجمهوري مزدحمة بنحو أربعين ألف متفرج.

وتحولت مباريات اليومين إلى مهرجان رياضي كبير، لقد بدأ الاحتفال باستعراض عام على رأسه طابور من معهد الرياضة البدنية ببوخارست، وقد دوى الاستاد بالتحية لمبعوثي الاتحاد السوفيتي الذين ساروا وراء هذا الطابور، ثم تبعهم فريق رومانيا الدولي لألعاب القوى.

وفاز الرياضيون السوفييت، ولكن اللاعبين الرومانيين كان لهم النصر في بعض مباريات معينة، فإن كونستانتين، قاذف المطرقة الروماني انتصر على ممثل السوفييت ألكسندر كاناكي، وكذلك فاز اللاعبون الرومانيون بمسابقتي القفز العالي، والقفز الطويل، ولا أتذكر نتيجة سباق مائة المتر، ولكن لوبا الروماني أثبت أنه عداء ممتاز.

لقد فاز الفريق السوفيتي ببساطة كفريق، ولكن هذا لم يكن الشيء الأساسي، وإنما الشيء الأساسي هو أن تمريناتنا مع الرياضيين الرومانيين قد ساعدتهم على تحسين نتائجهم، وتسجيل عدد كبير من الأرقام القياسية الرومانية الجديدة، فقد قذف مانوليو القرص مسافة ٤٤, ٤١ من المتر ضارباً الرقم القياسي في وطنه بنحو مترين، ورفعت إيرينابوس الرقم القياسي الروماني في رمي الجلة إلى ٤٥, ١٢ من المتر، على حين رمت إيلدنا ميلكوز الرمح مسافة ٧٧, ٤٢ من المتر رافعة الرقم القياسي بأكثر من ثلاثة أمتار، وكذلك حسنت نتيجتها تلميذتنا الثانية الشقراء المرححة إيفا رايميس، وقد هنأتهما مع فيرا بحماس على نجاحهما.

وكان مقرراً أن نقوم بجولة في رومانيا بعد انتهاء المباريات في بوخارست، ولكن كان على الفريق السوفيتي أن يمضي أولاً إلى براغ ليقضي ثلاثة أيام في مباريات ودية مع الرياضيين التشيكيين.

ولم يكن الجو رفيقاً بنا في رومانيا، ولكنه أفسد كل شيء في براغ، إن هواة رياضة الانزلاق هم فقط الذين يرحبون بمثل هذا الجو، كانت درجة البرودة خمس درجات تحت الصفر، وكان الثلج يتساقط طوال الليل، وهكذا تغطي استاد الجيش الذي كنا سنلعب فيه بطبقة كثيفة من الجليد.

ولكن الرياضيين التشيكيين رفضوا مجرد التفكير في إلغاء المباريات، وهكذا أُجلت يوماً، كان اللاعبون التشيكيون خلاله يعملون على إزالة الجليد من الملعب، وقد انتهزنا نحن فرصة التأجيل وذهبنا لزيارة معالم المدينة والكريملين القديم في براغ.

ولم يتحسن الجو في اليوم التالي، فقد ظل قارس البرودة، كما استمر الثلج في التساقط، وإن كان بمعدل أقل، وأقيمت المباريات، ولكن سباق الموانع مسافة ٣٠٠٠ متر تقرر إلغاؤه؛ لأن إحدى الموانع، وهي بركة مائية، كانت متجمدة.

كان استاد الجيش يبدو غريب الشكل في ذلك اليوم ٢٩ من أكتوبر عام ١٩٥٠م، فقد كان ثمة أكوام كبيرة من الثلج في ملعب كرة القدم، وكان الرياضيون يجلسون بجانب نيران مضرمة للتدفئة، وكنا قد أحضرنا معنا من الفندق بطاطين لنلفها حول أجسامنا، ومع ذلك كانت المدرجات مكدسة بالمتفرجين، فما كان ثمة جو -أيًا كانت رداءته-

يستطيع أن يمنع عشاق الرياضة من حضور مثل هذه المباريات.

في مباراة رمي القرص، كانت تشيكوسلوفاكيا ممثلة بجارميلا أنجردفا، وأناستا كوفيكوفا، وقد جاءت الأولى بنتيجة طيبة ٥٠، ٤٢ متراً، ونالت المركز الثالث بعد دومباز ونيان روماشكوفا.

واشتركت جارميلا انجردفا أيضاً في مباراة رمي الجلة، وكانت الرابعة بعد أندرييفا وتكينوفا وأنا، وكانت رامية الجلة التشيكية الثانية جارميلا كوماركوفا متخلفة في هذه الرياضة كثيراً.

وقد أسفت مع فيرانا بوكوفا؛ لأن دانا زانوبيكوفا لم تشارك في رمي الرمح، ففي بروكسل كانت المعركة بيننا وبينها عنيفة، ووددنا لو أننا التقينا معاً مرة أخرى، ولكن دانا لم تكن في براغ، وإنما كانت تستجم في مكان هادئ.

وكانت أمامنا منافستان صغيرتان: زاكوفا ودلفوفا، ولكن لم تصل إحداهما إلى مسافة الأربعين متراً، وهكذا انحصرت المعركة بيني وبين فيرا التي فازت فيها.

وفيما نحن نودع أصدقاءنا التشيكيين، طلبوا منا ضاحكين أن نغفر لهم سوء الأحوال الجوية، نعم.. لقد خذلنا الجو حقاً.. ولكن كان علينا أن نشارك في عدد كبير من المباريات الأخرى في المستقبل.

وعدنا إلى رومانيا.. وفي أول محطة داخل حدودها انقسمنا إلى ثلاث مجموعات ذهبت إلى مدينة ستالين، وكلوج، وفيميسورا، وكنت في المجموعة التي ذهبت إلى كلوج.

إن كلوج هي ثاني مدينة في رومانيا، وهي عاصمة إقليم ترانسلفانيا الذي على حدود المجر، وفيها جامعتان: جامعة رومانية وأخرى مجرية، وكثير من المنشآت الصناعية، منها أكبر مصنع للأحذية في البلاد، وقد زرناه.

ورحب عمال هذا المصنع بالرياضيين السوفيت، وأطلعوهم في زهو على سير العمل في مختلف الأقسام. وعدا الأحذية، ينتج المصنع الأصناف المصنوعة من الغراء، وقد أعجبنا بوجه خاص بالصدرات الجلدية المطرزة بصورة جميلة، وهي جزء من الملابس الوطنية في الريف الروماني.

وهنا كان الجو أشفق بنا، وفي اليوم الذي التقينا فيه والرومانيون في مباراة استعراضية، كان دافئًا جافًا، وهكذا ازدحم الملعب المحلي بالمتفرجين.

واستقبلت براءة اللاعبين السوفيت بحماس شديد من الطبقة العمالية بمدينة كلوج، وقد كنت أنا أول من تلقى الهمزة، وقبل أن أستعرض براعتي أيضًا، ذلك أنه قدم إلى كل منا باقة زهر كبيرة، وطبقًا للتقاليد المتبعة أخذنا نثر الزهور على المتفرجين، أما أنا، فإني لم أرغب في تمزيق شمل باقتي، ولهذا قررت أن أقذف بها كاملة إلى المتفرجين، فانطلقت إلى قرب المدرجات التي كانت أشد انحدارًا أو أكثر ارتفاعًا هنا منها في أي استاد آخر، وطرحت الباقة وقذفت بها مسافة ثلاثين مترًا، وابتهج المتفرجون بهذا، وصفقوا طويلاً، وقد سميت رميتي هذه «بطاقة الزيارة» من اللاعبين السوفيت.

وكانت مبارياتنا في كلوج ناجحة؛ فقد تبارينا ضد الفريق الروماني الأهلي المؤزر بعدائين وقفازين ورماة محليين.

وبعد المباراة، عقد اللاعبون الكلوجيون مؤتمراً لمناقشة الوسائل المؤدية إلى دراسة قواعد اللعب السوفيتي، وقد دعينا لحضور هذا المؤتمر، وقام مدربونا وأساتذة الرياضة بيننا بإلقاء الأحاديث والإجابة عن الكثير من الأسئلة.

وعقدت مؤتمرات مماثلة في مدينتي ستالين وتيميسورا، أما في بوخارست، فقد ألقى مدربونا محاضرات في المعهد الجمهوري للتربية البدنية.

وأخيراً عادت مجموعات اللاعبين السوفيت الثلاث إلى بوخارست؛ للاشتراك في الذكرى السنوية الثالثة والثلاثين لثورة أكتوبر الكبرى، وفي اليوم السابع من شهر نوفمبر أقمنا حفلة مساءً في فندقنا دعونا إليها الرياضيين الرومانيين رجالاً ونساءً. وبعد العشاء أقيمت حفلة راقصة.

وأدى كل من فولوديا كازانتيف وزويا دوكوفيتش رقصة روسية، ولينا جوكيللي رقصة جورجية، وانتظر الجميع أن تؤدي يوجيني بولانشيك - من كييف - رقصة أوكرانية تسمى «جوباك»، ولكنه بدلاً من هذا أدى رقصة غجرية عجيبة، ورقص الرومانيون أيضاً، وقد أعجبنا بصفة خاصة رقصة «الوسادة الصغيرة» المرححة التي تعلمناها فوراً، ثم أخذنا نمارسها طوال ندوتنا على الدفوف.

وبعد أيام الإجازات رحلنا إلى بلويستي لنقوم باستعراض رياضي

أمام عمال البترول هناك، وفي بلويستي استطاعت أنا أندريفا من نادي دينامو بالاتحاد السوفيتي وبطلة أوروبا - أن تسجل رقماً قياسياً عالمياً جديداً في رمي الجلة.

كان الرقم القياسي العالمي الرسمي ١٤,٨٦ من المتر، سجلته كلافديا توكينوفا عام ١٩٤٩م، وكان الرقم القياسي السوفيتي أحسن منه بثلاثة سنتيمترات، وكان قد سُجل على يد تانيانا سيفريوكوفا في عام ١٩٤٥م قبل انضمام الاتحاد السوفيتي إلى الاتحاد الرياضي الدولي.

إن توكينوفا وسيفريوكوفا وأندريفا كن راميات جلة رائعات، ولكن لم تستطع إحداهن أن تتجاوز خط الخمسة عشر متراً، ولكن حدث هنا، في بلويستي، أخيراً، أن استطاعت أنا أندريفا برميها القوية جداً أن تصل إلى هذا الخط، بل تتجاوزه أيضاً، فقد كان الرقم القياسي العالمي الجديد ١٥,٠٢ من المتر.

لقد سجل الرياضيون السوفيت، رقمين جديدين للاتحاد السوفيتي أثناء وجودهم في رومانيا.

فالعداؤون السوفيت ضربوا رقماً جديداً في سباق التتابع ٤×٢٠٠، على حين استطاع الشاب فيكتور تيبولنكو من كيف أن يرمي بالرمح مسافة ٣٧,٧٣ من المتر، وقد سُجِّل هذان الرقمان في مدينة جاسي، حيث توقفنا للمباراة أثناء عودتنا إلى موسكو.

وانتهت رحلتنا إلى الدولتين الصديقتين، وودعنا على الحدود أصدقاءنا الرومانيين.

لقد تركت هذه الرحلة في نفسي انطباعات كثيرة، فرأينا كيف تتقدم شعوب الدول الجمهورية وتزدهر، وكيف يتجهون باضطراد نحو الاشتراكية، ورأينا أن الألعاب الرياضية هناك تلقى رعاية كبيرة من الحكومات، وأحسست بالسعادة وأنا أرى الروابط بين الاتحاد السوفيتي والديموقراطيات الشعبية تزداد قوة.

وبعد أيام ثلاثة أخرى كنا في ليننجراد... في الكلية، وأسرعت إلى استيعاب ما فاتني من دروس، فقد كنت متخلفة بعض الشيء، وكان عليّ أن أعوض ما فاتني.



اليوبيل للمدرسي

وسارت الحياة في مدرسة فيكتور إيليك كالمعتاد، فكنا نلتقي إما في ملعب زينيت المقفل أو في الملعب الشتوي، ونتمرّن، ونكرس كل وقتنا لإتقان فن اللعب الذي من دونه لا يمكن الحصول على نتائج مهمة في الميدان الرياضي.

لقد أصبح لدينا الآن في المدرسة الرياضية عدد أكبر كثيرًا من حاملي الأرقام القياسية، مما كان لدينا منذ ثلاثة أو أربعة أعوام، وقد ظفر الكثيرون منا بانتصارات دولية لصالح البلاد، ولكن فيكتور إيليك كان يسوي بيننا جميعًا ولا يحابي أحدًا، يجب أن نواصل المران، هكذا قال، وأن نحسن طرائق لعبنا، وأن نواظب على النظام وحفظ المواعيد، وأن نفعل ما يعهد إلينا فعله.

ولم يكن هناك من يجادل في هذه الواجبات، فهي مفهومة تمامًا وتعتبر كقانون غير مكتوب للجميع، ولا يمكن أن يكون الأمر غير هذا في فريق متماسك.

لقد توطدت بيننا جميعًا وشائج صداقة قوية، ولم تكن هذه الصداقة في ميدان المباريات أو التمرين فقط، فقد كان الكثيرون يعملون معًا أو

يدرسون فحسب في الكلية نفسها، كنا نحب أن نستجم ونمرح معاً، وتعودنا أن يزور بعضنا بعضاً، ولكن أحسن ما كان يبهجنا هو الاجتماع في حفلة المدرسة السنوية.

وكانت الحفلة تقام عادة في أوائل العام الدراسي، وكانت تبدأ أولاً بتقرير عما تم وما سوف يتم، وعادة كنا نعد مجلة حائط ضخمة برسوم كاريكاتورية وشعارات مختلفة، وأن نقدم حفلات موسيقية، وفي ذات مرة عرضنا فيلمًا يصور الحياة في المدرسة، وكان هذا الفيلم قد أُعد بوساطة هواة التصوير في مدرستنا، وكنا دائماً ندعو آباءنا إلى هذه الحفلات.

وفي عام ١٩٥١م انتظرنا هذه المناسبة بشوق خاص؛ لأنها كانت العيد السنوي الخامس عشر لمدرستنا. نعم، كان عمر مدرسة فيكتور إيليك الرياضية قد بلغ الخامسة عشرة، وذلك أنها أسست عام ١٩٣٦م في اليوم الذي سجل فيه فيكتور إيليك أول رقم قياسي سوفيتي في رمي الرمح، وقد أُحيط حامل الرقم الجديد بعدد من الصغار المتحمسين الذين أخبروه أن كثيرين منهم مشوقون للرياضة، وأنهم يريدون أن يتعلموا أصولها وقواعدها.

وقال لهم فيكتور:

- حسنًا سوف نحاول.. كونوا هنا في ظهر الغد.

وأقبل إلى الملعب في اليوم التالي نحو عشرة صبيان، كانوا هم أول تلاميذ فيكتور والنواة التي نمت حولها المدرسة.

ولم تكن للمدرسة في سنواتها القليلة الأولى أي موارد خاصة

بها، ولا رصيد أو كيان رسمي، وإنما كان فيكتور يعلم الصغار بموارده الخاصة، ثم أخذ عددهم يزداد باطراد.

ومع مرور الزمن، بدأ تلاميذ فيكتور يكتسبون سمعة طيبة بالفوز في كثير من المباريات الرياضية المحلية، بل وتسجيل أرقام قياسية محلية أيضًا، ومع ذلك لم يكن هناك تفكير في تنظيم المدرسة رسميًا، ولم تكن إدارة التعليم العام تريد أن تتبناها؛ لأن تلاميذ فيكتور لم يكونوا من طلبة المدارس فقط، وإنما أيضًا من العمال، وكذلك رفضت أي جمعية رياضية أن ترعاها بسبب وجود طلبة المدارس بها، وعدا هذا كانت هناك مشكلات «إقليمية»، فتلاميذ فيكتور كانوا يأتون إليه من جميع أنحاء ليننجراد وحتى من ضواحيها، وطبقًا للنظم المتبعة، كان على التلاميذ أن يلتحقوا بالمدارس التابعة لأحيائهم فقط.

ولم يكن فيكتور إيليك، على أي حال، مبالًا لإغلاق أبواب المدرسة التي أنشأها لأسباب كهذه، فكان يقبل كل صبي أو فتاة يبشر استعداده بأنه سيكون رياضيًا ممتازًا، ولم يقتصر الأمر على هذا فقط، وإنما كان يطلب من كل تلميذ عنده أن يعشق الرياضة، وأن يكون مستعدًا للمران في صبر ومثابرة.

ولما قرر أن يكرس حياته لإعداد وتمارين عدد من الرياضيين احتياطيًا، من الشبان الذين يمكن أن يحلوا محل المتقاعدين، أبقى أن يسمح لأي عقبة أن تمنعه عن المضي في هذا السبيل، ولم يكن للمدرسة كما سبق أن ذكرت أي مبنى أو معدات خاصة بها، كما أن فيكتور لم يكن يكافأ ماليًا على عمله، على الرغم من الوقت والجهد

الذين كان يبذلهما في ابتكار الوسائل الجديدة الفعالة لتمارين الجيل الجديد من الرياضيين.

وفي تلك الأيام كانت هناك «نظريات» مختلفة عن وجوب وضع حدود ثابتة لرياضة الصغار، وكان فيكتور على كل حال يعرف تمامًا، عن طريق تجاربه، أن من الممكن تنمية القوة والمرونة والقدرة على الاحتمال عندما يكون الإنسان صغيرًا، فمن العبث محاولة تنمية هذه الصفات بإعطائها جرعة جرعة كالصيدلي، ولهذا كان ينصح الصغار من الصبيان والبنات بأن يبذلوا كل ما في وسعهم، ويعملوا كل ما تسمح به قوتهم البدنية، وقد شرع في تنفيذ ذلك بطريقته الخاصة.

وكذلك لم يكن فيكتور يرى أي فائدة في دفع الرياضي الصغير إلى التخصص في لعبة واحدة في المراحل الأولى للتمرين. إن ما كان يستهدفه فيكتور هو تقوية أبدانهم تقوية عامة، وإن الامتياز في الرياضة، والأرقام القياسية المسجلة، ما هي إلا نتيجة مباشرة للياقة البدنية العامة الممتازة لتلاميذه.

ومرت سنوات عديدة واستمرت المدرسة في النمو، وظفرت بالتقدير والشهرة، وفي عام ١٩٤٥م أصبحت فرعًا من مدرسة التربية البدنية للأحداث التابعة لجمعية زينيت الرياضية، وقد حققت المدرسة في سنواتها الخمس عشرة من الانتصارات ما جعلها مضرب المثل بين المدارس الرياضية الأخرى.

وأخيرًا جاء يوم الاحتفال بيوبيلها، فاجتمعنا مساءً في إحدى قاعات نادي فيبورج، وكنا جميعًا الأسرة الرياضية الكبيرة المتماسكة بما فينا

تلاميذ فيكتور إيليك القدامى، وكانوا جميعاً أكبر مني سنّاً «متقاعدين»، كما كان بيننا أيضاً تلاميذ جدد، صغار انضموا إلى المدرسة منذ شهر أو أقل، وكان معنا «رواد صغار» وأعضاء في منظمة رعاية الشباب، وشيوعيون. لقد كان الزمن يجري؛ فإن الكثيرين ممن كانوا طلبة منذ عهد غير بعيد، أصبحوا مدرسين، وأطباء، ومحامين، وعلماء، ولكنهم أبوا أن يقطعوا صلتهم بالمدرسة، واستمروا في حضور دروسها.

وكنا قد أزمعنا أن نجعل اليوبيل حفلة خاصة، ولكننا لم نتمكن من هذا. فإن الكثيرين من أعضاء المنظمات في ليننجراد أعربوا عن رغبتهم في الاشتراك فيها، ولهذا كان عدد الضيوف كبيراً.

وكان على فيكتور إيليك أن يقوم بهذه المهمة الحساسة، وهي تقديم التقرير عن نشاط المدرسة، وهي حساسة لأنه كان من العسير عليه ألا يبدو فخوراً مزهوّاً بمدرسته، ولم يكن الأمر عسيراً فحسب، بل مستحيلاً، ومع ذلك فإن الحقائق والأرقام التي قدمها أبانت أن مدرسته قد أصبحت حقاً معهداً لتخريج الأبطال الرياضيين، فإن مائة وخمسين تلميذاً بها ظفروا إما بالوسام الأول أو الثاني من طبقة العمال والمدافعين، وكان أكثر من نصفنا رياضيين من الدرجة الأولى، وسبعة منا يحملون درجة «الأستاذية» في الرياضة.

وسجل تلاميذ المدرسة ١٧٠ رقماً قياسياً محلياً وسوفييتياً، منها ١٨ رقماً في عام ١٩٥٠م فقط، ولم يكن بيننا فقط حاملو البطولة بمدينة ليننجراد، وإنما أيضاً كان بيننا حاملو البطولة في الاتحاد السوفييتي، وفي أوروبا، وعدد كبير من الحائزين على الجوائز الكبرى في المباريات الدولية المهمة.

كان لدينا كل ما يشير فخرنا، ولكننا مع هذا كنا أبعد من الشعور بالرضى والقناعة، وقد عبر فيكتور إيليك عن شعورنا في تقريره حين قال:

«ينبغي أن نكافح للوصول إلى نتائج رياضية أفضل، إن كلامنا ابتداء من الجديد إلى حامل الرقم القياسي إلى صاحب «الأستاذية» في الرياضة، يجب أن يواصل التمرين في مثابرة؛ إن ما هو حسن اليوم، يمكن أن يكون أحسن غدًا».

وبعد التقرير، سمعنا أحاديث ممثلي الجيلين في مدرستنا، وكان أول المتحدثين يوري لوكيانوف، وهو أحد تلاميذ فيكتور الأوائل، وقد أصبح الآن مساعده بعد أن تخرج من معهد أبحاث التربية البدنية بلينجراد، وحدثنا لوكيانوف عن كيفية إنشاء المدرسة، وكيف نمت، وكيف ساعدت التمرينات التي قام بها التلاميذ فيها على قدرة الكثيرين في الدفاع عن وطنهم أثناء الحرب الوطنية الكبرى، وكيف ساعدتنا الرياضة في الدراسة والعمل، وامتدح المتحدث فيكتور إيليك، صديقنا ومعلمنا، وشكر له، نيابة عن جميع التلاميذ، كل ما قدمه لهم من خدمات.

وكان المتحدث الثاني ساشا كوردتكين، وهو غلام حصل على رقم قياسي مدرسي ممتاز، وقد قال:

- هناك أشخاص يظنون أن فيكتور إيليك يقصر القبول في مدرسته على أحسن الرياضيين استعدادًا ومرانًا، ولكنني أقول عن علم إن هذا ليس كذلك، إن عشاق الرياضة هم المسموح لهم بالانضمام إلى المدرسة؛

أولئك الذين لهم «شهية» للرياضة كما يقول مدربنا المحبوب.

وكان غريبًا حقًا أن يقال، كما يقول بعض الناس ادعاء، إن فيكتور إيليك يختار فقط الصغار الأقوياء البنية، فلنأخذ على سبيل المثال جريشا كرابروف الذي أصبح بطل الاتحاد السوفيتي في رمي المطرقة بين الناشئين، فعندما التحق بالمدرسة كان يعاني من مرض صدري خطير، وقد حذره الأطباء من ممارسة الرياضة، ولكن فيكتور إيليك أصر على أنه في الإمكان تدريب جريشا على الألعاب الرياضية إذا وضع له برنامج خاص للتدريب تحت إشراف الأطباء، وقد ساعدت الرياضة جريشا في التغلب على مرضه، وظلت قوة الغلام تنمو حتى أحرز نتائج حسنة في الألعاب الرياضية، وهناك ناتاشا سميرنتسكايا كمثال آخر، إنها لم تكن طويلة القامة، ولما التحقت بالمدرسة لم تكن أيضًا قوية أو خفيفة الحركة، أو مثلي أنا، ماذا كان شكلي منذ خمسة أعوام؟ لقد اضطروا لإرسالني إلى الريف لأشرب اللبن حتى أزداد قوة.. لا، إن فيكتور إيليك لم يكن يسعى فقط إلى التلاميذ الأقوياء، وإنما كان يختار الذين لديهم الاستعداد في أن يكونوا أبطالاً رياضيين.

وبعد ذلك ألقى ممثلو الكومسومول أحاديثهم، وتلاهم ممثلو الهيئات والمنظمات الرياضية، وكلهم هناؤا المدرسة وتمنوا لها ازدهار أعمالها في المستقبل، وقدمت اللجان المركزية والإقليمية لجمعية زينيت الرياضية، ولجان المدينة الإقليمية للكومسومول الهدايا ودبلومات الشرف إلى فيكتور إيليك وتلاميذه.

وانتهى الجانب الرسمي من الاحتفال، وأسدل الستار على آخر فاصل في البرنامج الموسيقي، وجاء أخيراً دور الرقص والغناء، والحرية في التمشي حول القاعة، والجلوس لتبادل الحديث مع الأصدقاء.

كان ثمة مرح وطرب كثير في المجموعة التي تحلقت حول لوكيانوف الذي بدأ لعبة؛ عن أي من الأعضاء يستطيع أن يذكر أطرف حادث في حياتنا المدرسية.

وقال شخص ما:

- أتذكرون كيف كان يورا إيونوف ينوي أن يقوم بتمرين ٣٠٠ مرة؟
وضحك الباقيون.

كيف يمكن لأي شخص أن ينسى هذا؟! فعندما أقمنا في استراحة جزائر كيروف، عهد فيكتور إيليك إلى الكثيرين منا بتمرينات خاصة للقيام بها، وكان على يورا إيونوف أن يقوم بتمرين معين ثلاثين مرة في اليوم، ولكيلا ينسى كتب الرقم «ثلاثين مرة» في قصاصة ورق وربطها في السرير، وفي صباح اليوم التالي نهض من الفراش ونظر إلى الورقة، وفزع حين وجد الرقم «ثلاثمائة مرة».

ولم يستطع يورا في أول الأمر أن يفهم شيئاً، لقد نظر إلى الرقم، ثم إلى أصدقائه، ثم إلى الرقم مرة أخرى، وأخيراً لم يستطع أصدقائه أن يتمالكوا أنفسهم، فانفجروا ضاحكين، وقد ضحكنا كثيراً ونحن نذكر هذه الأطروحة.

وقال أحد اللاعبين القدامى:

- ليحدثنا لو كيانوف الآن عن كيف أثار الفزع في قلب جدته؟

كان لو كيانوف منذ أعوام قليلة سابقة ضعيف الذراعين والكتفين، وقد نصحه فيكتور إيليك بالمشي على يديه، قائلاً إن هذا أفضل تمرين لتقوية الذراعين، وأسرف لو كيانوف في ممارسة هذا التمرين، فكان يكثر من المشي في البيت وساقاه مشرعتان في الهواء، بحيث امتلأ قلب جدته بالخوف عليه من أن يعتاد على هذا.

ثم تذكرنا كيف أراد بوريس ماتفييف -أحد أبطالنا في رمي الجلة والقرص- أن يصبح ملاكماً.

ولما التحق بالمدرسة الرياضية، أخبر فيكتور إيليك أنه مهتم بالملاكمة، وأنه «يحتقر» الرياضيين، ولم يكن في مدرستنا فريق للملاكمة، وأكثر من هذا، لم يكن لدى بوريس أي استعداد جسماني للملاكمة، ولكن فيكتور إيليك شعر بميل نحو الغلام، وقرر أن في مقدوره أن يجعل منه رياضياً ممتازاً، ولكي يغري بوريس بالبقاء في المدرسة، أحضر قفازي ملاكمة، وبدأ يمرنه، وفي الوقت نفسه أخبر الغلام بأنه إذا أراد أن يكون ملاكماً ممتازاً، فإنه ينبغي عليه أن يمارس تمارين رياضية إضافية، وشيئاً فشيئاً، نجح في أن يجعل بوريس يهوى ألعاب القوى، ولا سيما رمي القرص والجلة، وفي النهاية هجر بوريس الملاكمة، واتجه إلى الألعاب الرياضية.

واستدار أصدقائي نحوي أيضاً وتذكروا أول رحلة لي معهم إلى أولجينو، وقالوا لي:

- حدثينا كيف حاولت أن تتقني التخصص في ثلاث لعبات في يوم واحد؟ نعم، لقد كنت حمقاء في ذلك اليوم، ولكنني أستطيع الآن أن أضحك من حماقتي يومذاك.

ومن القاعة المجاورة لنا، سمعنا نغمات رقصة الفالس، فمضينا إلى المراقبة، واستمرت الحفلة.



أطفال من دول مختلفة

اشتركت في مباريات كثيرة في صيف عام ١٩٥١م، فالإنسان عادة يختبر قواه في المباريات، ويشحذ إرادته للفوز.

وأحب أن أتحدث عن المباريات المهمة التي اشتركت فيها خلال ذلك الصيف، وأولها دورة الطلبة الجامعيين الدولية، وقد أقيمت هذه المرة في برلين.

لقد استقبلنا شباب الجمهورية الألمانية الديمقراطية بترحيب وحماس بمدينة فرانكفورت على نهر الأودر، وهي أول مدينة ألمانية وصلنا إليها، لقد رأينا أن لدينا في ألمانيا أصدقاء مخلصين؛ إن الشباب الألماني لم يعد يريد أن يكون وقودًا للحرب، وإنما يسعى لإنشاء جمهورية ألمانية ديمقراطية حرة متحدة، وأن يعيش في صداقة وسلام مع شعوب العالم كله.

إن الاستقبال الذي لقيناه في برلين كان رائعًا، على مستوى أكبر مما لقيناه في فرانكفورت على نهر الأودر، إن آلافًا من سكان القسم الديمقراطي من برلين وممثلين عن المهرجان، احتشدوا في الميدان الواقع أمام محطة السكة الحديدية؛ للترحيب بممثلي الاتحاد السوفيتي.

وفي ذلك اليوم نفسه، أقبل على برلين مندوبو عشرين دولة تقريباً، لقد كان مبعوثو أنصار السلام يتدفقون على برلين من جميع أنحاء العالم ومن أبعد أطراف المعمورة، كانوا يأتون إلى برلين ليشاركوا بمجهودهم في المعركة النبيلة ضد قيام حرب دامية جديدة.

لقد اشترك أكثر من ٢٥ ألف شاب يمثلون مائة وأربع دول في مهرجان الشباب الدولي، وكان على الكثيرين أن يتغلبوا على عوائق كثيرة لكي يصلوا إلى برلين؛ ذلك لأن قوى الرجعية بذلت كل ما في وسعها من قوة لتمنع أنصار السلام الشبان من الوصول إلى العاصمة الألمانية.

وهددت منظمات الشباب من خصوم الديمقراطية -المبعوثين إلى المهرجان بإلقاء المتفجرات، وفي كثير من الدول الرأسمالية طرد أصحاب الأعمال عمالهم الذين اشتركوا في المهرجان من أعمالهم، على حين رفضت السلطات المسؤولة أن تصرح لهم بجوازات السفر، ولما لم يُجد هذا كله، عندئذ استخدموا القوى المسلحة لمنع المبعوثين الشباب من السفر إلى برلين.

لقد بذلت قوات الولايات المتحدة الأمريكية في ألمانيا، وحكومة بون الألمانية الغربية كل جهودهما في هذا الشأن، فقد استعد عدد كبير من الشبان الألمان في ألمانيا الغربية للسفر إلى المهرجان، ولكي تحول حكومة ألمانيا الغربية دونهم وما يريدون، أغلقت الحدود بقوات البوليس الألماني إلى حد أنهم استخدموا الدبابات.

ولكن أعداداً بعد أعداد من جماعات الشبان استطاعت أن تخترق

هذا الحصار، وأن تغلب على العقبات، وأن تشق طريقها إلى مهرجان برلين، إن عددًا قليلاً فقط عجز عن الوصول، وقد قوبل الضيوف بترحيب وحماس من حكومة ألمانيا الديموقراطية الشعبية.

ووضعت العشرات من مسارح التمثيل والموسيقى تحت أمر الموسيقيين والمطربين الشبان، وكانت الملاعب الضخمة، وساحات الألعاب، وحلقات الملاكمة، وملاعب التنس في انتظار المشتركين في مباريات الشباب الجامعي، ولم يكن في الفنادق من الغرفات ما يكفي، ولكن الفصل كان صيفاً، والمدارس خالية، فتحولت إلى مثابات للنوم مريحة، كما نُصبت مخيمات كثيرة في ضواحي برلين.

وافتح المهرجان في الخامس من شهر أغسطس في استاد وولتر ألبرخت، وكانت مراسم الافتتاح الفاخر مثيرة إلى أقصى حد. إن شبان وشابات مائة وأربع دول قد ساروا في استعراض أمام المدرجات، يتلقون هتاف نحو ثمانين ألف متفرج، وسار الطابور الطويل البهيج بخطوات ثابتة، وعزم لا يلين للدفاع عن السلام.

واستقبل الطابور الطويل من مبعوثي الصين بهتاف مدوّ متواصل، وكذلك ارتفع الهتاف استقبالاً لمبعوثي كوريا بملابسهم العسكرية وأوسمتهم اللامعة على صدورهم.

«نحن معك يا كوريا... سوف تفوز كوريا».

هكذا كان الهتاف يدوي.

وتدفق المبعوثون بعضهم وراء بعض إلى الساعة البيضاوية

للاستاد، وعلى نغمات «ما أرحبك يا بلادي!» تقدم مبعوثو الاتحاد السوفيتي، على رأسهم طابور من حاملي الأعلام، يرفعون أعلام بلادهم ذات الست عشرة جمهورية، ونهض المتفرجون كرجل واحد يهتفون ويصفقون لبلادي، ولأبناء وطني، لحكومي الاشتراكية، وإنها للحظة مثيرة، وسرت مزهوة بين مبعوثي الشباب السوفيتي.

وانتهت مراسم بدء الاحتفال المهية المثيرة برفع علم المهرجان وبإطلاق آلاف الحمام - رمز السلام - في الجو، تمامًا كما حدث في مهرجان بودابست.

وأقيمت أولى الحفلات الموسيقية في تلك الليلة، فذهبت إلى المسرح لأستمع بأعاني جوقة المطربين من شباب العمال بليننجراد، وقد تركت أصواتهم الغريدة وفنهم الموسيقي وتنوع ألحانهم - أثرًا عميقًا في المستمعين، لقد أحرزت الفرقة الموسيقية نجاحًا رائعًا، واستقبل كل فاصل من برنامجها بالتصفيق المدوي.

وفي صباح اليوم التالي، ذهبنا مع مبعوثين آخرين إلى منتزه تربتو لتحية المحاربين السوفيت الذين سقطوا في معركة برلين، وهناك رأينا نُصبًا تذكاريًا فاخرًا على مدفنهم، وهذا النصب يمثل المحارب السوفيتي المنتصر وهو يطأ بقدمه الصليب المعقوف ويحمل بين ذراعيه طفلًا ألمانيًا، ووضعت الفتيات السوفيتيات أول باقة من الورد الأحمر الجميل عند قاعدة النصب، وفعل مبعوثون آخرون الشيء نفسه. وكان هذا كله يجري على نغمات موسيقى جنائزية، وفي صمت حزين أحنى المبعوثون رؤوسهم تذكيرًا لأولئك الذين وهبوا حياتهم

لتحرير الجنس البشري من الفاشية.

وافْتُتحت دورة ألعاب الشباب الجامعي الحادية عشرة - وهي جزء من المهرجان - بعد الظهر. وأقيم الاستعراض المكون من ألفي مشترك في استاد الجديد الذي شيده شباب برلين بأنفسهم، وإن هذا الاستاد الجميل المظهر، الموفور الأعداد الذي يتسع لستين ألف متفرج، ليذكر الإنسان باستاذ الدينامو في موسكو.

وانتظم المبعوثون الرياضيون في الساحة الوسطى، وترك حاملو الأعلام من كل فريق من المبعوثين الصفوف، وتقدموا إلى منصة صغيرة أقسم عليها - نيابة عن المبعوثين جميعاً - جورج نريستر أستاذ الرياضة وحامل الرقم القياسي في جمهورية ألمانيا الديمقراطية، وكان هذا القسم كما يلي:

«أقسم أن أشارك في الدورة الحادية عشرة لألعاب الشباب الجامعي الصيفية كمنافس شريف، وأن ألتزم قوانين المباريات. ومن أجل الصداقة وفي سبيل رفعة أوطاننا وجامعاتنا نريد أن نسعى إلى توطيد أسباب التفاهم بين جميع الشباب الجامعي في العالم».

وانقطع حبل الصمت الذي خيم على الاستاد أثناء هذا القسم، عندما أخذ مئات من الرياضيين - كل بلغته الخاصة - يردد هذه الكلمات في جد ووقار:

- أقسم على هذا.

كان هناك كل ما يدل على أن الدورة الحادية عشرة الدولية لألعاب

الشباب الجامعي ستكون من أهم هذه الدورات جميعاً؛ فلم يحدث أبداً في تاريخ المباريات أن اشترك مثل هذا العدد الضخم من الشبان الذين كان بينهم - لأول مرة - رياضيون من البرازيل والمكسيك وشيلي وإكوادور ونيجيريا وجنوب أفريقيا وتريستا، وكان عدد المباريات في جملتها خمس عشرة مباراة، وقد اشترك الفريق السوفييتي في ألعاب القوى، والجمباز، وكرة السلة، والكرة الطائرة، والملاكمة، والمصارعة، وحمل الأثقال، والغطس، والتجديف.

واشتركت عشرون دولة في مباريات ألعاب القوى، التي أقسمت في الاستاد الجديد، والتي كانت تجذب كل يوم آلاف المتفرجين.

وقد دل أول يوم في المباريات على أن منافسينا تحسنا كثيراً منذ الدورة السابقة في بودابست، وكان علينا أن نتصر - كفريق - وأن نبذل كل ما نستطيع من جهد.

وفي سباق المائة متر للرجال كان الفائز فلاديمير سوكاريف من نادي الدينامو بموسكو، ولكن الفائزة في هذا السباق نفسه للفتيات كانت برايش من جمهورية ألمانيا الديمقراطية، ولم يكن فوز سوكاريف على كل حال هو النصر الوحيد الذي أحرزه الرياضيون السوفييت في مستهل الدورة.

فقد أحرز فلاديمير كازانزيف نصراً باهراً في سباق الخمسة آلاف متر مسجلاً رقماً قياسياً جامعياً جديداً، وكان الفائز بالمركز الثاني في هذا السباق نفسه إيفان سيميونوف، وكذلك فاز لاعبونا بالمركزين الأول والثاني في رمي الجلة، على حين اقتصرت المراكز الثلاثة الأولى

لرمي القرص للسيدات على مبعوثي السوفيت، ولكنها لم تكن نينا دومباز هي التي فازت بالمركز الأول في هذه المرة، فإنها لم تشارك في الدورة، ولكن الفائزة ببطولة دورة ألعاب الشباب الدولية الحادية عشرة كانت نيناردشكوف، لقد تقدمت هذه الرياضية الممتازة كثيرًا، وأصبحت أخطر منافسة لنينا دومباز في البطولات العالمية، وفازت إليزابينا باجريانسييفا بالمركز الثاني، وربما شومسكايا بالمركز الثالث.

وكما حدث من قبل تمامًا، فازت ألكسندرا كودينا ببطولة القفز الطويل في دورة ألعاب الشباب، وكانت المعركة العنيفة بينها وأولجا جيارماتي مثار اهتمام الجميع واستمتعهم، ذلك أن كودينا في المباريات السابقة كانت قد انهزمت أمام جيارماتي في هذا السباق، ولكنها بعد هذه الهزيمة قررت أن تواصل التمرين في قوة ومثابرة لتتقن كل فنون هذه الرياضة؛ فمارست طريقة البدء، وأحكمت حركاتها، وقد جاءها الجهد الذي بذلته في التمرين بنتيجة طيبة، لقد وثبت مسافة ٨٦, ٥ من المتر، أبعد بعشرين سنتيمترًا عن مسافتها في بودابست، وأتاح لها هذا الفوز بالبطولة، وجاءت جيارماتي الثانية، أما الميدالية البرونزية فكانت من نصيب الرياضية الشابة ناديزدا خيكنيا من مدينة تبليزي.

وكانت المعركة في الدور النهائي لرمي الرمح للسيدات مركزة بين ثلاث لاعبات من الاتحاد السوفيتي: نابوكوفا وسميرنتسكايا وأنا، وبين زاكوفا وكيشوفا التشيكيتين، وكوفكوانا البولندية، وفتاة ألمانية كما أظن، وكانت ناتاشا سميرنتسكايا على غير مألوف عادت بها بعض الشيء، فجاءت نتائجها أقل من المعتاد، واقتصرت المعركة على

المركز الأول بيني وبين نابوكوفا، وقد فازت برمية مسافتها ١٤, ٤٩ من المتر، على حين كانت مسافتي أقل بثمانين سنتيمترًا، وقد قبلتها وهنأتها على هذا الفوز الذي جعلها بطلّة بين الجامعات، وكنت الثانية، وسميرنتسكيا الثالثة.

وكانت المعركة عنيفة على بطولات ألعاب الجري والقفز والرمي، حيث كان المشتركون يكافحون في استماتة من أجل كل سنتيمتر، وكل جزء من ثانية، ولم تكن بقية المباريات في الألعاب الأخرى أقل إمتاعًا وإثارة: كرة السلة، الكرة الطائرة، والملاكمة وحمل الأثقال، والجمباز. وظل الرياضيون السوفييت يحرزون النصر بعد النصر.

وفي اليوم التاسع من شهر أغسطس احتفل المبعوثون بذكري «يوم الفتيات» الدولي، وقد حضر الاحتفال مئات من الشابات اللاتي يمثلن مختلف الدول مع آلاف من صديقاتهن الألمانيات، ولشد ما كانت بهجتنا حين علمنا أن البطلة الفرنسية ريمون كانت بيننا، فقد حيل بينها وبين الوصول إلى المهرجان في موعد الافتتاح، ذلك أنها وهي في طريقها إلى برلين حجزت بواسطة السلطات البلجيكية في مطار بروكسل، ولكن الاحتجاج العام، على كل حال، أرغم المسؤولين البلجيكيين على إخلاء سبيلها.

وها هي ريمون الآن بيننا... وأنعمت النظر إلى الفتاة الفرنسية التي انتشر صيتها في أنحاء العالم؛ كانت نحيلة، متوسطة الطول، بوجه مستطيل بعض الشيء جميل، وعينين عسليتين نجلاوين، وكان شعرها لامعًا أسود، وكم كان منظرها نبيلاً شجاعًا! تلك الفتاة الفرنسية العادية

المظهر، الريفية النشأة، التي أبانت عن شجاعة رائعة -في سبيل السلام- برفادها على قضبان سكة حديدية لتمنع مرور قطار محمل بالذخيرة.

ودعا المتحدثون في الاحتفال الشباب من جميع الأمم إلى توجيه نشاطهم ضد الاستعدادات للحرب، لقد ابتهلوا إلى أنصار السلام ليوطدوا أسباب الصداقة بين جميع شعوب العالم في سبيل الكفاح من أجل مستقبل أفضل للشباب.

وأخذت مدام ماري كلود فيلانت كوترير -سكرتيرة الاتحاد الدولي النسائي الديمقراطي العام- تثبت شارات ذهبية، عليها رسوم حمام السلام في صداريات تسع مبعوثات من اللاتي بذلن أكبر مجهود في سبيل السلام.

وفي اليوم التالي عدنا إلى الاستاد، وفازت ألكسندرا كودينا ببطولتين آخرين، في القفز العالي وسباق الحواجز، ومرة أخرى هزمت جيارماتي، ولكنها في هذه المرة لم تهزم وحدها الفتاة المجرية، فإن المركز الثاني والثالث كانا من نصيب المبعوثين السوفيت: ليد ياشور سكايا، وماريا بيز أريثا، وكذلك فاز السوفييتيون بالمركزين الثاني والثالث في سباق الحواجز على يد كل من جالينا يورشيينا، وألكسندر إياكوشيفا، ولم يكن في وسع جيارماتي في كلا السباقين، إلا أن تظفر بالمركز الرابع.

وربما كانت أشد مباريات الرجال إثارة هي المباراة على سباق الثمانمائة متر.

وقد تقدم المتبارين منذ بدء السباق العداء جينادي مودري من نادي

الدينامو بموسكو، وشيئاً فشيئاً أخذ في الاقتراب منه كل من سيرجي أركاروف من موسكو، وبيوتر شيفجون من أوكرانيا، وبدا إلى حين أن هؤلاء الثلاثة من العدائين التسعة هم الذين ستقتصر عليهم المعركة للفوز بالميدالية الذهبية، وقبيل خط النهاية بقليل، اندفع كوربان البولندي فجأة إلى الأمام، وسبق أكاروث وشيفجون، ولكنه عجز عن سبق مودري الذي كان الأول في اجتياز خط النهاية.

وكان أكثر اللاعبين نجاحاً بين أصدقائنا البولنديين في مباراة رمي الرمح ذلك اليوم هو جافوز سيدلو؛ كان قد ضرب الرقم القياسي العالمي في هذه المباراة، ولكنه حتى في هذا اليوم، فإن هذا الرياضي ذا الأعوام السبعة عشر قذف الرمح مسافة ٦٦ متراً، وقد أتاح له هذا، الفوز بالميدالية الذهبية، وبطولة دورة الشباب الجامعي الدولية.

وكنّا في كل مساء تقريباً نذهب إلى بعض الحفلات الموسيقية، وكان الكثير منها يقام في الهواء الطلق، في الحدائق، والميادين، جاذبة إليها كثيراً من المستمعين، وقد أظهرت برلين اهتماماً بالغاً بالفن الروسي.

وكذلك كانت الثقافة الروسية منتشرة في جمهورية ألمانيا الديمقراطية، وقد ابتهجت حين سمعت أن الكثيرين من الألمان يستطيعون قراءة الكتب الروسية في لغتها الأصلية، ولم تكن اللغة الروسية تدرس فقط في المدارس والجامعات، وإنما أيضاً في المكاتب والمصانع والمنتديات. والأطفال، بطبيعة الحال، هم الأسرع في تعلم اللغة. وهكذا تولى مئات من «الرواد الصغار» في برلين مهمة الترجمة

بنجاح أثناء المهرجان.

وفي اليوم الأخير لألعاب القوى، كان الاستاد مزدحمًا بالمتفرجين، ولا عجب في هذا؛ إذ كانت المباريات تبشر بالشيء الكثير من الإثارة والإمتاع.

ففي سباق الموانع مسافة ثلاثة آلاف متر كان الفائز الأول فلاديمير كازانتيف الذي سبق منافسه التشيكي الخطير سلافسك، وفاز يوري ليثويف من ليننجراد بالمركز الأول في سباق ٤٠٠ متر حواجز، وكان لانسكي التشيكي -١٨ سنة- أحسن الرياضيين في القفز بالقائمة، وفازت أولجا جيارمائي أخيرًا أيضًا، فقد جاءت الفتاة المجرية الأولى في سباق المائتي متر، مع كوكرتين الألمانية، الثانية، وسونيا مالكيينا الروسية الثالثة.

ونسيت أن أذكر، في مستهل هذه الألعاب، فوز الرياضيين السوفيت في سبقي ٤×١٠٠ للرجال والنساء، ففي اليوم الأخير اشترك المتبارون في سباق التتابع ٤×٤٠٠ للرجال، و٤×٢٠٠ للنساء، وكان كلا السباقين مثيرًا والصراع فيهما عنيفًا.

كان البولنديون في سباق التتابع للرجال في المقدمة، ثم انتزعها المجريون منهم في المراحل الثلاثة الأولى، ولكن في المرحلة الأخيرة، استطاع يوري ليتويف الاندفاع إلى الأمام سابقًا الآخرين إلى الفوز، وفي سباق التتابع للسيدات، كان الصراع مركّزًا بين فرق الاتحاد السوفيتي والمجر وألمانيا الشرقية، وفازت الألمانية بالمركز الأول، ونالت فتياتنا المركز الثاني، والمجريات المركز الثالث، لقد كنا، إن

جاز لي أن أقول، الوسط الذهبي، ولكن هذا الوسط الذهبي لم يمنحنا الميداليات الذهبية، وإنما الفضية فقط.

واشترك في مباراة رمي الجلة للسيدات ثلاث من الاتحاد السوفييتي؛ هن: كلافديا توكينوفا، وفيرا جوشكيفا وأنا، ومن بولندا بريجولانكا وكونيكوانا ومن تشيكوسلوفاكيا أنجروفا، وغيرهن، وقد تقرر إقامة هذه المباراة في أهم موضع من الملعب، أمام المقصورة الحكومية الجالس فيها أكبر الشخصيات من الضيوف في المهرجان، فكيف يستطيع الإنسان أن يمنع نفسه من الشعور بالاضطراب؟

وكنت قد تمرنت بقوة ومثابرة استعدادًا لدورة برلين هذه، وكانت أحسن رمياتي للجلة هي ١٣, ٥٠ من المتر، ولكن كان من رأي فيكتور إيليك أنني أستطيع الوصول بها إلى مسافة ١٣, ٧٥ مترًا، وهي المسافة الجديدة الزائدة المطلوبة من حاملة لقب «الامتياز» أو الأستاذية في الرياضة، وكانت محاولاتي الأولى على غير ما ينبغي، ويبدو أنني ارتكبت أخطاء كثيرة.

ولكنني في المحاولة الأخيرة قذفت بالجلة بعيدًا بكل قواي، فكانت النتيجة ١٣, ٨٣ من المتر، ومعنى هذا أنني تجاوزت المسافة التي طلبها مني فيكتور إيليك، وقد نلت المركز الثاني في هذه المباراة، وظفرت بالميدالية الفضية؟ هل أنا سعيدة؟ نعم طبعًا، ولكن ليس لفترة طويلة، فقد رأيت ليونيد سيرجيفشن كرمكوف مدربنا الرسمي في ألعاب القوى يقبل نحوي وعلى وجهه أمارات لا تبشر بالخير، وقد قال لي:

- كيف قذفت بالجلة، أتسمين هذا قذفًا؟

فغمغمت وأنا لا أدري ماذا يريد:

- ولكنني نلت المركز الثاني، لقد حققت ما هو مطلوب من «أستاذ»
في الرياضة.

فقال في توتر وغضب:

- وماذا؟ لقد رميت الحجلة وساقك مشدودتان، لا أثر أبدًا لقواعد
فن الرمي... أبدًا.

وانضمت كلافديا توكينوفا - التي جاءت إلينا في تلك اللحظة - إلى
رأيه قائلة: إنني حتى في محاولتي الأخيرة ارتكبت عدة أخطاء فنية حقًا؛
كانت ساقاي بعد الحجلة الأولى مشدودتين، أي إن قوتهما لم تكن
في الذروة، فلو أنني لم أرتكب هذه الأخطاء، ل جاءت نتيجتي أحسن.
ولكن.. يكفي هذا، فلسوف يكون لدي ما يكفي من الوقت للتفكير في
هذا كله، وتلاشى عندئذ إحساسي بالاكتهاب.

إن الفريق السوفييتي لم يفز فقط بالمركز الأول في هذه المباريات،
وإنما أحرز انتصارات أعظم وأكثر من التي أحرزها في دورة بودابست،
فقد فزنا في الأربع والثلاثين مباراة بست وعشرين ميدالية ذهبية. وحصل
فريقنا على ٤١٢ نقطة؛ أي أكثر بنقطتين من النقط التي حصلت عليها
الفرق الأخرى جميعها، وكان الفريق المجري الثاني، وفريق ألمانيا
الديموقراطية الثالث.

ولم يكن النصر حليف أبطالنا في ألعاب القوى وحسب، بل كان
أيضًا حليف أبطالنا في المصارعة وحمل الأثقال، الذين انتصروا في

كل المباريات، وكانت نتائج فريق الجمباز السوفيتي ممتازة. وكذلك أحرز أبطال الملاكمة والتجديف والغطس السوفيت نجاحًا باهرًا، وكان مجموع الميداليات التي ظفر بها مبعوثو الاتحاد السوفيتي جميعًا ٢٥٩ ميدالية؛ منها ١٥٨ ميدالية ذهبية، وظفر موسيقيونا ومطربونا وراقصونا بنجاح مماثل، وفي حالات قليلة فقط شاركهم الفوز بعض مبعوثي الدول الأخرى.

وسوف أذكر طويلًا مراسم انتهاء المهرجان: أولاً انتهاء ألعاب الشباب الجامعي، وثانيًا: المهرجان نفسه، فقد قامت مظاهرة جماعية في شوارع برلين قوامها مائة ألف شاب اشتركوا في الاجتماع العام الذي عقد بميدان كارل ماركس، كانت مظاهرة ترمز لوحدة الشباب في العالم وعزمهم الأكيد على الدفاع عن قضية السلام.

وأحب أن أقول كلمات قليلة عن مقابلتنا الودية غير الرسمية للمبعوثين الآخرين، فقد كان معهد المشروعات الاقتصادية الذي أقمنا فيه مسرحًا للزيارات اليومية من وفود كثير من الأمم الذين كانوا يأتون إلينا للحديث معنا، ولسؤالنا عن الاتحاد السوفيتي، ولحدثونا عن أنفسهم وعن حياتهم ومشروعاتهم.

وفي ذات يوم، أثناء شرب الشاي، تبادلنا الحديث مع رئيس تحرير صحيفة رياضية إندونيسية، لقد سألتني أن أحدثه بإسهاب عن التربية البدنية في الاتحاد السوفيتي، كما تحدث بحماس عن انتصارات لاعبينا في المهرجان، وسألته بدوري عن اللاعبين الإندونيسيين ونتائجهم، فقال: إنها نتائج ضعيفة، لماذا؟ ماذا يعوق نمو الرياضة في إندونيسيا؟

وابتسم رئيس التحرير في كآبة، فهناك الجوع والفقر في مناطق كثيرة بإندونيسيا، وحياة العمال الإندونيسيين -من ناحية المعيشة- صعبة، ومن ثم لا يستطيعون أن ينفقوا على ممارسة الألعاب الرياضية، وقد أضاف إلى هذا قوله: إنه لا يمكن التفكير، في الوقت الحاضر، في الوصول إلى نتائج ممتازة.

وعُقد بيننا وبين أبطال السلام من الأمريكيين اجتماع ودي رقيق، فقد زارنا نحو ستين أمريكيًا، وهم فقط الذين استطاعوا الوصول إلى برلين، وقد مُنع كثير آخرون من الخروج من الولايات المتحدة الأمريكية، فمثلاً رفضت الحكومة الأمريكية السماح بالسفر لبول روبنسون الصغير، ابن روبنسون المغني الزنجي المشهور، وأحد أعلام التقدميين.

وقالت الشابة التي تحدثت بلسان الوفد الأمريكي:

- إننا نهنتكم بقلوبنا على نجاحكم في الدفاع عن قضية السلام؛ فإن كفاحكم، وتضحياتكم من أجل العدالة والسلام يشجعان الشباب الأمريكي على مواصلة كفاحه من أجل السلام أيضًا، إننا نعتقد أن النصر سيكون السلام، ونحن نعرف أن الحكومة السوفيتية تلتزم سياسة سلمية حازمة.

وتحدثنا طويلاً مع هؤلاء اللطاف الأمريكيين شباناً وفتيات، ثم غنينا لهم -بناء على رجائهم- عددًا من أغانينا الروسية، فلما فرغنا، وقف زنجي شاب وقال في تأثر عميق:

- إن الإنصات إلى أغنياتكم الرائعة جعلني أتذكر أمي المسكينة

التي لم تر في حياتها شيئاً غير المهانة والإذلال؛ لقد عاشت حياتها كلها تعمل غسالة وكناسة وممرضة، فلو أنها استطاعت أن تجلس إلى هذه المائدة فقط.. لو أنها سمعت هذه الأغنيات التي ترمز لأسمى المشاعر الإنسانية، إذن لأدركت أنه من المستحيل خنق الحرية.. مستحيل. كان يمكنها أن ترى أن السلام يهزم الحرب، وإنني لأتمنى جداً لو أستطيع أن أعانقكم جميعاً لأعبر لكم عن حقيقة مشاعري.

وكان الشاب يبكي، ولكنه تمالك نفسه واستطرد قائلاً:

- إنني لست خجلان من دموعي؛ إنها دموع الفرح.. صدقوني؛
فإننا -معشر الأمريكيين البسطاء- نحبكم إلى أقصى حد، ولن يستطيع
أحد أن يمنعنا من حبكم! وإذا لزم الأمر فسوف نقدم حياتنا قرباناً لقضية
السلام.

كانت تلك كلمات رائعة أثارت مشاعرنا إلى حد كبير، إن أبناء
الأمم المختلفة يريدون أن يعيشوا في سلام، وقد برزت هذه الحقيقة
بوضوح تام في مهرجان برلين.



أثقل قزيفة

إن الرمح الذي تقذفه السيدات يزن ٦٠٠ جرام، ويزن القرص كيلوجرامًا، أما الجلة، فإنها أثقلها جميعًا، إذ تزن أربعة كيلوجرامات. والرياضية غير المدربة، المبتدئة التي تحاول قذفها لأول مرة، تقذفها مسافة خمسة أمتار على الأكثر، أيًا كانت قوتها، وهذه الكرة نفسها إذا ألقيت بيد حاملة الرقم القياسي العالمي أنا أندريفا، فإنها تطير ثلاثة أضعاف هذه المسافة، فما هو سر امتياز البطلة على المبتدئة؟ إنها القواعد الفنية بطبيعة الحال؛ معرفة كيف يستفيد من كل حركة خاصة يمكن أن تجعل الجلة تطير مسافة أبعد.

هل هذا يعني أن قواعد رمي الجلة هي كل شيء؟ لا، إن القواعد الفنية ليست كل شيء، وإنما يجب أن يكون الرياضي على جانب كبير من القوة واللياقة البدنية أيضًا؛ ففن اللعب واللياقة البدنية يجعلان الكرة المعدنية الثقيلة تتغلب على قوة الجاذبية الأرضية إلى مسافة أكثر من ١٥ مترًا.

في ذات يوم كنت أتطلع إلى صورة قاذفة جلة أخذت لها في لحظة القذف نفسها، وفي هذا الوضع ينبغي أن تكون ساقاها منحنتين

وليستا مشدودتين، كما ينبغي أن تكون يدها الطليقة في وضع يختلف عن الوضع البادي في الصورة، كما لا ينبغي أن يكون عنقها متوترًا إلى هذا الحد الكبير، لقد سجلت عدسة آلة التصوير عددًا آخر من الأخطاء الفنية، فلم يكن ثمة شك في أن كل هذه الأخطاء أثرت في نتائجها.

ولسوء الحظ كانت هذه الصورة لي، إنها تصورني أقذف الجلة في مهرجان برلين، وقد أدركت عندئذ لماذا كان الممرن كوفنكوف غاضبًا مني.

نعم... كان عليّ أن أعمل كثيرًا لكي أتقن القواعد الفنية في هذه الرياضة، لقد أوضحت هذه الصورة أن أحسن نتائجي في رمي الجلة، وهي مسافة ٨٧, ١٣ من المتر ليست بأي حال هي أحسن ما يمكن أن أصل إليه.

أدركت أنه ينبغي عليّ الكفاح في سبيل نتائج أفضل، لا سيما في رمي الجلة، وكان لهذا أهميته الكبيرة بالنسبة لي.

لقد بدأت تخصصي في كل أنواع الألعاب الرياضية، والكرة ذات المقبض قد أصبحت «طرازًا قديمًا»، ومن ثم أخذت لعبتها تختفي بسرعة من برامج المباريات الرياضية، وتبقى عندئذ ألعاب رمي الرمح، والقرص، والجلة، وقد ثبت أن مقدرتي في رمي القرص أقل كثيرًا من مقدرة الفتيات الأخريات، فإن أحسن ما وصلت إليه هو تسجيل رقم قياسي للاتحاد السوفيتي في فريق «الشابات».

وكان من المحتمل أنني لو واصلت المرن على رمي القرص بقوة ومثابرة لزدت رقمي ثلاثة أو أربعة أمتار، ولأصبحت واحدة من أحسن

عشرة بين راميات القرص في الاتحاد السوفيتي .

ومن المرجح أن أكون واحدة في ذيل هؤلاء العشرة، ولكن الإنسان في عالم الرياضة يحب أن يكون الأول، ولكن للأسف لم أحلم أبدًا في إمكاني الفوز على دومباز أو توكينوفا أو روماشكوفا أو باجريانتيفا .

أما عن رمي الرمح، فإن الأمر يختلف، فقد كنت دائمًا آمل في الانتصار وأنا أتبارى مع سميرنتسكايا ونابوكوفا وكودينا وغيرهن من الرياضيات الممتميزات. فإن أحسن نتائجي لم تكن أقل كثيرًا من الرقم القياسي العالمي، وإن التنافس مع الغير يثير فيّ الانفعال، ويجعل المباراة ممتعة، ويحفزني للوصول إلى نتائج أحسن وأحسن .

وبعد مهرجان برلين غيرت رأيي عن رمي الجلة أيضًا، فلماذا أقنع بالمركز الثاني أو الثالث أو الرابع؟ هكذا سألت نفسي، كنت أعرف أن لديّ الإمكانيات لتحسين نتائجي، وكل ما كان عليّ أن أفعله هو أن أستفيد من طاقتي الكامنة، وأن أتاثر على المران، وأن أجد إتقان القواعد الفنية لها .

وتبادلت الحديث عن هذا مع فيكتور إيليك مرات كثيرة، وكان هو أخيرًا الذي ساعدني على اتخاذ القرار حول رمي الجلة، إذ قال:

- لسوف نمضي في هذا السبيل .

- نعم، سوف نمضي .

وكان هناك الكثير مما يجب أن أفعل، فإن التقدم في رمي الجلة بطيء، فالتقدم سنتيمترات قليلة يستلزم مرانًا قويًا طويلًا، وكان الفارق

في ذلك الحين بيني وبين الرقم القياسي السوفييتي، والعالمي، يزيد على متر.

وبرغم هذا كنت وفيكتور إيليك نؤمن بالنجاح في الوقت المناسب، فأولاً كان لدينا أمثلة يمكن أن نحتذيها، فإن كل مجهوداتنا كانت ستقوم على التجارب الكثيرة التي جمعتها المدارس الرياضية السوفييتية التي تخرجت فيها بطلات رمي الجلة مثل تانيا سفيريوكوف وكلافديا توكينوفا وأنا أندرييفا.

وثانياً لم أكن بحاجة لأن أبدأ من أول السلم، فقد كنت أعرف فعلاً كيف أرمي الجلة، وكيف أقوم بالحركات الضرورية، وكان عيبي هو نقص الحركة الآلية في التطبيق الفني؛ فالذي كان عليّ أن أفعله هو أن أجعل حركاتي آلية، وأن أقذف الجلة دون التفكير في شأنها.

والآلية تكتسب بال تكرار، وتنقسم سلسلة الحركات المتصلة التي يقوم بها الرياضي إلى عدد من العناصر المركبة: بداية الوضع، والتطويح، والحجل، والاستدارة في الهواء نصف دورة أثناء دوران الإنسان بجسمه، والهبوط إلى الأرض، ثم الرمي، وفي أثناء التمرين كنت أكرر كل واحدة من هذه الحركات على حدة، وجميعها مئات المرات.

إلى أي شيء تتجه مجهودات قاذف الجلة؟ إلى تجميع أكبر كمية ممكنة من القوة أثناء الحركات ونقلها إلى الرمية، وعن طريق بسط الذراع بقوة وسرعة يلقي الرامي بالجلة.

وفي الوقت نفسه يساعد الحجل على تجميع كل قوى الرامي لتعين

اليد على القذف، وإن الحجلة هي أهم عناصر القواعد الفنية. وكان عليّ أن أتمرّن كثيرًا لكي أتقن هذه الحركة المهمة.

وفي شهر نوفمبر، بدأنا التمرين كالمعتاد في الاستاد الشتوي، وفي ملعب زينيت، على الرغم من أنني قررت إتقان القواعد الفنية لرمي الجلة، فقد كنت أعرف أنه لا ينبغي عليّ أن أنسى جميع التمرينات الأخرى التي يتكون منها أساس جميع القواعد الفنية الرياضية. وكان فيكتور إيليك يرى أن أهم ما ينبغي أن أفعله هو أن أعمل على تقوية ساقَيّ، وفي سبيل هذا كنت أففز، وأجري، وأمارس تمرينات جمبازية خاصة.

وأخذت حركة الحجل تتحسن، ولكني لم أقنع بها، كنت أريد أن أجيد كل شيء، الاستدارة، والحجل والقذف، وبعبارة أخرى، عناصر الطرق الفنية جميعها، فقد كانت النتيجة تتوقف عليها كلها، بل على الطريقة التي يتبادل بها الإنسان الجلة في يده؛ ذلك لأنه ينبغي توزيع وزنها بالتساوي على راحة اليد، فإذا لم يتوزع الوزن وزاد الضغط على الأصابع، جاءت الرمية ضعيفة.

ولم يكن فيكتور إيليك سخيًّا في ثنائه على أحد، فكل ما كنت أسمع منه لم يكن غير أوامر لأؤدي حركاتي بأحدّ وأسرع وأقوى وأكثر نشاطًا مما أفعل، ثم يكرر هذه الأوامر لأحاول مرة بعد مرة أداء هذه الحركات.

وكنت أعلم أن هذا كله ضروري، وأن الإتقان سيجزيني عن مجهودي أضعافًا مضاعفة، وقد نشرت صحيفة سميّنا الناطقة بلسان

الكومسومول في ليننجراد هذه الأنشودة الصغيرة عن فيكتور إيليك:

«إن أحسن ممرينا هو الكسييف

«بمبادئه يحتفظ

«وما يزرعه في التمرين

«في المباريات يجني ثماره

وكذلك كنت آمل أن أجنبي الثمار بنتائج ممتازة في مباريات الصيف، ولم أكن أستهدف فقط التحسن في رمي الجلة، ولكن في رمي الرمح أيضًا، وكنت أتمرن على الرمح مع ناتاشا سميرنتسكايا، وعلى الجلة مع تمارا تيشكيفيك، وكانت فتاة أصغر سنًا مني قليلًا، التحقت بالمدرسة الرياضية بعدي مباشرة، ونتائج رمياتها للجلة قريبة جدًا من نتائجي.

وكانت تمارا بطيئة متراخية الحركة بعض الشيء، وقد علمها فيكتور إيليك كيف تكتسب السرعة والمدة في حركاتها، وكان على تمارا نفسها أن تبذل كل جهدها لتكتسب هذه الصفات، وقد أبانت تمرينات الموسم الشتوي أنها تقدمت إلى حد ملحوظ، بحيث أصبحت تقذف الجلة مسافة أبعد من ذي قبل، وكنت سعيدة بهذا؛ لا لأن تمارا كانت صديقتي وحسب، فقد كان هناك سبب خاص أيضًا؛ فإن من دواعي البهجة أن تكون بجانبك زميلة قديمة، فإن نتائجها تحفزك، وإن روح التنافس لازمة حتى في التمرين.

وكان فيكتور إيليك في الوقت نفسه، يرى هذا أيضًا، فكلما قذفت

تمارا بالجلة ببراعة، نظر إليّ وفي عينيه بريق كأنما يتحداني لأن أكون أبرع، فإذا أجدت الرمية، التفت إلى تمارا وقال:

- هلم يا تمارا، دعينا نراك تفعلين مثل هذا.

ولم يكن بذل الجهد والمثابرة هما من السمات الخاصة في فترات المران لرياضي جمعية زينيت، وإنما كان هناك الشيء الكثير من المباريات المثيرة أيضًا؛ فمثلًا كانت أنجا نيكتينا ولوبدا ليونتييفا منافستين قديمتين على المركز الأول في سباق المائة متر، ويوري شيرباكوف وألكسندر كورشيكوف، ويوري لوكيانوف كانوا يتنافسون بقوة على بطولة رمي الرمح، وكان قاذف الجلة بوريس ماتفييف ينافس قاذف المطرقة جريشا كرابروف، ولم تكن المنافسة معناها الخصومة والتحدي، وإنما الصداقة وتبادل المساعدة.

وانتقل عدد قليل من الفتيات المبتدئات الموهوبات إلى المجموعات المتقدمة، وكانت بينهن -عدا تمارا تيشكيفيك- القفازتان ماشا بيزاريفا ونينا كوسوفا، والعداءة جاليا تيتوفا، وكانت مهمتنا الأولى مساعدة أولئك الفتيات.

وكانت أشد الأنباء أهمية وإثارة في ذلك الشتاء -لا سيما بالنسبة لأبطال جمعية زينيت- هو قرار الاتحاد السوفيتي بالموافقة على الاشتراك في دورة الألعاب الأولمبية السابعة عشرة التي ستقام في مدينة هلسنكي، وكانت تلك أول مرة يشترك فيها الأبطال السوفيت في الألعاب الأولمبية، وقد علمنا أن الحكومة السوفيتية سترسل فريقًا ضخمًا، وراود الأمل الكثيرين منا في أن الاختيار سيقع علينا.

وعلى كل حال كان كل شيء يتوقف على حالتنا أثناء التمرين
الشتوي، ولكنني أحسست أن الجهد الكثير الذي بذلته في الشتاء لن
يضيع سدى، فمن المحتمل أن يبتسم الحظ لي وأشارك في الفريق
الأوليمبي، فإذا حدث هذا، فإني أحب أن أستعرض براعتي لا في رمي
الرمح وحسب، وإنما في رمي الجلة أيضًا.



التلاميذ يصبحون مدرسين

لم تكن لديّ لحظة واحدة أضيعها، فقد كان معظم وقتي مكرسًا للدراسة بالكلية، حيث أصبحت في السنة الرابعة، وكنت أتمرّن مرات عديدة في الأسبوع، وعدا هذا كان عليّ أن أقوم بعملتي في الكومسومول وفي غيره من ألوان النشاط الاجتماعي، ولكن أهم شيء كان في نظري، هو التمرين مع الرياضيين الصغار.

كانت تلك هي السنة الثالثة منذ بدأ أكثر تلاميذ فيكتور إيليك مرانًا وتجارب في العمل كمرنين بمدارس التلاميذ الرياضية في مختلف أحياء ليننجراد، فبوريس ماتفييف وترياكورنييفا كانا يعلمان بمدرسة حي درسفسكي، وناتاشا سميرنتسكايا بمدرسة حي فازيليو ستردفسكي، ويوري لوكيانوف وبوريس باشينوف بمدرسة حي نبروجراد، ويوري شيرباكوف وألكسندر جورشوكوف بمدرسة حي لينين، وطلب منا أنا وإيجور كورولوف أن نمضي للتدريس في مدرسة حيناً؛ حي ستالين.

وكان فيكتور إيليك في خلال السنوات الخمس عشرة قد تجمع له الشيء الكثير من التجارب أثناء تمرينه للرياضيين، وقد استفاد من هذه التجارب معهد أبحاث التربية البدنية بليينجراد، وكانت موضع

المناقشة والدراسة في مختلف الاجتماعات والمؤتمرات، ونشرت الصحف عنها، ولكن الكتب والمحاضرات ومقالات الصحف لم تكن كافية لتعين الآخرين على التعلم منا كل ما هو مفيد وضروري، وكان فيكتور إيليك يرى أن أهم الوسائل وأشدها أثرًا في تقديم المعلومات إلى الغير هو التمرين العملي، وقد بدأنا، بناء على توجيه فيكتور إيليك، في تعليم الآخرين، لقد أصبح تلاميذ فيكتور أساتذة!

إن شتاء عام ١٩٥٠م - ١٩٥١م هو الذي بدأنا فيه -إيجور وأنا- التدريس في مدرسة الأطفال بحي ستالين، وكان إيجور أكبر مني سنًا، وأكثر مرانًا، وكنت في أول الأمر أساعده، وكان هو الممرن الرئيس.

وكانت المجموعة التي تولينا التدريس لها تبلغ نحو أربعين طفلًا وطفلة من الذين برزوا كرياضيين أكفاء في المباريات أو في فصول التربية البدنية بمدارسهم، وكان طبيعيًا أن يحلم كل منهم بأن يغدو بطلًا وحاملًا لرقم قياسي، وفي الوقت ذاته عليهم أن يدرسوا القواعد الفنية للرياضة، وأن يبلغوا المستوى اللازم للتأهل الرياضي.

وكان تلاميذنا متحمسين إلى حد أنهم استطاعوا أن يتدربوا على الحركات طوال المساء، ولكني وإيجور كنا نتبع الطريقة التي مارسها فيكتور معنا في بادئ الأمر، أولاً تنمية القوة البدنية بوجه عام، مع ممارسة القواعد الفنية شيئًا فشيئًا.

وكانت دروسنا في اليوم تستغرق ساعتين، تُكرس منها تسعون دقيقة على الأقل للتمرينات التي تكسب الرياضي اللياقة البدنية اللازمة، فالصبيان والبنات يقومون بتمرينات جمبازية، ثم يجرون ويقفزون،

ويقذفون بالكرة الثقيلة، وكنا نحاول أن نحتذي مثل فيكتور إيليك؛
فنجعل التمرينات تبدو كالعاب ومباريات.

ولم تلبث خصائص كل رياضي صغير أن تكشف، فمثلاً كانت
لوسيا سميرنوف ذات الأربعة عشر عاماً فتاة طويلة قوية، ولكنها بطيئة
بعض الشيء، وقد حاولنا أن نقدم لها المزيد من التمرينات التي تكسبها
المرونة والسرعة، ومن ناحية أخرى كان جينا إجناتيف يبدو ضعيفاً
غراً، فقررنا أن ننمي عضلاته، وأن نقدم له تمرينات تساعده على هذا.

وكنت أعرف جينا جيداً.. فقد كان صديقاً لأخي الأصغر سناسيك،
ويعيش في المبنى الذي نقيم فيه، وفي الواقع كان أخي سناسيك هو
الذي ساعد جينا على الالتحاق بمدرستنا الرياضية.

إن أهوال حصار ليننجراد كانت قد أثرت على صحة سناسيك أكثر
مما فعلت معي. كان أخي نحيلًا، ضعيفًا، كثير المرض. وكان قد بدأ
يدرس التربية البدنية منذ ثلاثة أعوام، ثم انضم إلى تلاميذ المدرسة
الرياضية، وفي هذه المرة لم تعترض أمي، وإنما قالت:

- دعيه يفعل هذا، فإنه لأمر حسن، ولعله يغدو أصح بدناً أيضاً.

وأسبغت الرياضة فعلاً على سناسيك الصحة والقوة، وأصبح
الأولاد الآخرون في بيتنا يعتقدون أنه أقواهم جميعاً، وقرر جينا
إجناتيف أن يحذو حذو أخي، وقد نجح في الالتحاق بمدرسة الحي
الرياضية، وكان شغوفاً بالرياضة.

وكلما أطلت النظر إلى الأطفال، رأيت بوضوح أنواع الألعاب التي

سوف يتخصصون فيها، ففيرا جيرا سيموفا وناشاشا شانيلين كانتا قفازتين بالسليقة، وكذلك كانت فولوديا كوزلوفسكي تبشر بأن تكون بارعة في القفز، وكانت تمارا بدريزفيك وفاليريك ستانوف وناديا ينريموفا وتانيا نيتوفا كل هؤلاء لهم مستقبل في العدو؛ فقد بدت عليهم خفة الحركة، وكان علينا أن نثير اهتمامهم بالجري، وأن ننمي قوتهم وقدرتهم على الاحتمال.

هل كان بينهم أي رام بالرمح أو القرص أو الجلة؟ نعم.. كان بينهم عدد من هؤلاء أيضًا، فمن الفتيات فينا بديزوفا، زينا كوندالوفا ولاريزا ستجالوفا، وربما الضاحكة ذات العينين السوداوين لوسيا مارجو؛ كلهن يبشرن بالنجاح في هذه الرياضة.

وكنا ندرس القواعد الفنية للعب في نهاية الحصّة، فكان إيجور يتولى أمر العدائين والقفازين، وأنا الرماة، وكنا نشرح لهم بادئ ذي بدء، فنعلمهم كيف يمسكون الرمح، وكيف يجرون به، وكان الصغار شديدي الاهتمام والشغف بدراسة قواعد الرياضة، وكنت أشرح كل شيء بأناة وعناية حتى يستطيع الجميع أن يفهموا ما أقول، والذي كنت أدرسه لهم هو كيف يؤدون الحركات الأساسية دون أن أخوض معهم في التفاصيل؛ فإن هذه يمكن أن تأتي فيما بعد.

كم كان الواحد منهم يبدو متعثرًا مستضعفًا وهو يمسك الرمح لأول مرة بين يديه! وكم كان عدد الأخطاء التي يرتكبونها!
وكنت أشجعهم قائلة:

- عال جدًّا! تقريبًا أحسنت، ولكن عليك فقط أن تمسكي الرمح

هنا، ارفعي يدك إلى أعلى، واجعلي كتفك إلى الورا قليلاً.. هكذا.
وكان هذا يستمر وقتاً طويلاً، فكنت أقومُ أخطاءهم، وأبين لهم
كيف يؤدون هذه الحركة أو تلك، وأشرح لهم الوضع كله، ثم أعود
فأبين لهم ماذا يفعلون، ما أشد حاجة المدرس الرياضي إلى الصبر،
والمثابرة، ولكن عمله يثمر عادة، ففي شهر أو شهرين رأيت إلى أي
مدى تقدم تلاميذي، وإلى أي حد بلغت بهم الثقة في النفس. نعم، لقد
تعلموا حقاً شيئاً، وإن هذا الشيء قد سرني؛ لأنه صادر مني.

ولكن الأمر لم يكن سهلاً على الدوام، منذ كان ثمة أوقات لم
يكتب لي فيها النجاح، ولم يكن هذا راجعاً إلى خطأ معين من أي تلميذ،
وإنما المرجح أن الخطأ كان من جانبي أنا؛ فلعلي لم أحسن الشرح كما
ينبغي، أو لم أوجه التلاميذ إلى الطريق الصحيح، وبطبيعة الحال كنت
أتبادل مع إيجور المشورة كلما واجهنا بعض العقبات، ولكن هذا لم
يكن كافياً بعض الأحيان، وعندئذ كنا نلجأ إلى فيكتور إيليك واثقين
بأننا سنظفر منه بالتوجيه السليم.

ولم نكن نحن فقط اللذين نلتمس النصح من فيكتور، وإنما كان
الآخرون يلجأون إليه أيضاً، ولم يكن فيكتور إيليك ينصحنا فقط
بما ينبغي أن نفعل، وإنما كان في الواقع يعلمنا كيف نقوم بالتدريس
للتلاميذ أيضاً.

وكان لأعضاء مدارس جمعية زينيت الرياضية اهتمامات
مشتركة عادة، وقد أُضيف اهتمام جديد نتج من العمل الجديد الذي
يتولاه الأعضاء كمدرسين، فكنت وإيجور مهتمين بمعرفة ماذا فعل

جورشكوف وشيرباكوف في مدرستهما بحي ليننجراد، وكم عدد رماة الرمح والقرص بين تلاميذ ناتاشا سميرنتسكايا في مدرستها بحي فازليوستروفسكيز، وكيف كان يواجهه باسفينوف ولوكيانوف المشكلات التي تعترض سبيلهما، ولم يكونوا جميعاً أقل اهتماماً بما نفعل في مدرستنا بحي ستالين.

وكنا نتبادل الحديث والمناقشة حول أعمالنا، ونشترك في المباحث والفشل، وكان كل منا بطبيعة الحال يتحدث بحماس عن المواهب التي اكتشفها، وعن أحسن الأولاد البنات من تلاميذه، وعن أبطال المستقبل.

واشتدت الانفعالات قبيل مباريات البطولة بين تلاميذ المدارس الرياضية بالمدينة، وكنا -نحن المدربين الشبان- أشد الجميع انفعالاً، فقد سبق أن اشترطنا بأنفسنا في مثل هذه المباريات، والآن جاء دور تلاميذنا، وإن انتصار أو هزيمة اللاعب هو في الوقت نفسه انتصار أو هزيمة للممرن، أي إننا في هذه المرة كنا ندخل الميدان في سمت آخر.

وأقيمت مباريات ألعاب القوى بين تلاميذ المدارس الرياضية في الأحياء المختلفة، بالاستاد الشتوي في مستهل عام ١٩٥٢م، وتحت أنجمه الكهربية أخذ مئات من المبتدئين في مباريات العدو والقفز والرمي، ينافس بعضهم بعضاً في القوة والخفة والبراعة، ولم يكن قد مضى وقت طويل منذ أن كنت مثلهم.. مبتدئة.

واستمرت المباريات يومين، ولكن ما أشد الانفعالات التي ملأت نفوسنا في هذين اليومين، كان لدينا، إيجور وأنا، الشيء الكثير مما

ينبغي أن يتم، كنا نجمع المشتركين معًا، ونفحص المعدات والأدوات، ونساعد الصغار على الاستعداد، ونذكرهم بهذا أو ذاك، ونطمئن على أنهم يقومون بكل شيء كما ينبغي، ننصحهم، ونشجعهم، ونواسيهم إذا هُزموا، ونهنتهم إذا فازوا، وكنا نشعر بالقلق من أجل واحد منهم، فإن هذه مدرستنا، وإن هؤلاء تلاميذنا.

وجاء ترتيب مدرسة حي ستالين الرابعة، ولم يكن هذا حسنًا جدًّا، كما لم يكن رديئًا أيضًا، إذا عرفنا أن عدد المدارس المشتركة في المباريات كان عشرًا، وفاز بعض تلاميذنا بالجوائز، فكان فولوديا كوزلوفسكي، الأول في مباراة القفز الطويل، وفاز إدوارد ماليون في القفز العالي، وجاء فالديك ستالونوف الثاني في سباق ٢٥٠ مترًا، على حين جاءت زينا كونوفالوفا الثانية في رمي الجلة.

وقد أحرزت النجاح المدارس التي تولى التدريس فيها لوكيانوف، وجورشكوف، وسميرنتسكايا، ولكننا كنا قانعين بهذا، فإنهم أصدقاؤنا ونحن جميعًا تلاميذ في مدرسة زينيت الرياضية نفسها، ونجاحهم هو نجاح لنا، وكنا دائمًا على استعداد لأن نتعلم ممن هم أقوى منا.

وبعد المباريات، استأنفنا التمرين، وتعليم الآخرين، وتعليم أنفسنا أيضًا، كنا نتمرّن، ونمرن غيرنا.

وفي ذات يوم أقبل فيكتور إيليك إلى الملعب وهو في أشد حالات الابتهاج، وأدركنا أن لديه أبناء مهمة، لقد أعلن لنا أنه تم اختيار أعضاء الفريق السوفيتي الأولمبي في ألعاب القوى، وكان بينهم ثمانية من تلاميذ مدرسة زينيت الرياضية، ناتاشا سميرنتسكايا ويوري شيرباكوف،

وبوريس ماتفييف، وماريا بيزاريفا، ونينا كوسوفا، وإنجانيكتينا، وتمارا تيشكيفيل، وأنا، وتقرر أن يقام معسكر للتمرين في أسرع وقت، وكان علينا أن نمضي للاشتراك فيه.

وانهمرت الأسئلة على فيكتور إيليك، وسأل أحدنا عن سيحل محلنا في مدارس الرياضة المختلفة.

فقال فيكتور باسمًا:

- لسوف نعالج هذا الأمر... لا تقلق، أليس لدينا ما يكفي من الرياضيين للقيام بأعمال التمرين؟! وإلى أن يحين الوقت استمروا كالمعتاد.

وهكذا فعلنا؛ أخذنا نتمرن للدورة الأوليمبية ونمرن تلاميذنا في الوقت نفسه، ونعدهم للاشتراك في مباريات الصيف المقبلة بين تلاميذ المدارس بلينجراد.



الفصل الثالث

الأرقام القياسية العالمية

قبيل الدرورة للأوليمبية

وذهبنا في الربيع إلى مدينة سوكي حيث كان علينا أن نتمرن، ولم نر هناك أوحالاً أو أحسننا بالصقيع أو الهواء اللاذع، أو أي شيء من خصائص الجو البارد في ربيع الشمال، بل في الواقع كان الصيف قد أقبل على سوكي، فكل شيء كان أخضر مزدهراً، وشمس الجنوب كانت تشرق ساطعة، والشواطئ مزدحمة بالمستحمين، ولكن لم تكن لدينا فسحة وقت للشاطئ؛ ففي كل صباح كان فريق ألعاب القوى السوفيتي يلتقي في الاستاد المحلي ويستمر في المران ساعات طوالياً، وكنا، نحن أبناء مدرسة زينيت الرياضية، سعداء بوجود فيكتور إيليك معنا، فما أفضل وأسهل أن يتدرب الإنسان في وجوده!

وقسمت تمريناتي إلى أربعة أقسام: يوم لإتقان القواعد الفنية لرمي الرمح، وآخر لتحسين طريقتي في رمي الجلة، وثالث للتمرين على الجري وتقوية ساقي، ورابع للراحة، ولكن كان الواجب عندئذ الاستفادة حتى من هذه الراحة، وكنت أحب أن أمضي وقت راحتي في التطريز، وكان فيكتور غير راض أبداً عن مثل هذه الراحة، فكان يهز رأسه بين الحين والآخر قائلاً:

- مرة أخرى تعملين في تطريز هذه الصليبان الصغيرة! إن وسادتك يمكن أن تنتظر؛ الأفضل أن تجمعي ناتاشا وتمارا والآخرين لتذهبوا معًا في رحلة إلى الجبال.

وعندئذ كنت ألقى بوسادة التطريز جانبًا، وما هي غير ساعة حتى نكون سائرين في واد جبلي جميل، وكان من النادر على كل حال أن نقتصر على السير إذ كان فيكتور إيليك يعثر لنا دائمًا على طريق وعر، ويجعلنا نقفز ونتسلق الصخور، وكانت تلك الرحلات بهيجة جدًا؛ فهي راحة من المران المتواصل، ومع ذلك كنا نعود منها مرهقين، وهي على كل حال لم تكن تخلو من فائدة محققة، فهي تقوي عضلاتنا، ومع ذلك كانت أمتع كثيرًا من مجرد التمرين على القفز والجري والحجل.

وكان في سوكي إخصائيون في كل ميدان من ميادين الألعاب الرياضية، وكل من هؤلاء كان يكافح لتحقيق هدفه، فكان هدفي أن أسجل رقمًا قياسيًا عالميًا في رمي الرمح، وأن أتساوى في الرقم القياسي لرمي الجلة. وكنت لم أزل ضعيفة في رمي الرمح، وكانت أحسن نتائجي ٤٨، ٤٧ مترًا، وكنت أتمرّن في جهد ومثابرة، ولكن عضلاتي لم تكن مستعدة بعد لتقوم بالجهد الأعظم، وكنت وفيكتور إيليك نعرف أنني في خلال شهر أو شهرين سوف أحقق على الأرجح الهدف الذي أسعى إليه.

واستطعت في رمي الجلة أن أقذف بها إلى مسافة ٤٩، ١٤ مترًا، وكانت هذه نتيجة أحسن مما وصلت إليها في العام السابق، وكان الجهد الذي بذلته في الشتاء وهنا في سوكي قد بدأ يؤتي ثماره، ولكنني

كنت أبعد ما أكون عن الرضى؛ كنت في حاجة إلى مزيد من التمرين لتحسين طريقتي في اللعب، ولم يكن هذا رأي فيكتور إيليك وحده، وإنما آراء غيره من المدربين في معسكر التدريب.

وتقدمت تمارا تيشكيفيك كثيرًا في سوكي، فقد كانت في الخريف متخلفة عني بمتراً، أما الآن فهي تستطيع أن تقذف بالجلة إلى مسافة جد قريبة من مسافتي؛ أي أقل بستتيمترات قليلة، وسرعان ما نجحت في الانتصار عليّ.

وقد حدث هذا بعد أن ودعنا البحر وأشجار النخيل وشمس الجنوب الساطعة، وكان الصيف قد وصل إلى الشمال أيضاً، وفي شهر يونية تبارينا مع الفريق المجري في كييف، وكانت هذه المباراة اختباراً رائعاً لقوى الفريقين الأولمبيين السوفييتي والمجري.

وفي تلك المباراة قذفت الرمح مسافة ٦٤, ٥١ متراً، وكانت هذه نتيجة لا بأس بها، وفي رمي الجلة كانت مسافتي ٧٨, ١٤ من المتر. وكانت هذه أيضاً نتيجة تبدو حسنة، ولكنني لم أظفر إلا بالمركز الثالث، أما المركز الأول فكان من نصيب تمارا تيشكيفيك التي فازت به برمية رائعة مسافتها ٩٤, ١٤ من المتر، وكانت الثانية كلافديا توكينوفا برمية مسافتها ٨٥, ١٤ من المتر.

حقاً كنت قد فزت على أنا أندرييفا، ولكننا جميعاً كنا نمتاز عنها في شيء مشترك، وهو الشباب، وكانت أندرييفا، حاملة الرقم القياسي العالمي يومذاك، قد أمضت سنوات عديدة في ملاعب الرياضة، وقد آن لها الآن أن تخلي الطريق للرياضيات الأصغر سنّاً، أما عن نفسي،

فإن انتصاري على أندرييفا لم يسعدني كثيرًا، ذلك أنني صممت على أن أُلحق أولًا بتوكيشوفا ثم بتمارا، وبعد هذا أحطم الرقم القياسي العالمي. ولم يبق إلا وقت قصير جدًا على الألعاب الأولمبية، ولكنه كان كافيًا لتحسين نفسي.

وفي ذات يوم كنت أتمرّن على رمي الجلة، وقذفت بها مرة، ومرتين، وفي اللحظة التي كنت فيها أحجل لأقذفها للمرة الثالثة، غيرت بلا وعي مني، وضع ساقي اليسرى، وكانت النتيجة أحسن كثيرًا، وكان فيكتور إيليك موجودًا يراقبني بعناية وأنا أقوم بالتمرين، ومن ثم صاح: - انتظري برهة، اقدفيها مرة أخرى بهذه الطريقة.

وقذفتها، وطارت مرة أخرى مسافة أبعد، وتناولها فيكتور وقذف بها كما فعلت أنا.. باسطًا نفسه، خافضًا ساقه اليسرى وهو يحجل، ثم قال متأملًا:

- ليست هذه غلطة، إنها اكتشاف.

وكان علينا أن نتأكد أن هذه الطريقة الجديدة تفيدني، ومن ثم أخذنا نقارن بين الطريقة القديمة والأخرى الجديدة حتى أدركنا أنها أفضل كثيرًا، لقد اكتشفت أخيرًا الحلقة الضعيفة في سلسلة حركاتي قبل الرمية.

كان من العسير أن أتعود على هذه الحركة الجديدة لأجعلها تتجاوب مع الحركات الأخرى، ولكنها مع هذا جاءتني بنتائج أفضل. وفي ذلك الوقت كنت قد أتقنت طريقة البدء بوساطة تخفيض

فخذي الأيمن بقدر ما أستطيع، ولم تكن ثمة سيدة من راميات الجلة قد فعلت هذا من قبل، ويرجع الفضل في نجاحي على القيام بهذه الحركات الشاذة إلى التمرين المتواصل الذي قمت به في الشتاء والربيع لتقوية ساقي، وكان هذا على التحديد ما حاول فيكتور إيليك أن يفعله.

وكلما اقترب موعد الدورة الأولمبية ازداد تفكيرنا في منافسينا.

لم نكن نشعر بالقلق بشأن الرمي بالقرص، فلم يكن ثمة سيدة في العالم تستطيع الاقتراب من رقم دومباز أو روماشكوبا، وعدا هذا فقد كان لدينا احتياطي من راميات القرص الممتازات.

وماذا عن الرمح؟ لم تستطع ناتاشا سميرنتسكايا أن تشترك في الدورة الأولمبية؛ لأنها كانت على وشك أن تصبح أمًّا، ولكنها لم تكن السيدة السوفيتية الوحيدة التي تستطيع أن ترمي أبعد من خط الخمسين مترًا، ولهذا كان ثمة أخريات يمكنهن أن يحلن محلها، وكانت أخطر منافساتنا في هذه اللعبة هي دانا توبيكوبا التشيكية.

وكانت راميات الجلة السوفيتيات على مستوى عال، ولكن لم يكن عليهن فقط أن ينافسن بعضهن بعضًا في سبيل النصر، وإنما كانت هناك، مثلًا، ماريان ورر من ألمانيا الغربية التي قذفت بالجلة، أخيرًا، مسافة ٦٤, ١٤ من المتر، وكان هذا رقمًا جد قريب من أرقامنا، وكنا نعرف أن ماريان لا تكف بطبيعة الحال عن مواصلة التمرين، ولعلها كانت تتمرّن مثلنا أو أكثر لتحسن نتيجتها، ومن المحتمل أنها قد تصل إلى خط ١٥ مترًا. حسنًا، ونحن أيضًا كنا نبذل الجهد في التمرين.

وانتهت التمرينات، وكذلك انتهت المباريات الودية، وتمت أخيرًا

عملية اختيار فريق ألعاب القوى السوفيتي وغيره من الفرق، واجتمع المبعوثون جميعاً في ثيبورج بالقرب من الحدود السوفيتية الفنلندية، وهنا كان على الرياضيين أن يقضوا أياماً قليلة ليتأقلموا في الظروف الجوية التي كانت مشابهة تماماً للظروف الجوية في هلسنكي.

ولم نكن نحن، سكان ليننجراد، في حاجة حقاً إلى هذا؛ لأننا نعيش بالقرب من فنلندا، وكنا معتادين على الرطوبة والأجواء الباردة، ولكن كانت ثمة أسباب أخرى تبرر عدم بقائنا تلك الأيام القليلة في مدينتنا، فقد كنا نخضع في نظام الأكل والمعيشة والتدريب لإشراف دقيق حازم من الممرنين والأطباء.

وتمرنا قليلاً في استاد ثيبورج، ولم يكن ذلك التمرين في الواقع أكثر من ممارسة بعض الألعاب الرياضية الخفيفة للمحافظة على أسلوب ألعابنا الصحيح.

وقبل رحيلنا إلى فنلندا بيومين أو ثلاثة، قمنا بنوع من المباريات على سبيل التجربة الأخيرة، ولم يكن ثمة متفرجون في الاستاد، وإنما فقط اللاعبون، والمشرفون على الاستاد، وعدد قليل جداً من عشاق الرياضة في ثيبورج.

وكانت هذه المباراة التجريبية على جانب من الأهمية، فقد استطاع كثير من العدائين والقفازين والرماة أن يحرزوا نتائج مهمة، وكانت هذه ثمرة تمريننا الشاق.

وكنت في حالة رائعة وأنا أتقدم إلى الملعب في مباراة رمي الجلة، فجريت قليلاً، وتوقفت، ومارست رياضة الشهيق والزفير لتقوية

عضلات التنفس.

وكان الاختيار قد وقع عليّ وعلى تيكونوفا وتشكيفيك للاشتراك في مباراة رمي الجلة بهلسنكي، ولم تشترك تشكيفيك في تمرينات ثيورج بسبب إصابة في ساقها، وقذفت كلافديا تيكونوفا الجلة أولاً مسافة أبعد من ١٤ مترًا، ولم تكن نتيجتي رديئة أيضًا، وقد ظللنا نحن الاثنتين نتسابق ونتبارى ونزيد المسافة باستمرار.

وفي آخر محاولة تمهيدية كانت الرمية رائعة؛ فقد طارت الجلة مسافة ١٣, ١٥ من المتر، أبعد من رمية أنا أندرييفا بأحد عشر سنتيمترًا. وهرعت صديقاتي لتهنّتي ومعانقتي ومصافحتي، ولكن ألكسندرا كودينا طردتهن بعيدًا عني وصاحت:

- ابتعدن عنها؛ إنها وهي لا تزال تتمرن تستطيع أن تأتي بنتيجة أحسن. وكانت على حق؛ ففي أول محاولة في الدور النهائي قذفت الجلة مسافة ١٩, ١٥ من المتر؛ أي أكثر من الرقم القياسي العالمي بسبعة عشر سنتيمترًا.

ولم يكن من الممكن تسجيل نتيجتي هذه كرقم قياسي عالمي؛ ذلك لأن نتائج المباريات الرسمية فقط هي التي تُسجل، ولكن المهم في الموضوع هو أنني استطعت قذف الجلة مسافة أبعد من ١٥ مترًا بكثير، وبعد أن نجحت في تحقيق هذا مرتين في ذلك اليوم، تأكدت من قدرتي على تسجيل رقم قياسي عالمي في هلسنكي، حتى ولو قصرت المسافة قليلًا.

كنت متأكدة الآن أننا سنفوز ببطولة العالم في رمي الجلة، فإذا لم تستطع كلافديا أن تظفر بها، استطعت أنا أو تمارا، ولكن البطولة لن تكون لماريان ورنر على كل حال.

وبعد رمي الجلة، جاء دور الرمي بالرمح، وقد تباريت في هذه المرة مع ألكسندرا كودينا وإيلينا جورشاكوفا من موسكو.

وكانت رميتي الأولى جيدة؛ ٥١ مترًا، والرميتان التاليتان كانتا أحسن؛ أبعد قليلاً عن مسافة ٥٢ مترًا، وجاءت الرمية الثالثة أقل قليلاً، وانكسر سن رمحي بعد الرمية الثالثة، ولكن فيكتور إيليك أصلحه بشريط لصاق.

وجاءت الرميات الأخيرة، وطار الرمح في الهواء وسنه المعوج كالمروحة يحد قليلاً من قوة اندفاعه، ومع ذلك فقد كانت المسافة ٥٣,٣٥ من المتر، أقل فقط بستة سنتيمترات عن الرقم القياسي العالمي، لقد بذلت كل ما في وسعي، وحاولت كل جهدي، وحققت أحسن نتيجة في رمي الرمح منذ ذلك الحين.

وصفق اللاعبون في الاستاد لي، على حين صاحت نينا دومباز:

- لا تعطوها القرص.

والتقط الرجال فكاهتها التي تشير بها إلى أنني قد أستطيع تحطيم رقمها القياسي في رمي القرص، وصاحوا قائلين وهم يصطنعون الخوف:

- لا تعطوها المطرقة.

وتلا هذا ضحك عريض، وضحكت أيضًا منتشية بالفوز..
وشاركني فيكتور إيليك سعادتي قائلاً:

- حسنًا، ألم أقل لك إن العمل لا يضيع أبدًا.

وكان على حق؛ فإن نتائجي في ذلك اليوم كانت ثمرة الجهد الشاق
والتمرين المتواصل طوال العام، كما يرجع الفضل في هذا أيضًا إلى
إيليك، فأنا أعترف إلى أقصى حد بجميل ذلك الرجل الذي علمني
ووجهني، وكان على استعداد دائم لأن يفنى بجانبني.

وفي اليوم التالي تأهبنا للرحيل إلى هلسنكي، وقد حاولت أن أحرر
ذهني من التفكير في الأولمبياد، ولكن عبثًا حاولت، فأنا لم أستطع أن
أفكر في شيء آخر، ترى هل كان هناك أمل في انتصاري؟ كيف كان
يمكن أن أكفَّ عن التفكير في هذا السؤال؟

في عام ١٩٤٦م سجلت أول رقم قياسي لي في رمي الرمح لمدينة
ليننجراد، وكان رقمًا متواضعًا جدًّا في ذلك الحين. أما الآن، فقد كنت
على عتبة أرقام قياسية عالمية، ولم يكن من المتوقع أن تجري الأمور
بسهولة في الأولمبياد؛ لا لأنني كنت سألتقي بمنافسات قويات، وإنما
لكثرة ما سيشتيع من انفعالات، وما يقع من مفاجآت. نعم، كان علينا
أن نستوعب في أذهاننا أين ومع من سنتبارى؛ أي كان على كل منا ألا
تحلل براعة منافستها وحسب، بل أن تعرف أيضًا مدى قدرتها على
ضبط النفس، وقوة إرادتها.

وكان ثمة عدد كبير من منظمة الكومسومول في فريقنا، وقد
اختاروني منظمة لهم، وقبيل رحيلنا إلى الأولمبياد عقدنا اجتماعًا

ذكرت فيه كلامنا بمسؤوليته نحو الشعب السوفييتي ونحو الحزب ونحو الكومسومول، وكان كل منا يدرك هذا كله، ويضطرم بالرغبة ليحقق الثقة التي وضعها الشعب فيه.

وناقش الاجتماع طلب كل من تمارا تيشكيفيك وفالتينا بوجدانوفا «وهي بطلة أوروبا في القفز الطويل» للانضمام إلى الكومسومول، وقد قالت فالتينا:

- إنني أريد الاشتراك في هذه المباريات الدولية الكبرى كعضو في الكومسومول، الذي يضم طليعة الشباب السوفييتي، والذي يعتبر اليد اليمنى للحزب الشيوعي.

وقالت تمارا:

- إن أعضاء الكومسومول كانوا دائماً يضربون المثل لي، وأنا أريد أن أكون منهم.

وقبلت طلبات هاتين الاثنتين، وسمح لهما بالانضمام إلى الكومسومول قبيل رحيلنا إلى هلسنكي.

وحان الوقت لنودع أرض الوطن، فركبنا قطارًا خاصًا، وكنا ثلاثمائة وخمسين رياضيًا مع ممرنينا، وقد اشترك اللاعبون السوفييت في معظم المباريات: ألعاب القوى والجمباز، والمصارعة والملاكمة، وحمل الأثقال، والسباحة، والرماية، والفروسية وكرة السلة، وسباق الدراجات، وسباق الخماسيات، والتجديف، والمبارزة.

وكنت جالسة مع تمارا إلى النافذة حين رأينا فيكتور إيليك وبوريس

ماتفييف، ويوري شيرباكوف يندفعون إلينا وهم يحملون أكياسًا ثقيلة،
فقلت لهم صائحة:

- إنكم لم تنسوا البطاطس، أليس كذلك؟

فقال شيرباكوف مندهشًا:

- أي بطاطس؟!!

- كالمعتاد، ألسنا ذاهبين إلى أولجينو؟

وضحك فيكتور إيليك وهز إصبعه في وجهي.

يا للذكريات عن أولجينو! لقد اجتزنا كل الطريق من الممرات

الضيقة في غاباتها إلى الملاعب الأولمبية، وتحرك القطار، وبدأنا

نقترب من نهاية الطريق الطويل.



النجاح في هلسنكي

كانت نسبة رياضيي ألعاب القوى إلى جميع الرياضيين في الدورة الأولمبية كنسبة ١ إلى ٥، وكان عدد اللاعبين جميعًا نحو ١٣٠٠ لاعب، وكان عدد المباريات للرجال ٢٤ مباراة، وللنساء ٩ مباريات فقط.

وكان الشعب السوفيتي قد أصبح معتادًا على الكفاءة الممتازة التي يتمتع بها لاعبوه ولاعباته، ومن ثم لم يندهش أي مواطن لما أحرزناه من انتصارات سابقة في معظم المباريات التي اشتركنا فيها، ويختلف الحال في الدول الرأسمالية، نتيجة لعدم المساواة، تخلفت النساء كثيرًا عن الرجال في الرياضة، ولا سيما في ألعاب القوى، وكان لهذا أثره في برنامج الألعاب الأولمبية.

فقبل عام ١٩٢٨ م لم تشترك سيدة في الألعاب الأولمبية، وإنما اشتركن لأول مرة في الدورة الأولمبية التاسعة بأمستردام، واقتصر اشتراكهن عندئذ على أربع مباريات، وفي عام ١٩٤٨ م ازداد عدد مباريات النساء إلى تسع، ولم يتغير هذا العدد بعدئذ، وهذه المباريات كانت سباق المائة متر، والمائتين، وثمانين مترًا حواجز، و١٠٠×٤ متابع، والقفز العالي، والطويل، ورمي القرص، والرمح، والجملة، ولم يكن في برنامج الدورة الأولمبية مباريات للنساء في سباق ٢٠٠×٤

تتابع، أو التتابع الخماسي، أو سباق الأربعمئة متر أو الثمانمئة متر، وهذه الألعاب تعتبر في الاتحاد السوفيتي من الرياضة الشعبية، وهي في طريقها إلى أن تكون كذلك، وبسرعة، في الديموقراطيات الشعبية، وفي الدول البرجوازية تقتصر هذه الألعاب على الرجال غالبًا، وذلك هو سر فقر البرنامج الأولمبي في مباريات السيدات.

وكانت أولى الانتصارات الأولمبية في مباريات السيدات قد سجلت على أيدي راميات القرص السوفيتيات، وكان عدد المشاركات في هذه المباراة إحدى وعشرين لاعبة، ولكننا فزنا بالمراكز الثلاثة الأولى، وكانت الميدالية الذهبية في هذه المباراة من نصيب نينارا مشكوكا التي سجلت رقمًا قياسيًا أولمبيًا هو ٤٢, ٥١ من المتر، وكانت الثانية إليزافيتا باجربانتيفا، والثالثة نينادومباز، والرابعة يوشينو اليابانية، والخامسة هايدجر النمساوية.

ولسوء الحظ لم أر نينارامشكوكا وزميلاتها وهن يحرن هذا النصر، ففي مثل هذه المباريات الدولية المهمة لا يستطيع اللاعبون عادة أن يراقبوا زملاءهم وهم يتبارون؛ فلم يكن من المستحسن أن يرقب اللاعب الذي يوشك أن ينزل الميدان زميله أثناء اللعب؛ فإن الانفعال قد يثير فيه الاضطراب ويؤدي به إلى نتيجة عكسية ويؤثر في نتائجه، وإنما ينبغي أن يكون اللاعب هادئًا مستجمعًا لأعصابه وهو ينزل الميدان. ولهذا السبب فإن رؤساء الوفد السوفيتي كانوا على حق تمامًا في منع اللاعبين من مراقبة زملائهم، إلا إذا كانوا قد فرغوا من أداء أدوارهم.

وكنا نقيم في أوتانيمي -أحد المعسكرات الأولمبية- في ضواحي هلسنكي، وفي كل صباح كانت الحافلات الزرق الطويلة تحمل إلى

الاستاد اللاعبين الذين سيشترون في مباريات اليوم، ويمكث الباقون في معسكراتهم، وقد أمضينا الوقت في الراحة والقراءة والتمرين في الاستاد الذي وضع تحت تصرفنا، وكنا نسمع النتائج عن طريق المذياع فقط.

وكنا ونحن جالسون بالقرب من مكبر الصوت نهتف ونصفق لزملائنا الفائزين، ولما عادت الظافات بميداليات النصر، استقبلناهن بحرارة وحماس.

وكان عليّ أن أمكث في أوتانيمي ثلاثة أيام كاملة، كل يوم منها كان مليئاً بالمباريات، وفي الواقع كانت مباريات الدورة الأولمبية كثيرة ومهمة، بحيث لن يسعني إلا الاقتصار على وصف المباريات التي اشتركت فيها لاعباتنا فقط.

أقيم سباق المائة متر في الحادي والعشرين من شهر يوليو بين ٥٦ عداءة، وكان الاتحاد السوفييتي ممثلاً في هذا السباق بالعداءات الشابات: ناديا خينيكينا وإيرينا توروفا وفيرا كالا شنيكوفا، وقد واجهن منافسات من أسرع وأقوى العداءات، من بينهن بطلة العالم مارجوري جاكسون الأسترالية.

وعلى الرغم من هذا، استطاعت ناديا خينيكينا أن تصل إلى الدور النهائي الذي كان سيعقد في اليوم التالي، ولكنها توقفت عند العلامة، وفقدت البطولة بعشر أو عشري ثانية، وقد أدى هذا إلى خروجها من السباق.

وفازت ببطولة سابق المائة متر الأولمبي للسيدات مارجوري جاكسون في ١١,٥ من الثانية، وفازت مندوبة هولندا بالمركز الثاني

في ٨, ١١ من الثانية، «وكان هذا هو رقم ناديا خينيكينا في الصيف»، وكانت الثالثة نوروفا بزمن يقل عشر ثانية، وقد وضح في هذا السباق أن أرقام الالعاب السوفيتيات كانت أقل من أرقامهن السابقة، ولعل هذا راجع إلى الانفعال النفسي، أو نقص الخبرة في مواجهة المباريات الدولية الكبيرة.

وفي اليوم الثالث والعشرين من شهر يوليو، اشتركت خمس وثلاثون سيدة في مباراة القفز الطويل، وقد ظهر بوضوح أن المعركة على المركز الأول ستقتصر على إيفيت ويليام النيوزيلاندية، وألكسندرا كودينا السوفيتية، وفازت الأولى بالبطولة، إذ كانت مسافتها ٢٤, ٦ من الأمتار، وفازت كودينا بالميدالية الفضية، وكانت مسافتها ١٤, ٦ من الأمتار، وأثبتت القفازة السوفيتية الصغيرة نينا فيوركينا جدارتها، وجاءت السادسة في الترتيب، وقد أضاف هذا إلينا نقطة في حساب النقط غير الرمي للفرق، وهذا الحساب غير الرسمي كان يقوم به المعلقون الرياضيون، وينشرونه ويذيعونه على نطاق واسع.

وكان دوري للظهور في الملعب في اليوم الرابع والعشرين من شهر يوليو، في مباراة رمي الرمح، وكان من الالعاب السوفيتيات معي ليناجور شاكوف، والبارعة الرياضية كودينا.

ولم يكن من العسير الوصول إلى المراحل النهائية في هذه المباراة؛ فقد كان المطلوب للاشتراك فيها أن تقذف اللاعبة بالرمح مسافة ٣٨ مترًا على الأقل، وقد وصلت جميع المشتركات التسع عشرة إلى هذا المستوى، وكان بينهم عدد من المعارف منهن الصديقة القديمة

دانازا تويكوكوفا، وبوانا وكلسبي اللتان التقيت بهما في بروكسل.

وتقرر إقامة المباراة النهائية في الساعة الثالثة بعد الظهر، وكان ثمة وقت يكفي للاستعداد للمباراة الحاسمة، وقد قررت أن أبدأ التمرين قبل المباراة بساعة، وتمرنت تحت إشراف فيكتور إيليك على جري البداية، ومارست ألوأنا عديدة من التمرينات الخاصة، وأحسست بالمرونة تسري في عضلاتي، وبالقوة تضطرم في جسمي، وبكياني كله مستعداً للمباراة، واتجهت إلى غرفة الملابس انتظاراً لدوري.

وفجأة أعلن مكبر الصوت أن مباراة رمي الرمح للسيدات تأجلت نصف ساعة.

وتساءلت عن السبب، فقبل لي إن مباراة رمي المطرقة للرجال كانت لا تزال قائمة، وقد كان الواجب أن يتوقع المسؤولون شيئاً كهذا، وأن يحذرونا إياه؛ إذ كان من اليسير أن تستمر الواحدة منا في ضبط مشاعرها نصف ساعة أخرى، وكان يخشى أن يهبط الحماس المهم جداً في خلال هذا الوقت، ولكنني بذلت جهدي، وبدلاً من أن أجلس بلا عمل، رحت أمارس بعض التمرينات.

وانتهت أخيراً الدقائق الثلاثون، ولعلها كانت أطول ثلاثين دقيقة في حياتي، ولكننا لم نستدع إلى الملعب، وفي إيجاز أقيمت مباراة رمي القرص بين السيدات متأخرة ساعة وخمس دقائق عن موعدها، وأحسنا جميعاً بالاستنكار لهذه الفوضى المخجلة في التنظيم والإعداد، ومضينا إلى الملعب في غضب واضطراب، وبعضلات ضعيفة متراخية.

ولما جاء دوري للرمي، أحسست بانعدام القوة في جري البداية،

وفي الرمية نفسها، وكانت اللاتي رمين بعدي أحسن مني كثيرًا.

كانت أحسن رمية على يد دانا زاتوبيكوفا التشيكية التي تجاوزت بها خط الخمسين مترًا بسبعة وأربعين سنتيمترًا، وكان رقم كودينا ٥٠,٠١ مترًا، وجورشاكوفا الثالثة، وأنا الرابعة برمية مسافتها ٤٨,٣٥ مترًا، ولشد ما كان استيائي لقد رميت الرمح قبل ذلك بأيام قليلة مسافة تزيد على هذه بخمسة أمتار.

ولكن المهم في الأمر لم تكن مشاعري الخاصة، وإنما كان الاستياء العام هو أن الفريق السوفيتي لم يفز بالميدالية الذهبية، حقًا كان ثمة ما خفف عنا الاستياء لأننا ظفرنا بالميداليتين الفضية والبرونزية؛ ولأن مجيئي الرابعة في الترتيب أتاح للفريق الحصول على ثلاث نقاط زيادة، وكان مجموع النقاط التي حصل عليها الفريق النسائي السوفيتي في رمي الرمح ١٢ نقطة، وأتاحت الفائزة بالميدالية الذهبية لفريقها الحصول على سبع نقاط، ولكن ما جدوى محاولة عزائي لنفسى؛ لقد كان في مقدوري أن أظفر للفريق بسبع نقاط بدلًا من ثلاث.

وأحسست بهبوط شديد في روعي المعنوية، ولاحظ فيكتور إيليك هذا، فقال:

- كفى هذا؛ إن مثل هذه الأشياء تحدث أحيانًا، فقد كانت الظروف ضدك، ولكن ماذا كان في وسعنا أن نفعل؟ فأنا لا أستطيع أن أتحدى منظمي الدورة وأطلبهم للمبارزة، أيمن أن تتصورى مثل هذه المبارزة وأنا فيها أمسك الرمح لأقاتل رجالًا بالصفافير والمقاييس والتقارير.

ولما ابتسمت في شحوب، أردف قائلاً:

- هذا أحسن، استجمعي قواك، ولا تنسي أنك ستشركين في
مباراة رمي الجلة بعد غد.

وكان ممرني يريد مني أن أهدي مشاعري، وأن أنسى هزيمتي،
ولكن كيف هذا؟ وفي صباح اليوم التالي استأجر فيكتور سيارة ودعا
بعضنا للذهاب معه إلى هلسنكي.

وأودعنا السيارة مكانًا أمينًا، وأخذنا في هلسنكي نتجول في
شوارعها، وكانت العاصمة الفنلندية في ذلك الحين تعيش فقط على
الدورة الأولمبية، فجميع المطاعم والمتاجر ووسائل المواصلات
كانت موضوعة تحت أمر الرياضيين الزائرين، والصحف مزدحمة
بالتقارير عن الألعاب، والشعار الأولمبي وهو خمس حلقات مختلفة
الألوان متداخلة يمكن أن ترى في كل مكان، وكان هذا الشعار مصنوعًا
من الزهور، مرسومًا على حديقة المدخل لدار البرلمان الفنلندي.

وكنا نرى من الشارع الرئيسي في العاصمة، برج الاستاد الأولمبي
المكون من ٢٢ طابقًا، الذي أقيم - كما علمنا - تخليدًا لذكرى الرقم
القياسي العالمي في بطولة رمي الرمح المسجل على يد جورفينين
الفنلندي في العقد الرابع من هذا القرن. ويبلغ ارتفاع البرج ٧٢ مترًا؛
أي مسافة الرقم القياسي.

وكان فيكتور إيليك يريد مني أن أنسى كل شيء عن رمي الرمح،
ولكن ها هو ذا شيء آخر يذكرني، ولكي نشغل أنفسنا عن هذه الذكرى،
ذهبنا للفرجة على مباريات الفروسية.

وفي اليوم الذي كان عليّ الاشتراك في مباراة رمي الجلة، استيقظت

هادئة متعشة، وبعد طعام الإفطار، ذهبت مع كلافديا وتمارا إلى الاستاد لمباريات التصفية، وهي المباريات التي ينبغي ألا يقل رقم المتنافس فيها عن ١٢,٥ متر.

وهناك رأيت لأول مرة ماريان ويرنر من جمهورية ألمانيا الغربية، وكنت قد سمعت الشيء الكثير عنها، وهي فتاة خميرية، شابة، طويلة القامة جدًّا، عريضة الكتفين، مفتولة العضلات، وبجانها رأيت لاعبة أخرى من ألمانيا الغربية؛ إنها كيل، وكانت تبدو أطول قامة أيضًا.

وكانت مباريات التصفية جد سهلة بالنسبة لنا بحيث لعبتها مع توكينوفا في ملابس التمرين، وكانت محاولتي الأولى تسجيل رقم ١٣,٦٩ مترًا، وهو رقم أكبر من الرقم القياسي العالمي، وقذفت توكينوفا الجلة مسافة ١٣,٨٠ مترًا، وسرت همهمة الدهشة في مدرجات المتفرجين، وكذلك أجادت تمارا في رميتها.

وقذفت اللاعبتان الألمانيتان الجلة إلى ما وراء خط ١٣ مترًا أيضًا، وكانت إيفيت ويليام النيوزيلاندية البارعة بين اللاعبات الأربع عشرة اللاتي صعدن إلى الدور النهائي من المباريات العشرين.

وتقررت إقامة المباراة النهائية بعد الظهر، ومن ثم عدنا إلى أوتانييمي لاستراحة قصيرة، وكان من اليسير معرفة من التي ستفوز، ذلك لأنه ما من فتاة من اللاتي تبارين للتصفية كشفت عن كل قوتها في ذلك الصباح، وكنت هادئة الأعصاب، ورقدت للاستراحة أنصت إلى توكينوفا وهي تقرأ لنا كتابًا.

وعدنا إلى الاستاد بعد ثلاث أو أربع ساعات، وفيما أنا أتقدم إلى

الملعب، قال لي فيكتور إيليك:

- ابذلي كل جهدك في الرمية الأولى، فإن الرمية الجيدة توهم عزيمة منافسيك، ولا ترتكبي أي أخطاء فنية، اضغطي جيدًا بساكنك اليمنى وأنت تقذفين، وارفعي ذراعك إلى مدها.

وكانت ثمة سحابة خفيفة من الدخان تسبح فوق الشعلة الأوليمبية، وكانت السماء غائمة، والمطر يتساقط رذاذًا، ولكن الاستاد الواسع كان مزدحمًا.

وأحضرت ويرنر وكيل حشايا وثيرة رقدنا عليها، ثم جاء إبريق القهوة، ولست أتذكر جميع النتائج في الدور النهائي، ولكن بين اللاعبات الأجنبية كانت ماريان ويرنر أحسنهن بالرقم ٨٧، ١٣ مترًا، وقد أجادت عنها كثيرًا كل من توكينوفا وتيشكيفيك؛ إذ كان رقم كل منهما ٤٢، ١٤ مترًا.

وفيما أنا أتقدم إلى الدائرة وضعت الجلة متوازنة في كف يدي، ثم وازنت نفسي، وقذفت، وكان المجهود رائعًا ١٥ مترًا.

ودوت المدرجات بالتصفيق، وهنأني زملائي، وبدت الدهشة على ماريان ويرنر.

وكانت رميات اللاعبات الأخريات لا تصل إلى خط الأربعة عشر مترًا، كلافديا فقط هي التي حسنت نتيجتها في المحاولة الثانية ووصلت إلى ١٤، ٥٠ مترًا.

وبقيت لكل منا رمية أخيرة، ودخلت ويرنر الدائرة أولاً، وراقبتها

بإمعان، فالفتاة الألمانية كانت قوية من الناحية البدنية، ولكن طريقتها الفنية ليست إلى درجة الامتياز، ومع ذلك فقد جاءت رميتها أبعد هذه المرة ٥٧, ١٤ مترًا منتصرة على توكينوفا.

وكنت واثقة تمامًا أنه ليست هناك لاعبة أجنبية أخرى تستطيع الفوز على لاعبات السوفييت في هذه الرياضة، فعلى حين أن في مقدور توكينوفا وتشكيفيك أن تفوزا على الألمانية ويرنر، وقد هرعت إلى تمارا تشكيفيك وقلت لها:

- استجمعي نفسك، استخدمي كل قواك؛ إنك تستطيعين الوصول إلى ١٥ مترًا كما تعلمين.

ولكن فشلها في المحاولة الثانية أفقدها كل روح للمقاومة، فهمست قائلة:

- لا أستطيع، أشعر أنني لا أستطيع.

وقد فشلت فعلاً، وكان الواضح أنها في حاجة إلى مزيد من التجارب وقوة الاحتمال، وكذلك لم تحسن كلافديا فوكينوفا نتيجتها في المحاولة الثانية.

وأخذت المباراة تقترب من نهايتها.. وكان في مقدوري أن أرفض أداء المحاولة الثالثة طالما أنني قد ربحت فعلاً الميدالية الذهبية للبطولة، وكانت ويرنر قد ضمنت الميدالية الفضية، وكلافديا الميدالية البرونزية. ولكن المسألة بالنسبة لي لم تكن مجرد ميدالية، وإنما كنت أهدف إلى تسجيل رقم قياسي عالمي جديد، فلو أنني أضفت خمسة سنتيمترات

إلى رقمي الأخير في محاولتي الأخيرة، لسجلت الرقم العالمي الجديد هنا، في الدورة الأولمبية، وأمام ٧٠ ألف متفرج، يجب أن أفعل هذا، هكذا قلت لنفسي، لسوف أبذل كل جهدي.

وبلغ من استغراقي في هذه الفكرة أنني لم ألاحظ أن الدور عليّ، وأن الحكم يدعوني إليه، ونظرت إلى فيكتور إيليك الجالس بالقرب من المدرجات، وتناولت الجلة، وتقدمت إلى الدائرة.

ولست أذكر كيف قذفت بها، وكل ما سمعته غمغمة تسري في صفوف المتفرجين، ثم خيم السكون، لقد كان الحكام يقيسون المسافة.

ونظرت إلى لوحة تسجيل النتائج، فرأيت الرقمين «١» ثم «٥» ثم ترك المسجل مسافة وكتب الرقم «٨».

وتساءلت في نفسي:

- أهي ٠٨, ١٥ مترًا؟ إنها إذن مسافة رائعة.

ثم رأيت المسجل يملأ المسافة الخالية بالرقم «٢»، إذن فالرقم الجديد هو ٢٨, ١٥ سنتيمترًا، أعلى بتسعة سنتيمترات عن الرقم الذي أحرزته في فيبورج، وأعلى من الرقم القياسي العالمي بستة وعشرين سنتيمترًا.

واندفعت المشتركات في المباراة إلى تهنتي، واهتزت المدرجات بالتصفيق، وبلغت الضجة حدًا جعلني لا أسمع شيئًا.

وتخلصت من عناق كلافديا وتمارا، وصافحت ماريان ويرنر،

وهرعت إلى فيكتور إيليك الذي كان يتسم في سعادة، وقبلته اعترافاً بجميله .

وتناول المتفرجون بأعناقهم ليمعنوا النظر فيّ، وبدا بوضوح أنهم دهشوا حين رأوني أصغر سنّاً مما يظنون، وأني لا أبدو رياضة المظهر كثيراً، وأني أضع شرائط حمراء في ضفائر شعري .

وكانت نتائج رمي الجلة هي: أنا الأولى، وويرنر الثانية، وكلافديا الثالثة، وتمارا الرابعة، وكيل الخامسة، وإيفيت ويليامز السادسة، وماذا بعد؟! من المحتمل أن ندعى إلى منصة النصر لاستلام جوائزنا، ولكن شيئاً ما آخر قد حدث، فبدلاً من حفلة تسليم الجوائز، كان هناك سباق الألف والخمسمائة متر في دوره النهائي، وأخذنا نتفرج عليه، وكان الدور النهائي لسباق المائتي متر سيدات قائماً في الملعب، ورأيت في ابتهاج ناديا خينيكينا المشتركة في هذا الدور النهائي، وهي تجري، حقاً لقد فقدت بطولة الأولمبياد بنصف ثانية أمام بطلة العالم مارجوري جاكسون الأسترالية، ولكنها في الوقت نفسه سجلت رقماً قياسياً جديداً للاتحاد السوفيتي مقداره ٢, ٢٤ ثانية .

وفي ذلك اليوم نفسه أحرزت اللاعبات السوفيتيات انتصارات رائعة في سباق ٨٠ متراً حواجز، ففي الدور النهائي جاءت ماريا جولابنيكيا الثانية بعد شيرلي ستر بكلاند الأسترالية، وتعرضت فاني بلانكرز كرين الهولندية بطلة أولمبياد عام ١٩٤٨م لهزيمة منكرة، لقد فشلت في اجتياز الحاجز الأخير، وخرجت من السباق، وأجادت كل من لاعبتينا الآخرين في هذا السباق، وهما إيلينا جوكيلي وأنا ألكسندروفا .

وكانت قد مرت ساعتان عندئذ بعد انتهاء مباراة رمي الجلة، ومع ذلك لم تتسلم الفائزات بعد جوائزهن، هل تُرى نسي الحكام أمر الجوائز؟ وكذلك كان المتفرجون مندهشين، وقد علق أحد الظرفاء على هذا الموقف بقوله:

- لعل الحكام ينشرون الجلة إلى نصفين ليروا ماذا جعلها تطير هكذا؟

وأخيرًا دُعينا إلى منصة النصر، وكنت أشعر بانفعال شديد، وبساقَيَّ تهتزان، وقُدمت الميدالية الذهبية إليَّ، وعزفت الفرقة الموسيقية السلام السوفيتي، ووقفت مع كلافديا في انتباه تحية للسلام ونحن متجهتان إلى سارية العلم، العلم الأحمر ذي المنجل والمطرقة؛ علمنا؛ علم بلادنا الذي راح يرتفع عاليًا ببطء، وهمست لِنفسي وأنا أشد ما أكون سعادة وزهوًا في تلك اللحظة الخالدة: «إليك أنت يا وطني أقدم النصر والرقم القياسي».

وبناء على رغبة معلقنا الإذاعي فاديم سنيفسكي، أذعت كلمات قليلة إلى المستمعين في ليننجراد وحدثتهم عن سعادتِي.

وفي اليوم التالي ذهبت إلى الاستاد، ولكن كمتفرجة ومؤيدة فقط هذه المرة.

وهتفت كثيرًا لألكسندرا كودنينا ونيينا كوسوفا في سباق القفز العالي للسيدات، وكانت نينا التلميذة بمدرسة زينيت الرياضية وابنة السابعة عشرة، شديدة الاضطراب، وقد تراجعت عندما ارتفعت علامة القفز إلى ١,٥٨ من المتر، برغم أنها في ليننجراد نجحت في اجتياز

٦٠, ١ من المتر، ولكن كودينا، من ناحية أخرى، واصلت المباراة، وكان بين منافساتها اثنتان من أبرع الرياضيات في القفز العالي، وحاملتا أرقام قياسية عالمية؛ لورويل البريطانية، والرياضية الشابة اللامعة، براند، من اتحاد جنوب أفريقيا.

وقفزت كودينا في محاولتها الأولى ٦٣, ١ من المتر، على حين نجحت براند في هذا في المحاولة الثانية، ولورويل في المحاولة الثالثة، ولم تستطع كودينا على أي حال أن تزيد على هذا، في الوقت الذي استطاعت فيه منافستها أن تزيد، وجاءت براند الأولى برقم ٦٧, ١ من المتر والثانية لورويل البريطانية، والثالثة المندوبة السوفيتية، وقد فازت الآن هذه اللاعبة المدهشة بالميدالية البرونزية بعد فوزها بميداليتين فضيتين أيضاً.

وعقبت القفز العالي آخر مباراة للسيدات، وهي مباراة سباق التتابع ٤×١٠٠، وكانت ألمانيا تحمل الرقم القياسي العالمي في هذا السباق، وهو ٤٦, ٤ من الثانية.

وكانت الدول المشتركة في هذا السباق هي: أستراليا وبريطانيا وهولندا، وأمريكا وروسيا، وألمانيا الغربية، وكان فريقنا فيه مكوناً من: فيرا كلاشنيكوف وإيفينا سيكنوفا وناديا خينيكيا وإيرينا توروفا.

وبدأ السباق، وكانت اللاعبات الأستراليات متقدّمات في المراحل الثلاث الأولى، ولكن بينما كانت اللاعبة كريس تسلم العصا إلى جاكسون، سقطت منها، وفيما هي تلتقطها، اندفعت اللاعبات الأمريكيات والألمانيات إلى الأمام.

وفاز الفريق الأمريكي برقم قياسي عالمي جديد هو ٤٦,٩ من الثانية، وكان فريقنا الرابع في الترتيب برقم قياسي جديد للاتحاد السوفيتي هو ٤٦,٣ من الثانية.

واستمرت الدورة الأولمبية ثمانية أيام، وأصبح من الممكن تلخيص النتائج التي أحرزها اللاعبون السوفيت رجالاً ونساء: أولاً النساء: فبرغم بعض الهزائم المعينة، أثبتت فتياتنا جدارتهن، فقد ربحن تسع ميداليات، والفريق النسائي السوفيتي فاز -بغض النظر عن الرسميات- بالمركز الأول؛ إذ كان مجموع نقطه ٦٤ نقطة، وكان الفريق الأسترالي الثاني بمجموع ٣٣ نقطة، وفريق ألمانيا الغربية الثالث، بمجموع ٢٧ نقطة، يتلوه فريق إنجلترا، ثم اتحاد جنوب أفريقيا، ثم تشيكوسلوفاكيا، واشتركت إيطاليا وأمريكا وهولندا في المراكز السابع والثامن والتاسع بمجموع نقط لكل منها مقداره ٨، وكان فريق رومانيا العاشر.

ولم يبلغ رجالنا النجاح مثلما بلغت النساء، ولكن بعضهم، على أي حال، أحرز انتصارات كبرى، مثل بطل سباق الحواجز يوري ليتويف وبطل القفز ليونيد شيرباكوف، فقد سجل كل منهما رقماً قياسياً أوروبياً جديداً، وكذلك نجح عداؤونا فلاديمير سوكاريف وأرداليون أجناتيف وفلاديمير كازانتيف وألكسندر أنوفريف، ولكن ثبت أن الكثيرين غيرهم كانوا في حاجة إلى المزيد من المران، وقد جاء ترتيب فريقنا العام الثاني بعد الفريق الأمريكي.

وأحرز أبطالنا انتصارات عديدة في الجمباز والمصارعة وكرة السلة

وحمل الأثقال والملاكمة والتجديف والرماية، وغير هذا من الألعاب، لقد حققوا انتصارات كبرى وسجلوا رقمين قياسييين عالميين، وثلاثة أرقام قياسية أوروبية، وأحد عشر رقمًا قياسيًّا سوفيتيًّا، وعلى الحجلة حصل رياضيو الاتحاد السوفيتي على ١٠٦ ميداليات أولمبية منها ٣٨ ذهبية، و٥٣ فضية، و١٥ برونزية، وكانت البطولة غير الرسمية للفرق عمومًا، مشاعة بين الفريقين الأمريكي والسوفيتي، فقد أحرز كل منهما عددًا متساويًا من النقاط.

وكان الاستاد الأولمبي شديد الازدحام في يوم ختام الدورة، وسارت الفرق بأعلامها الوطنية في مجرى السباق، وكان العلم السوفيتي الأحمر مرفوعًا بيد تروفيم لوماكين بطل حمل الأثقال الأولمبي، وكان لي شرف مساعدته.

وانتظمت الفرق جميعها أمام المنصة الرئيسة حيث أعلن سيحفر يد إوستروم رئيس اللجنة الأولمبية انتهاء الدورة، ودوت من بعيد قذائف المدفعية للتحية. إن الشعلة الأولمبية قد انطفأت، ولم أستطع أن أنتزع عيني من العلم السوفيتي الذي كان يرفرف في كبرياء على أجنحة النسيم، لقد لمس وجهي، وأحسست عندئذ أن وطني يرتب عليّ.

ولم يكن ثمة شك في أن الدورة الأولمبية الخامسة عشرة كانت ذات أهمية كبرى، ولكنها لم تكن أقل أهمية في تأييد مبدأ السلام العالمي، فقد ساعدت على توطيد أواصر الروح الرياضية بين المشتركين فيها من الدول المختلفة، وتثبيت وتقوية وشائج الصداقة بينها.

إننا لم نكن نلتقي باللاعبين الآخرين في الميدان فقط، وإنما كنا

قد عقدنا أواصر الصداقة من معظم الفرق الأخرى قبل افتتاح الدورة، كنا نتبادل الزيارات، وملتقي في اجتماعات ودية بعيدة عن الرسميات، ومنتصادق مع منافسينا، وقد ساعدت هذه الاتصالات بوفود الدول الأخرى على دحض أكاذيب الدعايات البرجوازية عن رياضيي الاتحاد السوفيتي والجمهوريات الشعبية الديموقراطية.

لقد نشرت الصحف البرجوازية مختلف الحماقات والأكاذيب عن العداء التشيكي المدهش إميل زاتويك، وزعمت أن أرقامه القياسية مزيفة، وأنه متأخر جهول وحشي الطباع، ولكن هذا «الشيوعي الرهيب» إميل زاتويك أصبح هناك في الدورة الأولمبية بطل هلسنكي المحبوب. لقد حطم إميل أمام آلاف المتفرجين ثلاثة أرقام أولمبية قياسية، وصعد ثلاث مرات إلى منصة النصر؛ ليتسلم الميداليات الذهبية، ولم يسبق في تاريخ الألعاب الأولمبية، بل في تاريخ الرياضة كله أن فاز شخص واحد في سباقات الخمسة آلاف متر، والعشرة آلاف متر، والماراثون.

وكان المؤتمر الصحفي الذي عقده إميل زاتويك بناء على رجاء مندوبي الصحف مثاراً لضجة كبيرة، فقد ثبت أنه لم يكن في حاجة إلى مترجمين، ذلك أن زاتويك تحدث بالإنجليزية مع الصحفيين الإنجليز، وبالفرنسية مع الفرنسيين، وبالألمانية مع الألمان، وبالروسية مع الروس، وقد تركت عبقرته اللغوية أثراً عميقاً في النفوس، وكانت ثمة أسئلة كثيرة عن حياته الرياضية وطريقته في التمرين، وقد سُئل البطل الأولمبي -مثلاً- عن رأيه في الميزة الأساسية للنصر في الرياضة،

فكانت إجابته القصيرة هي:

- حسن الإدراك.

وصدرت الصحف في اليوم التالي بهذه العناوين المكتوبة بالخط العريض في صفحاتها الأولى: «بطل وعالم لغوي»، «زاتويك يتحدث عن تجاربه»، «لكي تنتصر على زاتويك يجب أن تكون أكثر منه مراناً وأحسن إدراكاً».

وكذلك نال فيكتور شوباكين لاعب الجمباز السوفيتي والفائز بأربع ميداليات ذهبية واثنين فضيتين، شهرة واسعة أيضاً.

وعند اجتماع للصدقة والسلام بعد الدورة، وقع الاختيار على فيكتور شوباكين، وإميل زانوبيك ليكونا المتحدثين بلسان الوفدين الروسي والتشيكي، وأقيم الاجتماع في حديقة ألبلا بارك بهلسنكي، وقد شهده آلاف الرياضيين من مختلف الأمم، وافتتحته السيدة الفنلندية المعروفة سكاير وايدمان بقولها:

- هنا يتصافح في مودة وصدقة الرياضيون من مختلف الأمم، ومرة أخرى يثبت أن الشعوب تسعى في سبيل السلام، وأنها تريد أن تعيش في سلام، فلعل روح السلام المهيمنة على الدورة الأولمبية، تجد طريقها إلى العلاقات بين مختلف شعوب العالم.



الموسم الرياضي مستهر

قبيل الرحيل عن فنلندا، فاضت بهجتي حين علمت أنني منحت درجة «الأهلية الممتازة» في الرياضة، لقد كنت أصغر رياضية تحمل هذه الدرجة.

وعدنا إلى الوطن في أوائل شهر أغسطس، وكان الموسم الرياضي الصيفي على أشده، وقد ركز الاهتمام بدورة البطولة على ألعاب القوى في الاتحاد السوفيتي بمدينة ليننجراد.

وفي تلك الدورة أصبحت لأول مرة في حياتي بطلة من أبطال الاتحاد السوفيتي، بل بطلة مزدوجة أيضًا في مباراتي رمي الرمح والجللة، وأحرز الرياضيون الناشئون في هذه الدورة كذلك انتصارات كثيرة، وقد سعدت خاصة بالنصر الذي أحرزته بطلة القفز العالي نينا كوسوفا إحدى تلميذات مدرسة زينيت الرياضية. لقد فشلت في هلسنكي أن تقفز ارتفاع ١,٥٨ من المتر، ولكنها في هذه المرة قفزت ارتفاع ١,٦١ من المتر وفازت بالميدالية الذهبية وبيطولة الاتحاد السوفيتي للقفز العالي، وأحب أن أذكر أن نينا كانت عندئذ في السابعة عشرة فقط، وأنها كانت تلميذة بالسنة النهائية بالمرحلة الثانوية.

وبعد أن استرحت قليلاً، استأنفت عملي في التصميم الذي كنت أنوي أن أقدمه للحصول به على الدبلوم، لقد انتقلت إلى السنة الرابعة بالكلية في الشتاء، ولكن الوقت لم يتح لي لإعداد دفاعي عن التصميم، واضطرت إلى تأجيل مناقشته أمام اللجنة الرسمية للامتحان، ورجوت أن يُسمح لي بالمناقشة في شهر ديسمبر مع الطلبة المنتسبين.

وكان أمامي عمل كثير، ومع ذلك لم أستطع أن أبدأ القيام بهذا العمل كما ينبغي، ومن ثم وضح أنني ما زلت في حاجة إلى المزيد من الراحة، بعد الانفعالات النفسية التي عانيتها في الدورة الأولمبية وفي بطولة الاتحاد السوفيتي للرياضة.

ولاحظ فيكتور إيليك حالتي المضطربة، فأسرع إلى مساعدتي، وقد قال لي يوماً:

- يمكنك أن تجمع بين الراحة والعمل المثمر، ففي خلال أيام قليلة سوف يرحل عدد من فريق الاتحاد السوفيتي الأهلي إلى أواسط آسيا وجمهورية قوزاق السوفيتية لمعاونة الرياضيين المحليين هناك في التمرين؛ استعداداً لدورة الألعاب المقبلة التي ستعقد هناك، وسوف أصحب مجموعة من الرماة إلى فرونز، ولم أشأ أن أدعوك بسبب مشاغلك، ولكني أرى الآن أنه من الأفضل لو جئت معنا، لسوف تعملين معنا، ولكن العمل لن يستغرق وقتاً طويلاً، وسوف تتاح لك فرصة طيبة للراحة.

- ومتى سنعود؟

- في خلال ثلاثة أسابيع، أي ستكونين هنا في منتصف شهر أكتوبر،

وسيبقى أمامك شهران للعمل من أجل الدبلوم، فهل هذا يكفي؟

- نعم، لقد انتهيت من جزء منه فعلاً.

وتقرر أن أمضي إلى جمهورية جركسيا السوفيتية الاشتراكية مع

الزملاء والزميلات توكينوفا وتيشكيفيك وماتفييف وشيرباكوف.

وكان الجو الخريفي الممطر قد بدأ في ليننجراد، ولكن الجو في

فرونز كان صيفاً، جافاً، دافئاً، بلا رياح، وبلا قطعة سحب في سمائها

الزرقاء الصافية.

وأحببت عاصمة جركسيا حيث كانت جبال تيان شان تبدو من بعيد

بقممها الرائعة تحيط بها الأشجار والمزارع الناضرة، وإن مدينة فرونز

ذات جمال باهر، فهي جيدة التصميم، تكثر فيها المباني الجديدة، ودار

الأوبرا، ومسرح الباليه، والمدارس.

وأقمنا في منزل خاص صغير مريح بشارع هادئ صغير، وكانت له

حديقة رائعة في مدخله، وفي الصباح، بعد الإفطار مباشرة كنت أذهب

إلى السوق مع كلافديا وتمارا، وكنا نرى في السوق ثماراً ضخمة من

البطيخ والشمام، ونفاحاً أحمر، وعنباً حلواً، وأذكر أنني لم أكل في

حياتي الفاكهة بكثرة كما أكلت في جركسيا.

وكانت الراحة ممتعة في فرونز؛ إذ كنا نتجول في الشوارع، ونرتاد

المسارح ودور السينما، ونقرأ ونتراخى للراحة ساعة أو ساعتين بعد

الظهر.

ولكننا لم نكن هناك للراحة فقط، لقد كان رياضيو فرونز يتمرنون

استعداداً للدورة الرياضية المقبلة، وكنا مع فيكتور إيليك نساعدهم في المران كل يوم.

وكما هو الشأن في أنحاء الاتحاد السوفيتي، كانت الرياضة شائعة في جركسيا بكلا نوعيها: التقليدية والوطنية؛ مثل المصارعة الجركسية، وسباق الخيل، وألعاب السرعة، والربيع يحل هنا مبكراً، ويمكن الخريف طويلاً، ومثل هذا الجو يعتبر ملائماً للألعاب الرياضية.

والتقينا في الاستاد بأحسن الرياضيين في الجمهورية، بأولئك الذين سيمثلونها في الدورة، وفي الوقت الذي ذهبنا فيه إلى فرونز، كان آخرون من أعضاء الفريق السوفيتي الأهلي قد ذهبوا إلى طشقند وأشكاباد وستاليناباد وألماتا، وكانوا جميعاً يساعدون الرياضيين المحليين، وعدا هذا، يعدون أنفسهم للظهور في الدورة.

وأطال الرحلة إلى الجنوب موسم الرياضة الصيفي، فلم يكثف الكثيرون منا بتمرين اللاعبين المحليين وحسب، بل اشتركوا في كثير من المباريات أيضاً، وقد جاءت الأنباء من ستالين آباد أن إيفنيا بولانشيك سجلت رقماً قياسياً جديداً للاتحاد السوفيتي، وأضرمت هذا النبأ في نفسي نيران الלהفة للمنافسة بعد أن نلت كفايتي من الراحة.

وأقيمت دورة الألعاب على بطولات الاتحاد السوفيتي في اليوم العشرين من شهر سبتمبر في فرونز، وكان استاد سبارتاك بالمدينة مزدحماً بالكثيرين من المتفرجين، وأعلن أنني وكلافديا وتمارا سنكون «ضيوف شرف» في مباراة الرمي بالجللة.

وجاءت رميتي الأولى جيدة ١٥ متراً، وهذه هي نتيجة الشعور

بالراحة والانتعاش والهدوء، وكانت رميتي الثانية ناجحة أيضًا، وفيما أنا أقدف الجلة في الرمية الثالثة أحسست أن النتيجة ستكون رائعة بصفة خاصة، لقد طارت القذيفة مسافة ٣٧, ١٥ مترًا، وكان هذا رقمًا قياسيًا عالميًا جديدًا، أي أكبر من رقمي القديم بتسعة سنتيمترات.

وتلقيت التهاني الحارة من فيكتور إيليك، ومن كلافديا وتمارا، ومن زملائي الجركسيين، وفي اليوم التالي تلقيت بركات التهئة من مدرسة زينيت الرياضية، ومن نينادومباز، ومن روما شكوفا، ومن أمي التي أصبحت منذ أمد بعيد شديدة الحماس للرياضة.

أما عن نينا دومباز، فسرعان ما تلقيت برقية مماثلة مني أهنئها فيها على تسجيلها لرقم قياسي جديد في رمي القرص، مقداره: ٥٧, ٠٤ مترًا، وكان الرقم القياسي القديم يقل ٤٣, ٣ من المتر، ولم يحدث في تاريخ الرياضة أن زاد رقم قياسي بمثل هذه النسبة دفعة واحدة، وابتهجت كثيرًا لنينا، فقد كانت تشعر بالأسى بسبب ما عانته من فشل في مستهل الموسم، ولكن ها هي ذي تتربع مرة أخرى على عرش البطولة بفضل مواهبها الرياضية الرائعة.

وفي اليوم الذي سجلت فيه الرقم القياسي العالمي الجديد، قمنا بزيارة الجامعة الجركسية؛ إذ التمس الطلبة منا أن نحدثهم عن الدورة الأولمبية الخامسة عشرة، وقد ذهبنا من الاستاد مباشرة إلى الجامعة.

وقبولنا هناك بحفاوة وترحاب، وقُدمت إلينا باقات كثيرة من الزهور، وازدحمت قاعة الجامعة بالطلبة واللاعبين، وكان حديثي عن دورة هلسنكي الأولمبية موضع انتباه واهتمام شديد.

ونلت مزيدًا من الراحة، وأكلت مزيدًا من الفاكهة بعد تسجيلي للرقم القياسي الجديد، وكان الوقت المحدد لرحيلنا عن جركسيا يمر بسرعة، وفي اليوم الأول من شهر أكتوبر؛ أي قبيل رحيلنا مباشرة، قررت أن أشترك في مباريات بطولة المدينة كضيفة شرف تكريماً للمؤتمر التاسع عشر للحزب.

وسألني كلانديا وهي تتظاهر بالفرح:

- ماذا بك؟ أتريد أن تسجلي رقمًا قياسيًّا جديدًا؟

فقلت وأنا أتظاهر بالشعور نفسه:

- لا، لا.. إنني فقط أريد ألا أنسى رمي الجلة.

ولم أكن أفكر في تسجيل رقم قياسي جديد، ولكن حين تقدمت إلى الملعب، أحسست بالقوة والقدرة والانتعاش، وبالرغبة في الانتفاع بعضلاتي إلى أقصى حد، وبقذف الجلة إلى أبعد مسافة ممكنة، وكان هذا هو الشعور الذي ينبغي أن تمتلئ به نفس من يحاول أن يظفر بأحسن نتيجة ممكنة.

وطارت القذيفة مسافة ٤٢, ١٥ مترًا، أي أبعد بخمسة سنتيمترات عن الرقم الذي كنت سجلته منذ خمسة أيام، وكان لي الحق في الشعور بأتم الرضى عن نفسي، ففي ثلاثة أشهر استطعت أن أرفع الرقم القياسي العالمي أربع مرات.

وكانت تلك مصادفة لطيفة، ففي خريف ١٩٤٥م؛ أي قبل ذلك بسبعة أعوام فقط، وفي هذا الاستاد نفسه، حطمت تانيا نا سيفريوكوفا

الرقم القياسي العالمي في رمي الجلة مرتين؛ في المرة الأولى حطمت الرقم الذي كانت تحمله مورميير الألمانية، ثم حسنت هي رقمها بعد ذلك.

وكان أول رقم قياسي عالمي سجلته سيفريوكوفا في رمي الجلة ١٤, ٥١ مترًا، ومنذ ذلك الحين واللاعبات السوفييتيات يرفضن التخلي عنه، فإذا الواحدة منهن تتسلمه من الأخرى، كالعصا في سباق التتابع، فمن سيفريوكوفا تسلمته فديا فوكينوفا، ومنها إلى أندرييفا، ثم إليّ أنا، وإذا كان المعروف أن كثرة الطهارة تفسد الطبخة، إلا إننا نحن راميات الجلة السوفييتيات عرفن كيف نقدم «طبخة» ممتازة، لقد ظل الرقم يزداد مرة بعد أخرى في خلال سبعة أعوام، ولعله سيستمر في الزيادة بأيدينا على الدوام.

وسافرنا من فرونز إلى طشقند، ومنها إلى أشكايا حيث تقرر إقامة الدورة الرياضية لجمهوريات آسيا الوسطى والقوزاق، وكان البرنامج حافلًا بكل أنواع المباريات، إذ كان رياضيو جمهوريات آسيا الوسطى قد نافسوا بعضهم بعضًا في مباريات ألعاب القوى، وفي الجمباز، والمصارعة، وحمل الأثقال، وسباق الدراجات وكرة السلة والكرة الطائرة.

وبرغم أن رياضيي جمهوريات آسيا الوسطى كانوا متخلفين عن غيرهم في الجمهوريات الأخرى في الألعاب الرياضية، إلا أنهم أظهروا في هذه الدورة تقدمًا ضئيلاً، كما سجلوا أرقامًا قياسية جديدة، وكان للدورة طابع شعبي أثار البهجة في النفوس؛ إذ اشترك فيها نحو ألف

شاب وفتاة، فكان منهم الرعاة وحالبات اللبن في هضاب كازاكستان، وعمال المناجم الفحم في كاراجندا، ومزارعو القطن في أذربيجان وطاجيك، وعمال النسيج والمعادن في طشقند، وعمال آبار البترول وصيادو السمك من التركمان، وعمال المناجم والحدائق من الجركس، وكان الكثيرون منهم لا يزالون ضعافاً في فن قواعد اللعب، ولكن هذا لم يكن كبير الأهمية، وإنما المهم أنهم كانوا شباباً موفوري النشاط والرغبة في التعلم، أي من النوع الذي يمكن أفرادهم من أن يصبحوا في المستقبل أبطالاً وأساتذة في الرياضة، وحملة للأرقام القياسية.

وكان على فيكتور إيليك وغيره من كبار الممرنين الذين جاءوا إلى أشكباد أن يبذلوا الكثير من الجهد، فقد كانت الأسئلة والاستفسارات تنهال عليهم، ولم يترددوا عن إشراك الرياضيين المحليين في تجاربهم ومعلوماتهم.

ولكن الأسئلة لم تكن تنهمر فقط على هؤلاء المدربين المشهورين، وإنما كان علينا أيضاً أن نشرح الكثير للمشاركين في هذه الدورة، وكثيراً ما كنا نلجأ إلى تصوير القواعد التطبيقية والنواحي الفنية للألعاب بطريقة عملية.

واشترك عدد كبير من أعضاء الفريق السوفيتي الأهلي في المباراة كضيف شرف، وكان أكثرهم نجاحاً بوريس ماتفييف أحد طلبة مدرستنا الرياضية الذي حطم الرقم القياسي السوفيتي في رمي القرص. وفي منتصف شهر أكتوبر ودعنا سماء أشكاي المشمسة، وأصدقاءنا فيها؛ إذ كان الوقت قد حان للعودة إلى ليننجراد، وأصبح الطقس بعد

مدينة أكتير بونسك رديئاً؛ فهو ممطر طوال النهار، قارس البرودة في الليل، وهكذا انتهى موسمنا الرياضي الصيفي، الذي كان حاراً أكثر من المعتاد، في عام ١٩٥٢ م.



تصميم الدبلوم

قضيت شهرًا كاملاً بعد عودتي وأنا محاطة بالكتب والمذكرات وصحائف الورق التي عليها جداول الإحصاء، وكان تصميم أو مشروع الدبلوم الذي تقدمت به يدور حول تحويل الميكروسكوب المتلوجرافي العادي «المجهر الخاص ببحث المعادن وفحصها» إلى ميكروسكوب للمعامل وللأغراض العلمية.

وكان الجهاز من وجوه كثيرة سيبقى كما هو، وكل مهمتي كانت في تغيير مدى التكبير الميكروسكوبي فيه، وتبسيط تركيبه، وجعله خفيف الحمل، ومن المحتمل أنه كان في مقدور أستاذ مجرب أن يفعل هذا كله من دون تصميم، بل كان في مقدوري أن أشرحه شفويًا، ولكن الكلمات لم تكن هي المطلوبة مني، وإنما كان المطلوب أن أعد سجلًا فنيًا دقيقًا أثبت فيه آرائي؛ ذلك لأن اللجنة الرسمية للامتحان كانت ستقدر مدى معلوماتي من الحساب والمعادلات والرسومات.

وكنت قد بدأت في إعداد السجل قبيل رحيلي إلى جمهورية جركسيا، ونجحت في اختيار العدسات اللازمة لضمان التكبير المطلوب، ولكن الأمر اختلط عليّ في رسم الشكل الهندسي لانعكاسات

أشعة الضوء، وساعدني أستاذي ألكسندر روفيتش كلاشنيكوف في التعرف على أخطائي، ولكنني كلما بدأت في إصلاح الأخطاء، إذا بي أرتكب المزيد منها، وعندئذ أدركت السبب... إنه الإرهاق.

على أن الأمور تحسنت بعد عودتي إلى ليننجراد، فإذا كل خط في سير العمل يبدو صحيحًا طبقًا لقواعد الطبيعة والرياضيات والهندسة الوصفية، وبعد أن فرغت من الرسوم الأولى، بدأت العمل في عمليات الإحصاء الإنشائية.

كان عليّ أن أبين كيف أحول المجهر المثبت في مائدة إلى جهاز يمكن حمله بسهولة، وهذا يعني أنه ينبغي أن يكون للجهاز قاعدة ثابتة قوية، وعلى أي صورة ينبغي أن تكون؟ وعلى أي اتساع يجب أن تكون عليه القاعدة؟ ومن أي مادة يجب أن تُصنع الدعامة؟ وكيف يمكن تثبيت المجهر فيها؟

مزيد من العمليات الحسابية... مزيد من الأرقام والمعادلات والرسومات، كان هناك الكثير مما يجب أن أفعل، ولكنني لم أجد هذا الكثير عسيرًا؛ إن الأعوام الأربعة التي أمضيتها في الكلية لم تذهب سدى، فهنا عرفت كيف أستفيد من نتائج حساب المثلثات، والتكامل والتفاضل، وقوانين الطبيعة، والفقرات التي لا نهاية لها من قانون بلييف عن «مقاومة المواد».

أي جهد كان يجب أن أبذله لأستوعب جيدًا كل هذه الأكداس من الكتب التعليمية! لقد درسنا هذا كله في أول عام بالكلية، ولشد ما كانت المعاملات الجبرية عن النبات والأشكال الهندسية وقوى التوازن

والحركة تبدو يومذاك مملة. أما الآن، فقد أصبحت في أشد الحاجة إلى هذا كله على أي حال؛ ذلك لأن دعامة المجهر يجب أن تكون قوية بما يكفي احتمالها للآلة.

ولما كنت أضع تصميمًا لآلة جميلة «يسهل حملها»، كان عليّ أن أفكر في شكل اللوحة التي يوضع عليها الشيء المطلوب فحصه، وعن المكان المناسب لتثبيتها في (تصميم) الجهاز كله. وقد استغرق هذا مني وقتًا طويلاً، ولكنني استطعت أخيراً أن أستكمل جميع العمليات الحسابية، وأن أفرغ من الرسمين الآخرين، وكل ما تبقى هو أن أنسخ صوراً نظيفة من الرسومات الأخيرة، ومن ثم عدت إلى تناول قلم الرسم والمساطر والفرجار «البراجل».

وكان عليّ بعد ذلك أن أكتب مذكرات تفسيرية لرسوماتي، ولا أذكر أنني كنت في حياتي بمثل هذه الكثرة، فلو لم يكن الأمر يتعلق بتصميم للدبلوم، وإنما بمشروع عادي، لأمكن تقديم مذكرات تفسيرية موجزة، ولكن كان عليّ هنا أن أقول كل ما أعرف، وأن أثبت بالدليل الأشياء الواضحة برغم وضوحها، فمن دون هذه التفسيرات يكون للجنة الامتحان الرسمية كل الحق في عدم تصديقي.

وتم التصميم أخيراً، فطويت الرسومات بعناية، ورتبت بدقة الأصحف الفنية المحتوية على التفسيرات والشروح، وحملت عملي إلى الكلية بقلب يخفق بعنف؛ فقد أصبح الباقي من عمل الممتحنين.

وكنت أتمرّن قليلاً جداً أثناء إعدادي لتصميم الدبلوم، فلم أكن أذهب إلى مدرسة الرياضة أكثر من مرة في الاسبوع، وحتى عندئذ لم

أكن أذهب إلا لأمارس تمرينات خفيفة ولأريح ذهني المكدود، وكان الوقت قد حان لأبدا التمرين جدياً مرة أخرى، ولكن برغم أنني فرغت من وضع التصميم، إلا أنه تبقى عليّ إعداد نفسي للدفاع عنه أثناء مناقشته، وكان ثمة فسحة من الوقت لهذا الإعداد.

وكان العمل بعد التمرين أكثر سهولة، فقد كنت أعرف أنه ينبغي عليّ في خلال عشرين دقيقة أن أشرح كل ما جاء في أربعة رسومات وستين صفحة من المذكرات التفسيرية، وأن أذكر للجنة الامتحان كيف وصلت إلى هذه النتيجة الحسابية أو تلك، كما كان عليّ أن أعد خلاصة للموضوع كله، ولكن العمل بعد التمرين كان ممتعاً، وفرغت من هذه المهمة في أيام قلائل، ولم يبق مما أفعله إلا انتظار دعوتي إلى الامتحان في نهاية شهر ديسمبر.

كان من الطبيعي أن أشعر بالقلق وبشيء من توتر الأعصاب، ولكن مشاعري هذه كانت مختلفة في طبيعتها، بل كانت لا تخلو من الابتهاج، فقد بدا لي أنه لم يمض غير وقت قليل منذ التحقت بالكلية، وهأنذا أوشك أن أعود مهندسة ميكانيكية، وإني لسعيدة بانتهاء مرحلة دراستي الجامعية.

ولم يكن ثمة ما يدعو إلى الدهشة لاستمرارني في الدراسة، برغم التمرينات الرياضية العنيفة، فإن الغالبية العظمى من الرياضيين السوفييت والأبطال وحملة الأرقام القياسية فعلوا هذا، وإن كان ذلك لا يمنع طبعاً من وجود شواذ.

ففي بعض الأحيان كان الرياضي أو الرياضية، يهمل دراسته في

اللحظة التي يفوز فيها بجائزة، فيعيد السنة في الفرقة نفسها، وأخيراً ينفض يديه من الدراسة كلية، وكان لهم جميعاً هذا الاعتذار الذي يبررون به موقفهم: إنه من الصعب أن تواصل الدراسة وأن تكون رياضياً ممتازاً في آن واحد.

إنهم على حق؛ فالأمر صعب بلا مرأى، ولكنه ليس مستحيلًا؛ فكل ما كان ينبغي على الإنسان أن يفعله هو أن يحسن تنظيم وقته، وعندئذ سيجد ما يكفي من الوقت للدراسة وللرياضة، فإن أشد التمرينات وأعنف المباريات تساعد الإنسان عادة على الاستذكار.

لقد أتمت ناديا خينيكينا بطة الاتحاد السوفيتي في الجري، مرحلة الدراسة الثانوية بميدالية ذهبية، ونال واحد من أحسن رماتنا -وهو فيكتور شيبولونكو- إجازته الجامعية بميدالية فضية، وإن ميخائيل بوتفينيك بطل العالم في الشطرنج، يحمل إجازة الدكتوراه في العلوم الصناعية، وإن كثيرًا من أبطالنا الرياضيين الممتهزين مهندسون وأطباء ومدرسون وعلماء، إن الرياضة لا تتعارض مع الدراسة، ولا يمكن أن تتعارض معها.

وحل اليوم الذي أذاع فيه عن تصميمي، فوقفت بمؤشر في يدي بالقرب من منصة رسوماتي، وأخذت أشرح للجنة الامتحان كيف يمكن تحويل مجهر المصنع إلى مجهر للمعمل وللأغراض العلمية، وكانت الدقائق العشرون كافية لهذا الشرح.

وراقبت رئيس اللجنة وهو يطلع على مذكراتي التفسيرية، ثم أجبت عن بعض الأسئلة، وكنت أظن أن هذه الأسئلة ستكون صعبة،

وأنها ستدور حول التفاصيل والتوضيحات النظرية، ولكنني تبينت أن المقصود بها معرفة مدى ثقتي بصحة آرائي ودقتها.

وبعد استراحة قصيرة، أعلن رئيس اللجنة أنني نجحت في دبلوم تصميم الأجهزة البصرية.

وأحسست بالفخر لهذا النجاح؛ فقد حققت في حياتي هدفاً آخر.



القزيفتة التي تطير إلى مسافة أبعد

لا تركنوا إلى الخمول اكتفاء بما أحرزتموه من نصر؛ هذه إحدى القواعد التي يلتزمها الشعب السوفييتي، وإن رياضينا أيضاً لا يتوقفون عن المضي قدماً بعدما أحرزوا من نجاح.

وأياً كان الرقم القياسي، فمن الممكن رفعه، حتى ولو بجزء من ثانية أو بستيمتر؛ إن الطريق إلى رقم قياسي جديد قد يبدو صعباً؛ يحتاج إلى عمل شاق وتدريب كبير، قد يرغم الإنسان على البحث عن طرائق جديدة وتجربتها وتعاونها بالطرق المعروفة، وبابتكار طرائق جديدة.

إن بعض الناس كانوا يرون أن أرقام القياسية «شاذة وغير طبيعية»، ولكنني كنت أبتسم لهذه الكلمات، فهل أنا «فلتة من فلتات الطبيعة؟» لا، فإذا كانت أرقام شاذة، فإن جميع الأرقام القياسية تعتبر شاذة بين الأرقام الأخرى، وأنا شخصياً أعتقد أن أرقام جيدة فقط، بل إن آخر أرقام في رمي الجلة وهو ٤٧, ١٥ مترًا ليس إلا مجرد مرحلة في الطريق إلى أرقام أعلى.

كنت منذ عام أحلم في قذف الحجلة مسافة ١٥ مترًا، وها هي ذي المسافة تقترب الآن من ١٦ مترًا، وإن خط الستة عشر مترًا هو الذي أسعى للوصول إليه الآن.

وبدأنا المران مرة أخرى، وعاد فيكتور إيليك يستحثني بانتقاد محاولاتي، فكان قول:

- هذه رمية رديئة، ضعي فيها المزيد من القوة، حاولي مرة أخرى، لا، ليس بهذه الطريقة.

وحتى الآن، بعد أن أصبحت حاملة رقم قياسي عالمي، كان ضنيننا بثنائه عليّ.

وكنّا، كالمعتاد، نسعى إلى تحقيق هدفين من التمرين، أولاً تقوية جسمي وساقِي بصفة خاصة، وثانيًا صقل طرائقي الفنية في اللعب. وكان فيكتور إيليك يصر على أن أتعلم كيف أجعل حركاتي أسرع، وكيف أدفع بكل قوتي في الرمية، وكيف أؤدي كل شيء كما ينبغي.

وفي أثناء البحث عن طرائق جديدة لتجعل القذيفة تطير إلى مسافة أبعد، لاحظنا أنها أثناء الحجلة الأولى «تتخلف إلى الوراء»، والمعروف كمبدأ، أن القذيفة تلتقط قوة اندفاعها من الرياضي قبل أن تنفصل عن يده، وفيما هو يحجل أو ينط داخل الدائرة ينقل الرياضي جماع قوته من جسمه إلى القذيفة، أما لكي تجعلها تنطلق بأسرع ما يمكن، فمن الواجب أن تجعل النصف الأسفل من الجسم أمام القذيفة، وبهذه الطريقة وحدها يستطيع الجسم أن يدفع بالقذيفة إلى أبعد مدى، ويتوقف سبق نصف الجسم الأسفل لها على مختلف تفاصيل الحجلة،

وعلى وضع الجسم والأفخاذ والسيقان، وهذا كله ما كنت أسعى إلى إتقانه، وتبين لي أن هذه العملية مرهقة، وتتطلب الكثير من قوتي.

وظللت أتمرّن مرات عديدة في الأسبوع طوال شهري يناير وفبراير، فماذا حققنا؟ إن المباراة وحدها هي التي تكشف عن هذا، وفي أول مارس عام ١٩٥٣م اشتركت في دورة ألعاب القوى الاتحاد السوفيتي التي أقيمت داخل الاستاد الشتوي.

إن نتائج الألعاب الرياضية التي تحرز داخل الملاعب المسقوفة تكون عادة أقل من التي تحرز في الملاعب المفتوحة، فأياً كانت صلاحية الملعب الشتوي، فإن الظروف تكون أقل ملائمة منها في الملعب المفتوح، وعدا هذا فليس الرياضيون جميعاً يستطيعون استعادة حالتهم الطبيعية في أواخر الشتاء، وهذا هو السبب الذي يجعل المسؤولين يسجلون النتائج المحرزة في الملاعب المغلقة على حدة، منفصلة عن تلك التي تحرز في الملاعب المفتوحة، ولا يدعو ذلك إلى الدهشة، وكان الرقم القياسي السوفيتي في رمي الجلة بالملاعب المغلقة هو ٦٢, ١٤ متراً، وقد قررت أن أرفعه إلى ١٥ متراً.

ورفعته في أول محاولة لي إلى ١٥, ٠٥ متراً، أي أكثر بثلاث سنتيمترات عن الرقم القياسي (في الملاعب المفتوحة)، الذي كانت تحمله أنا أندرييفا منذ عهد قريب، وفي محاولتي الثانية وصلت بالرقم إلى ٢٦, ١٥؛ أي أحسن مما فعلت في فيبورج وأقل من رقمي الذي سجلته في هلسنكي، وفي المحاولة الثالثة قذفت بالجلة مسافة ٤٧, ١٥ متراً، أي أعلى بخمسة سنتيمترات من رقمي الذي سجلته منذ خمسة

أشهر في فرونز، مسجلة بذلك رقمًا قياسيًا عالميًا جديدًا.
حقًا كنت أعرف أن رقمي هذا لا يمكن تسجيله رسميًا لأسباب
شكلية محضة، ولكني لم أشعر بخيبة الأمل، فقد كنت واثقة من قدرتي
على إعادة تسجيله في الملاعب المفتوحة.

إن الذي أسعدني حقًا هو أنني حطمت رقمًا قديمًا، وهذا يعني أنني
أصبحت أقوى جسديًا وأبرع فنًا، وأني وفكتور إيليك لن نضيع جهودنا
في المران عبثًا، وكانت تلك أول خطوة لي نحو هدف جديد، والخطوة
الأولى هي عادة أصعب الخطوات.

وواصلت المران مع زملائي في المدرسة الرياضية، وكان ملعب
المدرسة والاستاد الشتوي يطنان بالنشاط، ومر الوقت سريعًا، واستأنفنا
في الربيع رحلتنا إلى أولجينو... في الهواء الطلق... حيث الغابات
والبحر.

وكان الموسم الرياضي الصيفي في ليننجراد يبدأ في منتصف شهر
مايو، وفي أول مايو في موسكو، وقد قبلت فورًا الدعوة التي وجهت إليّ
للمباراة في استاد الدينامو بالعاصمة في ذلك اليوم.

إنني أحب هذه المهرجانات الرياضية التي تجري في موسم
الصيف، فأرض الملعب تكون عندئذ، مكسوة بسجادة من العشب
الأخضر الصغير النضير، والخطوط البيض التي تحدد مجرى السباق
تلمع في الشمس، ورائحة المدرجات تنم عن الطلاء الجديد بها، حتى
المتفرجون يبدوون مختلفين، أناقة في الثياب.. ومرح.. ومزاج هادئ...
وهم في أول يوم من الموسم ليسوا جائرين.

وإن ممارسة التمرينات الخفيفة ممتعة، فالنسيم الرقيق يصافح بشرتك، وأشعة الشمس الذهبية تلونها بالسمره الخمرية، والهواء منعش يضوع بالشذى.

والظهور في الملعب لأول مرة في الموسم يكون عادة مثيرًا، وكنت شديدة الانفعال أيضًا وأنا أمضي إلى الدائرة في مباراة رمي الجلة، فقد كنت شديدة الرغبة في بدء الموسم الصيفي بنجاح، ولكن كانت أحسن رمياتي هي ٢٦، ١٥ مترًا، وهو رقم غير قياسي، ولعلي كنت مرهقة بعد رحلتي بالسكة الحديدية، ولكن هذه على كل حال كانت نتيجة لا بأس بها.

وعدت إلى ليننجراد في اليوم التالي، ولم يكن استاد كيروف وهو أكبر الملاعب الرياضية في ليننجراد قد افتُتح بعد، ولكن المباريات كانت جارية فعلاً في الملاعب الأصغر، وقد طلب مني القسم الرياضي في أحد المصانع أن أشترك في مهرجان المصنع الرياضي الذي تقررت إقامته في الثالث من شهر مايو، وقد وافقت، وكان ظهوري -بطبيعة الحال- نوعاً من الاستعراض.

وظننت أنني سأشترك في مباراة رمي الجلة، ولا شيء غير هذا، ولكنني ما كدت أظهر في الملعب حتى حوصرت بجمهرة من الشبان أخذوا يمطرونني بالأسئلة عن الدورة الأولمبية، وكان الواضح أنهم يعرفون كل شيء عن النتائج، وعن كيف سارت المباريات في الدورة، ولكنهم كانوا يريدون المزيد من التفاصيل عن الألعاب وعن اللاعبين، فمثلاً كانوا يريدون أن يعرفوا كم عمر مارجوري جاكسون الأسترالية؟

ولماذا فشل الرامي ميخائيل كردوفونوسوف؟ وهل كانت ماريان ويرنر من جمهورية ألمانيا الغربية تتمتع بالبراعة الفنية في رمي الجلة؟ وماذا يمكن أن نتعلم من السباحين المجرين.

وكان ثمة عشرات من الأسئلة، وما كنت أفرغ من الإجابة عن سؤال حتى ينطلق في وجهي سؤال آخر، لقد قيل لي: إن رياضي المصنع الذين تتبعوا أبناء الدورة الأولمبية باهتمام، كانوا يبتهجون لانتصاراتنا ويحزنون لهزائمنا.

وتركت مقابلي لعمال المصنع الشبان «وإن لم يكونوا جميعاً من الشبان» في نفسي - أترًا عميقًا، فإنه من دواعي الرضا أن تعرف أن الناس يحبون الرياضة، وأنهم يهتمون بها، وأنه لمن دواعي السرور أن تعلم أن الناس يتتبعون أبناء نجاح الأبطال وحملة الأرقام القياسية، وإن التأييد الروحي لشيء جميل، وليس هناك ما يمكن أن نطمع فيه أكثر من هذا. وكنت في حالة معنوية ممتازة وأنا أتقدم إلى الملعب، وقد رميت الجلة في أولى محاولاتي إلى مسافة ١٥,٨٣ مترًا؛ أي أكثر واحدًا وأربعين سنتيمترًا عن رقمي القياسي، وبسته وثلاثين سنتيمترًا عن الرقم الذي أحرزته في الملعب الشتوي.

وكان التصفيق مدويًا يصم الآذان، وقد بدا كأن المتفرجين خمسون ألفًا، وليسوا خمسة آلاف فقط.

ولكن لم يكن من المستطاع تسجيل هذه الرمية رسميًا؛ لأنه لم يكن ثمة حكام في الملعب مكلفون بها.

وضحك فيكتور إيليك قائلاً:

- في المرة التالية سندعو فريقًا كاملاً من الحكام الدوليين للحضور معك.

ولم نشعر بالاستياء؛ لأن هذا الرقم لم يسجل، فهو لن يفلت منا على كل حال، ولعلي، فيما بعد، أستطيع أن أسجل رقمًا أعلى مما أحرزت في استاد المصنع، وأيًا كان الأمر، فقد غدوت جد قريبة من هدفي الذي حددته لنفسى.

وأقيمت دورة رياضية ودية كبرى في استاد كيروف في الـ ١٥، ١٦ من مايو، وخرجنا إلى الملعب المفتوح في الهواء الطلق، وكان ثمة حكام دوليون؛ أي لم يكن ينقصنا إلا أرقام قياسية.

ولا أستطيع القول بأنى كنت مضطربة أو جزعة، فقد أتاحت لي انتصاراتي السابقة الثقة بالنفس، وكنت أعرف تمامًا أن ما بذلت من جهد في الشتاء سوف يحقق لي ما أهفو إليه من نتائج.

وأحرزت في الدورين التمهيدي والنهائي يوم ١٦ مايو ثلاث رميات رائعة: الأولى وصلت بالجملة إلى مسافة ١٥,٨٥ مترًا، والثانية ١٥,٩٦ مترًا، وهكذا حطمت رقمي القياسي السابق مرتين، ولكنى أحسست أن لدي ما يكفي من القوة البدنية والمعنوية ما يجعلني أصل إلى نتيجة أفضل مما وصلت إليه، ولذلك حاولت مرة أخرى، واستجمعت كل قوتي في الرمية الأخيرة، وسجل الحكام مسافة ١٦,١٨ مترًا. لقد سُمي هذا الرقم القياسي برقم استاد كيروف القياسي.

وفي أثناء عودتنا إلى البيت، أمسك فيكتور إيليك بيد طفلة صغيرة
من أنصار الرياضة وسألها قائلاً:

- في أي سنة دراسية أنت؟

فقال بزهو:

- في الثانية، مرحلة أولى.

- حسناً.. أخبريني إذن.. ماذا يلي الرقم ١٦؟

فأجابت على الفور:

- الرقم ١٧.

فابتسم مدربي، وقال:

- إنها مخطئة هنا... فإن الرقم الذي يلي ١٦ هو $\frac{1}{2}$ ١٦، وإن الأمر
ليستغرق وقتاً طويلاً جداً للوصول من هذا إلى ذلك.

فقال الطفلة وهي مندهشة:

- عجباً! لماذا؟

- لأن الجلة ثقيلة الوزن جداً... أربعة كيلوجرامات.

فأدركت الطفلة أن فيكتور إيليك هازل معها، فنظرت إليه في
غضب، وانصرفت عنه مسرعة.

واستدار فيكتور إيليك إليّ، وقال: إن التقدم في رمي الجلة سيغدو
أشق وأشق بعد ذلك، وكنت أعرف هذه الحقيقة، ولكنني لم أعود أن
أقف في منتصف الطريق.

مؤتمر بوخارست

في عام ١٩٥٣م وقع الاختيار على مدينة بوخارست ذات السماء المشمسة لتكون مقراً لمؤتمر الشباب العالمي الثالث، ولمهرجان الشباب العالمي الرابع، وقد توافد على المدينة الشباب من الجنسين من مختلف أنحاء العالم؛ من وراء البحار والمحيطات، والجبال والسهول.

وكنت قد اشتركت في مهرجاني الشباب السابقين، ولكن في هذه المرة كنت مشتركة بصفة أرفع اعتباراً وتكريماً.. كنت أمثل الشباب السوفييتي في المؤتمر.

وكان على رأس وفدنا المكون من ثلاثين شاباً، ألكسندر شيلين سكرتير اللجنة المركزية لمنظمة الكومسومول، وكان الوفد يضم أبناء وبنات جمهورياتنا الست عشرة، وشباناً وشابات من مختلف المهن، ومن بين هؤلاء كان إيفيم ستارود بستيف أحد عمال المناجم من حوض نهر الدونتز، وفوت ساميدوف العالم الجيولوجي من مدينة باكو، ويوتر لوبانين، أحد عمال الصناعات المعدنية بالأورال، وفالانتيفا ماكارينكو مهندسة المباني من ستالينجراد وماريا روشنيفا العاملة في مصنع

نسيح بموسكو، وبيوتر زادنبروف الأديب من مولدافيا، ومن المزارع الجماعية نينا برودكو وماريا أتيونوفا وسيرجي مارجيليان الحامل لإجازة الدكتوراه في العلوم الرياضية والطبيعية، ولودميلا إيفانوفا المهندسة في القوى المائية، ومايا مالاييفا والاراتكوت الطالبتان، وشولبان زامانوفا راقصة الباليه الجركسية، وتانيا ماكاراز المطربة من جورجيا، وبيوترما شيروف وكايوم مارتازيف من الأعضاء العاملين في منطقة الكومسومول، وكانوا أبطال الاتحاد السوفيتي، وأبطال الاشتراكية العمالية، حائزين على جائزة ستالين، وكانوا شباناً يزينون صدورهم بالميداليات.

وافتح المؤتمر الدولي الثالث للشباب في الخامس والعشرين من شهر يوليو بقاعة فلورياسكا الموسيقية الضخمة التي شيدت خاصة لهذه المناسبة لكي تتسع لوفود مائة وست دول الذين جلسوا حول موائدها الطوال، وكانت الدعوة لعقد المؤتمر موجهة من الاتحاد الدولي للشباب الديموقراطي، وكان المشتركون ينتمون إلى مختلف الأحزاب السياسية، ولكن هؤلاء الشبان والشابات من مختلف الشعوب والأجناس، ومن مختلف المذاهب السياسية والمعتقدات الدينية، اجتمعوا هنا للتضافر على تأمين السلام العالمي، وتوطيد أواصر الصداقة بين الشعوب.

وقد شهد المؤتمر ٨٥٦ من أعضاء الوفود، ٣٩٨ من المراقبين، ٢٦١ من الضيوف الذين وُجهت إليهم دعوة خاصة، ولم يحدث في تاريخ الجنس البشري أن اجتمع مثل هذا العدد من الشبان من مختلف الأمم، فإن

مؤتمري الشباب السابقين، بل ومهرجان الشباب في برلين، كانت كلها في نطاق أضييق من هذا. وكانت تلك أول مرة أيضًا تشترك فيها وفود من سيلان، وتايلاند وسالفادور، وكثير من الدول الأخرى، في هذا المؤتمر.

وافتح بتلاوة تقرير من جاك دينيس السكرتير العام لاتحاد الشباب الديموقراطي الدولي، وقد تحدث دينيس - وكان رجلًا نحيلاً يضع النظارة على عينيه - باللغة الفرنسية، وقد ترجم تقريره إلى عشر لغات، وكان الذين لا يعرفون اللغة الفرنسية يضعون سماعات على آذانهم ليسمعوا التقرير باللغة التي يفهمونها.

وتحدث دينيس عن العمل المثمر المهم الذي قام به الاتحاد لتوحيد صفوف الشباب العالمي للكفاح ومن أجل حقوقهم وفي سبيل مستقبل أفضل. إن ملايين من الشبان والشابات المشتركين الآن في الدعوة العالمية للسلام الذين يمثلون أنشط القطاعات في شعوبهم وأكثرهم حيوية - لينضمون في العمل من أجل هذه التضحية النبيلة، إن رأيهم في كل مكان، وفي كل دولة، عن الحرب هو: لا، دون تردد.

نعم، كان الخطيب على حق، إننا جميعًا ضد الحرب تمامًا؛ لأنها أفظع وأسوأ شيء يمكن أن يحدث. وفكرت في حياتي الخاصة؛ في أبي الذي مات في جبهة القتال، وفي الشقاء الذي عرفته في ليننجراد وأنا طفلة؛ رأيت الدموع والدماء والعذاب؛ لأن الحرب لا ترحم أحدًا، لقد كانت بجوارنا مباشرة في شارع كارل ماركس، دار للحضانة، وقد انهمرت عليها ذات ليلة قنابل الفاشست، فقتلت نحو مائة طفل لا حول لهم ولا قوة.

هذا ما تأتي به الحرب، وهذا ما نقوله عن الحرب.. لا، إنه لينبغي أن نبذل كل جهد ممكن لمنع نشوب حرب أخرى.

وأعقب تقرير دينيس جدال، أو على الأصح، مناقشة حرة كما تُسمى في المؤتمر، ولا زلت أحتفظ بالمذكرات التي كتبتها عن أحاديث مختلف الوفود.

كانت هذه المذكرات شديدة الإيجاز، وفي حالات كثيرة لم أذكر اسم المتحدث، وإنما اكتفيت بذكر اسم الدولة التي يمثلها، ومع ذلك فإني أحب أن أقدم هنا بعضاً منها؛ لأنها تصور بوضوح طبيعة هذه المناقشة الحرة.

وهذه هي:

جوليا سيلفيا من البرازيل: «إن ثلاثة آلاف من عمال النسيج في بلادي منضمون فقط إلى فرق الشباب لكرة القدم، لقد بدأوا كفاحهم للمطالبة بإنشاء الملاعب، ثم تطور الكفاح إلى برنامج أكبر للعمل».

السودان «الإنجليزي قبل الاستقلال»: «ليس في السودان (طوال عهد الاحتلال الإنجليزي) غير مدرسة ثانوية واحدة للبنات».

بريطانيا: «إن شعوب الدول الغربية أصبحت مرهقة بسبب الاندفاع في التسليح، والواجب أن تسوى الخلافات بين الشرق والغرب بطريقة سلمية».

إيران: «إن خمسمائة طفل من كل عشرة آلاف هم الذين يتمون مراحلهم الدراسية، وليس في إيران غير ثمانية آلاف طالب جامعي».

كندا: «كان لاعبو كرة السلة الكنديون يريدون الاشتراك في المهرجان، ولكنهم هددوا بالحرمان والإيقاف عن اللعب إذا ذهبوا إلى بوخارست، إن كندا هي الدولة الوحيدة التي لا تعرف نظام التجنيد الإجباري للجيش. إن شبابنا لا يريدون الالتحاق بالخدمة العسكرية، إنهم لا يريدون الاشتراك في الحرب».

اليابان: «إن في بلادنا سبع قواعد عسكرية أمريكية، وأكثر من ٧٠ موقعًا محتلًا بالجنود الأجانب، لقد أفسدت المطارات والمعسكرات مناظر البلاد الطبيعية».

المكسيك: «إن الشبان يكرهون الحرب، ولن يرسل جندي واحد للحرب خارج البلاد».

باكستان - «لقد منعت حكومتنا معظم أعضاء الوفد من حضور المؤتمر. إن نسبة التعليم في بلادنا لا تزيد على ١٣٪».

الأرجنتين: «لقد ازداد التعطل أخيرًا، وإن ٨, ٢٪ فقط من شبابنا هم الذين يستطيعون مواصلة دراساتهم العالية».

جزيرة سيلان: «إن شبابنا محرومون من الإمكانيات التي تساعدهم على ممارسة الألعاب الرياضية أو التمتع بأيام العطلات».

وفيما يلي مذكرات وضعت تحتها خطوطاً؛ لأنها تركت في نفسي أثرًا خاصًا، وأعتقد أنها صدرت عن أحد المتحدثين عن الوفد الفرنسي.

«عله يكون هناك بعض الناس الذين يعتقدون أننا أصغر سنًا وأقل تجربة من أن نفرق بين الصديق الجيد والرديء، إنهم مخطئون؛ لأننا

مجربون؛ ولأننا نرى آلاف المتعطلين في الشوارع، ومدارس بغير معلمين، وتلاميذ بغير حجات للدراسة، ونحن نرى المدفع الذي يريدون أن يضعوه في أيدينا بدلاً من الكتاب، وأياً كان النقص في تجاربنا، فإننا نعرف أن الأفضل لنا أن نلعب كرة القدم من أن نموت في بلاد أجنبية من أجل المصالح الأجنبية».

كان كل خطيب تقريباً يتحدث عن كراهية الشعوب للحرب، وعن الرغبة العامة في سلام دائم، وكانت الأحاديث في الدهاليز والأبهاء تتناول المفاوضات الدائرة لإنهاء الحرب الكورية، وكان اهتمام الوفود والمراقبين والضيوف مركزاً على مدينة بانمانجون البعيدة؛ المكان الذي تدور فيه أحسم معركة من أجل السلام.

وحين اجتمع شملنا جميعاً في القاعة الكبرى في صباح اليوم السابع والعشرين من شهر يوليو، سمعنا إشاعة عقد الهدنة في كوريا، ولم نكن ندرى هل نصدقها أم لا؛ لأنه لا الراديو ولا الصحافة ذكرت شيئاً عن ذلك.

وعند ذلك دعا شيلبين -الذي كان يرأس اجتماع ذلك اليوم- الرفيق هويوربانج رئيس الوفد الصيني لإلقاء كلمة، وقد قال هذا حين خيم الصمت على القاعة، وكنا جميعاً ننتظر وقوع الهدنة في كوريا، وإن هذا الانتظار يعبر عن رغبة الشباب في السلام، وعن إيمانهم في انتصار قوى السلام على قوى الحرب، لقد انتهت المفاوضات الطويلة، وعقدت الهدنة رسمياً اليوم.

وقوطع هويوربانج بعاصفة من البهجة والهتاف في القاعة، فإن

أعضاء الوفود راحوا يتواثبون فوق مقاعدهم، ويعانق بعضهم بعضًا، وفي نهاية الطرف الخلفي من القاعة كان عدد كبير من الإنجليز يهتفون لممثلي الصين الشعبية ومتطوعيها، وحمل أعضاء الوفد الروماني بطلاة الجيش الكوري الشعبي كوك-سين-بوك على الأكتاف، وعبروا بها القاعة إلى المنصة، وكان الجميع يتعانقون ويهنئ بعضهم بعضًا، ويصفقون ويهتفون، وقد استمر هذا الحال أكثر من ساعة.

وأخيرًا استطاع رئيس الوفد الصيني أن يستأنف حديثه، فأعلن أن الهدنة في كوريا هي نتيجة تضافر الجهود بين شعوب العالم، وأن واجبنا الآن هو العمل على منع العدوان في المستقبل.

وتلاه عضو من الوفد الأمريكي، فقال في صوت مرتعد بالانفعال:

- إن أعظم أمنية للشباب الأمريكي قد تحققت؛ فإن هذه الحرب التي لا معنى لها قد كلفتنا غالبًا، فإن آلافًا عدة من آبائنا وإخوتنا وأصدقائنا قتلوا أو أصيبوا بالعاهاات فيها، وإننا لتتعهد أمام الله ببذل كل جهد لمنع نشوب حرب أخرى في كوريا، أو في أي مكان آخر بالعالم.

واشترك أكثر من سبعين وفدًا في مناقشة تقرير جاك دينيس، ثم عهد إلى مختلف لجان المؤتمر بالعمل على اتخاذ القرارات اللازمة، وكان ثمة عدد كبير من هذه اللجان، كاللجنة الاقتصادية «وهي الخاصة للكفاح من أجل الحقوق الاقتصادية للشباب» واللجنة الثقافية، والتعليمية... إلخ.

وبعد الفراغ من حل عدد من المشكلات الخاصة بالإعداد والتنظيم، قرر المؤتمر أن يتبنى الدعوة لمناشدة شباب العالم، وقد حددت العبارة

الأخيرة في هذه الدعوة أهداف المؤتمر بكلمات واضحة صريحة:

«من الاتحاد إلى السلام، ومن السلام إلى السعادة».

وأعلن انتهاء المؤتمر الدولي الثالث للشباب، وسرعان ما رددت جنبات القاعة الأنغام القومية الرائعة لنشيد الشباب الديمقراطي العالمي بالسنة ولغات وفود مائة وست دول.

وعلى الرغم من انتهاء دورة المؤتمر، فإن المشتركين لم يكونوا متعجلين للرحيل عن مدينة بوخارست المشمسة، لقد بقوا للاشتراك في مهرجان الشباب العالمي الذي كان افتتاحه مقررًا في اليوم التالي، ولم يكن معظمهم باقياً لمجرد الجلوس في مدرجات المتفرجين، وإنما للاشتراك في المباريات الموسيقية والرياضية، فقد كان المهرجان نتيجة سعيدة للمؤتمر، ومظهرًا رائعًا للصدقة، وميدانًا للتنافس الرياضي بين شباب العالم.

وكانت الصداقة الدولية قد وطدت نفسها بين أعضاء اللجان المنظمة للمهرجان، فمثلاً لم يكن لدى أعضاء الوفد السوداني مال يعينهم على الحضور إلى بودابست، وقد أعانهم في هذا الأمر شباب الوفد السويدي الذي جمع لهم الأموال اللازمة، وقد فعل الشباب البريطاني مثل هذا مع وفدي الملايو وكينيا، وكان ثمة حالات كثيرة من هذا النوع، فمثلاً كان جورج سكوت أحد العمال الأستراليين مشهورًا بقوته البدنية الخارقة، وكان يشترك بين الحين والآخر في مباريات رفع الأثقال، وقد أراد الاشتراك في مهرجان بوخارست، ولكن لم يكن لديه من المال ما يكفي لحضوره إلى المدينة، وتأزر العمال في سيدني على

جمع ما يكفي من المال لرحلته.

وكان المشتركون في مهرجان بوخارست أكثر من المشتركين في المهرجانات السابقة، فقد أرسلت فرنسا ثلاثة آلاف شاب وفتاة، وكان الوفد الفنلندي يتكون من ٢٧٠٠ عضو، وفي الوفد النمساوي كان ثمة ١٧٠٠ عضو، وقد أرسلت الدول البعيدة أيضًا وفودًا كبيرة؛ إذ جاء من الهند ١٥٠ عضوًا، ومن البرازيل ١٣٠ عضوًا، ومن شيلي ١٢٠ عضوًا، وعلى الجملة كان مجموع أعضاء الوفود نحو ثلاثين ألف شاب وفتاة في مهرجان بوخارست.

ولم يكن عدد المشتركين من هؤلاء في مباريات الشباب الرياضية يقل عن ٤٣٦٦ شابًا وفتاة؛ أي ضعف اللاعبين الذين اشتركوا في مهرجان برلين، وكذلك كان عدد الفرق الرياضية أكثر أيضًا، ويمكن مقارنة اتساع نطاق المباريات الرياضية في مهرجان الشباب ببوخارست، بالدورة الأولمبية في هلسنكي.

ومما يبعث على الرضا أن الأرقام القياسية التي سجلت في عدد من المباريات كانت أعلى من الأرقام القياسية في الدورة الأولمبية.

وأحرز اللاعبون السوفييت عددًا من الانتصارات في ألعاب القوى في أول يوم من دورة المهرجان الذي أقيم في استاد الجمهوري. وكان سباق الخمسة آلاف متر مثيرًا إلى أقصى حد؛ إذ اشترك فيه البطل الأولمبي إميل زاتوبيك، والعداء المجري المشهور جوزيف كوفاك، واثنان من العدائين السوفييت؛ هما: فلاديمير كاتس وألكسندر أنوفريف، وكان هؤلاء يكافحون في سبيل الفوز بالمركز الأول، وقد

ظفر به زاتويك في وقت قصير جدًا هو: ١٤ دقيقة و٨, ٢ ثانية، وجاء كاتس الثاني بوقت يزيد عشري ثانية، وتلاه كوفال ثم أنوفرييف، وقد بذل الأخير جهدًا طيبًا في هذا السباق، وهو يعمل ميكانيكيًا في مصنع جوركي للسيارات، أما كاتس الذي كان من قبل بحارًا في الأسطول السوفيتي ببحر البلطيق، فهو طالب بمعهد التربية البدنية.

وأحرز ميخائيل كريفونوف رامي المطرقة في بوخارست نتائج أفضل كثيرًا مما فعل في الدورة الأولمبية، ففي مباريات التصفية التي أقيمت صباحًا، حطم الرقم القياسي العالمي الذي كان يحمله سير ستراندي النرويجي بزيادة نصف متر، فقد قذف المطرقة مسافة ٤٩, ٥٨ مترًا، ولكن النرويجي عاد في الدور النهائي وظفر بالمركز الأول في محاولته الثالثة، ولسوء حظ كريفونوف أنه لم يحسن في الدور النهائي كما أحسن في دور التصفية، فلم يظفر إلا بميدالية برونزية فقط، أما الذي ظفر بالمركز الثاني، فكان جوزيف جيرماك البطل الأولمبي المجري.

وأحرزت ألكسندرا كودينا في القفز العالي نتيجة أفضل مما فعلت في دورة هلسنكي، لقد جاءت الأولى برقم ١, ٦٤ متر، تليها أولجا مدراكوفا التشيكية برقم كبير أيضًا وهو ١, ٦١ متر.

وكان بطل الدورة في اليوم التالي هو الشاب أرداليون إجنافيف ابن كوفاش الفلاح بالمزارع الجماعية، والذي يشتغل بالتدريس في مدرسة قروية، لقد فاز بالمركز الأول في سباق الأربعمئة متر في زمن مقداره ٤٦, ٨ ثانية، وهو رقم قياسي سوفيتي جديد، وثاني رقم أوروبي، ورابع رقم أولمبي في هذا السباق.

وكذلك كان النصر في سباق الأربعمائة متر للسيدات من نصيب لاعبة السوفييتية بولينا سولوبوفا السائدة السابقة لجرار في مزرعة جماعية. ومرة أخرى تقابلت المتنافستان القديمتان ألكسندرا كودينا وأولجا جيارماثي في هذا المهرجان، وقد فازت لاعبة السوفييتية بالمركز الأول في القفز الطويل، ولكن برقم يقل عن رقمها الأولمبي، وقد عوضت هذا في اليوم التالي حين سجلت رقمًا قياسيًا جديدًا في مباراة البنتالون بزيادة كبيرة عن الرقم الذي كانت تحمله ناني بلانكرز كوين.

وبعد هذا كثرت التحسينات التي أدخلت على الأرقام القياسية الأولمبية؛ فقد رمى فلاديمير كوزنتيسوف الرمح مسافة ٧٤,٧٦ مترًا؛ أي أبعد بـ ١٠٠ متر تقريبًا من مسافة ينج الأمريكي في دورة هلسنكي، وفي سباق التتابع ٤×١٠٠ للسيدات، حطمت فيرا كلاشنيكوفا وزدياسا نونوفا وفلورا كازانسيفا، وناديا فالشيثيلي «فيكيفًا سابقًا» الرقم القياسي العالمي.

وكذلك أحرزت أنا نتيجة أفضل في رمي الجلة مما فعلت في هلسنكي؛ فقد قذفتها مسافة ١٥,٣٤ مترًا، ولسوء الحظ لم أستطع الاشتراك في مباراة رمي الرمح، فقبيل رحيلنا إلى رومانيا، تسببت في إصابة مرفقي الأيمن، وقد تركت هذه الإصابة أثرها في بعض الأربطة. وبرغم أنها لم تؤثر في قدرتي على قذف الجلة، إلا أنها كانت ذات أثر كبير في قذفي للرمح، بل حتى الآن لا زلت أشعر بالألم أحيانًا في ذراعي. ولم تقم المباريات في الاستاد الجمهوري فقط، وإنما أقيمت في ملاعب أخرى كثيرة.. في ملعب الدينامو والجولستي، وفي الاستاد

الذي أنشأه الشباب الروماني خاصة للمهرجان في حديقة النزهة، وفي المحطات المائية، وفي مختلف الساحات الرياضية، وفي قاعة فلورياسكا الرياضية التي كانت مسرحًا لمؤتمر الشباب، وكانت المباريات في ثماني عشرة لعبة، بينها ألعاب القوى والجمباز ورفع الأثقال والملاكمة والتجديف.

وكان اللاعبون السوفييت ناجحين في المباريات جميعها، فمثلاً فاز مصارعونا بسبع من الميداليات الذهبية الثماني، ومرة أخرى كان الفريق السوفيتي هو الفائز بالمركز الأول، ظافراً بثلاثمائة وثلاث وثلاثين ميدالية، منها ٢٠٢ ميدالية ذهبية، وقد سجلنا سبعة أرقام قياسية سوفييتية جديدة، ورقمين قياسيين أوروبيين، وآخرين عالميين.

واستمر المهرجان خمسة عشر يوماً، فبعد انتهاء المباريات الرياضية، استمرت المباريات الفنية بين المطربين والموسيقيين والراقصين في المسارح وقاعات الموسيقى، والحدائق والبيادين ببوخارست، وقد اشترك فيها الملحنون والمجموعات الغنائية، والفرق الموسيقية بأغنيات من مختلف اللغات. وقد صنف المتفرجون لحركات الراقصين والراقصات الإيقاعية الرشيقة، ولبراعة أداء العازفين على الكمان والبيان، ولعبقرية الموسيقيين من مختلف الدول، لقد كان حقاً مهرجاناً للفن.

وفي ذات ليلة مظلمة من شهر أغسطس، اجتمع أعضاء الوفود حول نيران معسكرات الصداقة التي أضرمت في الملاعب والبيادين والحدائق ببوخارست.

وعلى ضوء نيران المعسكر وقف شاب أفريقي، ووضع يده السمراء على قلبه، وقال:

- إننا لن نفترق إلى الأبد؛ فنحن جميعاً نسعى للوصول إلى هدف مشترك، إن القارات والمحيطات قد تفرق بيننا، ولكن هناك رابطة توحدنا؛ وهي هذه الأيام التي قضيناها معاً، لقد كانت حلمًا من أحلام السلام والسعادة التي ينبغي أن نجعلها حقيقة في حياتنا.

ثم جاءت الليلة الخالدة التي اجتمع فيها المشتركون جميعاً معاً للمرة الأخيرة.

لقد ازدحم ميدان «٢٨ مارس» بالشباب، ورفرفت مئات الأعلام على البحر الآدمي، وأضاءت الكشافات والشعارات واللافتات والنداءات والمبادئ بمختلف اللغات:

«السلام»

«الصدّاقة»

«المفاوضات»

«الوحدة»

وتحولت أضواء الكشافات بعد ذلك إلى المنصة الرئيسة، وعندئذ رأينا هنري مارتن، البحار الفرنسي الشاب وبطل حركة السلام، لقد سجنت قوى الرجعية هنري؛ لأنه تجرأ ورفع صوته محتجاً على «الحرب القذرة» في فيتنام، ولكن الرأي العام العالمي أرغم المسؤولين على إطلاق سراحه. وكان خروج المواطن الفرنسي الشجاع من السجن

قد تم قبل انعقاد المؤتمر بأيام قليلة، واستطاع أن يصل إلى بوخارست في آخر يوم من أيام المهرجان.

وفي حديثه الذي ألقاه على الوفد برونوبرفيني رئيس الاتحاد الدولي للشباب الديمقراطي، قال:

- هلم نحمل معنا إلى الشباب في كل دولة وفي كل قرية وفي كل مصنع وفي كل مدرسة الروح والمبادئ التي انتشرت بيننا خلال المهرجان، هلم نحمل إلى كل ركن في العالم رسالتنا للإخاء والأمل، هلم نضم إلى شعار هذا المهرجان مزيداً من ملايين الشبان والشابات.

وعندئذ أصدرت الوفود هذا النداء إلى شباب العالم:

«إننا نسعى إلى السعادة، ونريد النصر للسلام والصدقة؛ لأنهما يؤديان إلى مستقبل سعيد، إننا ننادي شباب العالم جميعاً إلى الاتحاد.

واختتم المهرجان بنشيد الشباب الذي رددته الأصوات.

وبعد هذا، أُطلقت الألعاب النارية، ودار المزيد من الرقص، وتردد المزيد من الأغاني مع هاتين الكلمتين المجيدتين «الصدقة» و«السلام» بمختلف اللغات.



أسرع من الأمريكان

كنا واقفين عند أسفل النُصْب التذكاري المقام على تلال جيبرت تخليدًا لذكرى المحاربين السوفييت الذين حرروا المجر، إنه تمثال من البرونز لامرأة تمسك بسعفة نخيل تبدو كأنها تنشر ظلها فوق بودابست... فوق المجر كلها.

ومن أسفل... على ضفتي الدانوب، ترقد بودابست الجميلة بشوارعها المزدحمة ومنتزهاتها الخضراء الهادئة، وعلى مسافة بعيدة من وسطها؛ أي على مشارفها يقع الحي الصناعي، حيث تعمل بودابست القديمة في سلام، وتحيا حياة سعيدة جديدة.

كان وصولنا إلى المجر عقب المهرجان مباشرة، نوعًا من رد الزيارة؛ إذ حدث قبل عامين أن قام فريق مجري لألعاب القوى بزيارة موسكو لإقامة مباريات ودية مع لاعبيننا، ونحن في المجر الآن للغرض نفسه، وتقرر إقامة المباريات في استاد الشعب الجديد ببودابست.

وهذا الاستاد -بالمناسبة- من أحسن الملاعب التي رأيتها في حياتي؛ إنه مزود بسبعين ألف مقعد وبساحة فاخرة للألعاب، وطرق السباق، وبأحدث الأجهزة والأدوات التي يحتاجها الرياضيون، وقد

لعب شباب بودابست دورًا فعالًا في إنشائه، لقد شُيد الاستاد بأيدي الشعب، ومن أجل الشعب، ومن هنا اشتق اسمه!

إن هذا الاستاد الضخم البهيج كان مزدحمًا بقدر اتساعه بأبناء الشعب في يوم الافتتاح، واصطفت الفرق السوفيتية والمجرية أمام المدرجات، وبعد المراسم التقليدية المهيبة، شرع لاعبو الدولتين في الكفاح الرياضي العنيف من أجل الفوز بالمراكز الأولى.

وفي مباريات السباق الأولى فاز الرياضيون السوفيت بالمراكز الأولى: فلاديمير سوكاريف، وناديا فاليشفيلي، وإيرينا توردفا وأرداليو إجناتيف، وفاز بيوتر وينسفاكو السوفيتي في سباق القفز العالي بالسارية، ولكن النصر في القفز الطويل كان من نصيب فولديسي المجري الذي أحرز نتيجة رائعة هي: ٧,٧٦ من المتر.

وبعد هذا أقيمت مباراة سباق التتابع للسيدات ٣×٨٠٠م، وتركزت العيون جميعًا على العداءات السوفيتيات؛ لأن الرقم القياسي العالمي في هذا السباق كان في أيديهن، فكيف سيفعلن هذه المرة؟

كانت أولى الجاربات هي نينا كيرنوشكيف، لقد جرت دورتين كاملتين، ولكنها عرفت كيف توزع قواها بدقة، وسلمت العصا إلى دورا بارانوفيتش قبل أن تتمكن منافستها المجرية من تسليم عصاها إلى زميلتها المجرية رقم ٢.

وأجادت دورا أيضًا، وكانت السوفيتية رقم ٣ هي نينا أكالنكو التي كانت تسبق منافستها المجرية بمسافة طويلة، بحيث لم يكن أمام الأخيرة أي فرصة للفوز. ولكن النقطة المهمة كانت: ما الزمن الذي

ستسجله العداءات السوفيتيات في هذا السباق؟

واندفعت أكالنكو إلى خط النهاية بسرعة بالغة، وفاز الفريق السوفيتي بزمن قدره ٦ دقائق و ٢, ٣٣ ثانية، وهو رقم قياسي عالمي جديد. ودوت المدرجات بالتصفيق تحية لفوزنا، ولكن بعد نصف ساعة، كنا جميعًا نهتف ونصفق للمجري الشاب روجاثو لجيل الذي فاز في سباق ١٥٠٠ متر بأسلوب رائع.

كان اليوم الأول من الدورة مثيّرًا، ولكن اليوم الثاني كان أكثر إثارة؛ فالفائز الأول في ذلك اليوم كان البطل السوفيتي وحامل الرقم القياسي في سباق الحواجز أربعمئة متر يوري ليتوييف من ليننجراد.

وكان ليتوييف حديث العهد نسبيًا بالرياضة، لقد مارسها خمس سنوات، وكان في أول الأمر مهتمًا بالرياضة الديكانلون، وكانت هذه الرياضة هي التي ساعدته على إجادة سباق الحواجز. إن على بطل سباق الحواجز أن يجمع بين الإجادة في العدو وفي القفز.

إن ليتوييف كان رياضياً نادرًا في المثابرة وبذل الجهد، وكثيرًا ما رأيتَه يتمرن في ليننجراد تحت إشراف ممرنه فياكسلاف فيتولدوفيتش سادوفسكي، وكان ليتوييف يكرر تمريناته مرات عديدة، ويمارس رياضة الجري والقفز بكثرة، وقد جرى في العام الأول من تمريناته مسافة خمسمائة كيلومتر، وضاعت هذه المسافة في العام التالي.

وبعد أن أصبح بطلاً في الاتحاد السوفيتي، كرس نفسه للعمل على تحطيم الرقم القياسي العالمي في سباق الحواجز ٤٠٠ متر، الذي سجله جيلين هاردن الأمريكي في العقد الرابع من هذا القرن.

وكان عدد قليل جدًا من أبطال سباق الحواجز قد استطاعوا أن يقتربوا من رقم هاردين الأمريكي، وكان ليتوييف أحد هؤلاء القليلين؛ فإن رقمه القياسي السوفيتي كان ٥٠,٧ ثانية؛ أي أقل بعشر ثانية فقط من الرقم الأمريكي.

عشر ثانية فقط! أو طرفة عين كما يبدو، ولكن من العسير جدًا رفع هذه النتيجة بهذا الجزء اليسير جدًا من الثانية، ولم يكن يوري ليتوييف جازعًا من مواجهة المصاعب، بل ضاعف الجهد في التمرين؛ لكي يصل في النهاية إلى تحطيم هذا الرقم القياسي، ولم نكن نحن فقط الذين نعرف هدفه في ذلك اليوم ببودابست، وإنما أدرك هذا آلاف من المتفرجين في المدرجات وهم يرقبون واحدًا من أبرز أبطال العالم في سباق الحواجز يتبارى أمامهم.

كان المتبارون أربعة، منهم اثنان سوفيتيان، واثنان مجريان.. في سباق الحواجز، وكان الرياضي السوفيتي الآخر شابًا يُدعى أناتولي يولين من مدينة منسك، وكان عليهم أن يجتازوا عشرة حواجز، وقد جروا المائة متر الأولى معًا، واجتازوا الحواجز جميعها في وقت واحد، ثم بدأ المجريان في التخلف، وأخذت المعركة بين ليتوييف ويولين تشتد إلى حد الإثارة؛ فقد كان كلاهما يعدو بسرعة وانسياب، وبنمط رائع.

وبدا امتياز ليتوييف بوضوح في المرحلة الأخيرة من السباق؛ إذ كان يندفع بقوة إلى الأمام، سابقًا مواطنه الأضعف والأقل تجربة. ووصل أخيرًا إلى خط النهاية فائزًا بالمركز الأول، ومن ورائه يولين،

والثالث لبيباي المجري.

وهتف المتفرجون وصفقوا للفائز، ولكن... ولكن ما هو رقمه؟
أهو رقم عالمي جديد؟ لا بد أنه كذلك. نعم، لا بد؛ فقد كان ليتوييف
يجري بسرعة بالغة نادرة، ولكن لم يكن طبعاً من السهل أن تحكم على
حقيقة سرعته بمجرد النظر إليه، ومن ثم كتمنا أنفاسنا وانتظرنا الإعلان
الرسمي للرقم.

ولم يطل الأمر، لقد حطم يوري ليتوييف السوفيتي رقم جلين
هاردن الأمريكي بعشري ثانية، إنه قطع المسافة في ٤, ٥٠ ثانية.
ودوى الملعب بالتصفيق والهتاف، فقد نهض سبعون متفرجاً لتحية
المنتصر.

ولست أذكر على التحديد ماذا أعقب سباق الحواجز، ولكن كان
من بين المباريات التالية، مباراة سباق التتابع ٤×١٠٠ للسيدات، وكان
فريقنا يتكون من أربع عداءات سريعيات هن: فيرا كالاشنيكوفا، وزويا
نونوفا، وإيرينا نوروفا، وناديا فالشفييل.

ولم يكن سباق التتابع ٤×١٠٠ يتطلب السرعة فقط من كل عضو
في الفريق، وإنما يوجب أيضاً التعاون الدقيق بين الأعضاء، والبراعة في
تسليم العصا؛ فقد حدث في دورة هلسنكي الأولمبية أن الرياضيات
الأستراليات كن في المقدمة خلال المراحل الثلاث الأولى، ولكن
مارجوري جاكسون أسقطت العصا من يدها وهي تتسلمها من زميلتها،
وكانت النتيجة أن جاء الفريق الثالث في الترتيب، وكان الفريق الفائز
يومئذ هو الفريق الأمريكي برقم قياسي عالمي مقداره ٩, ٤٥ ثانية.

وسمعنا إشارة البدء الحادة، واندفعت المتباريات في السباق، وكانت فيرا كالاشينكوفا ومنافستها المجرية في المقدمة، وسبقت فيرا زميلتها في المائة متر الأولى، وسلمت العصا إلى زويا نونوفا، واندفعت هذه، وبعد ١١ ثانية كانت العصا في يد نوروفا. وبدا كأن رقمًا قياسيًّا سوفيتيًّا جديدًا في طريقه إلى الظهور. وتوقف كل شيء عندئذ على ناديا فاليشفيل التي كان عليها أن تقطع المرحلة الأخيرة من السباق، العصا الآن في يدها، وإنها لتعدو بسرعة متزايدة، وأخيرًا أنهت ناديا السباق في روعة، وفاز الفريق السوفيتي مرة أخرى، وجلسنا ننتظر إعلان الرقم.

وتبين أنه رقم قياسي عالمي جديد، فقد قطع الفريق السوفيتي المسافة في ٦, ٤٥ ثانية؛ أي أفضل من رقم الفريق الأمريكي للسيدات بثلاثة أعشار الثانية.

ومرة أخرى دوى الملعب بالهتاف والتصفيق.

ثلاثة أرقام عالمية جديدة في يومين! منها تحطيم رقمين عالميين للرياضيين الأمريكان في يوم واحد! هذه هي أهم الانتصارات التي أحرزناها في مبارياتنا الودية مع أصدقائنا المجرين.

وتبين لنا أن المباريات الأخرى كانت مثيرة ممتعة أيضًا، منذ فاز كوفاك المجري بسباق الخمسة آلاف متر، وسجل أونو جريجالكا السوفيتي رقمًا سوفيتيًّا جديدًا في رمي القرص، ومرة أخرى تقابلت المتنافستان القديمتان أولجيا جيارماثي وألكسندرا كودينا السوفيتية.

وتركز الانتباه على مباراة القفز الطويل للسيدات، وكانت جيارماثي

في أحسن حالاتها، وقد سجلت رقمًا مقداره ٢٣, ٦ من المتر، أعلى من رقم كودينا بسبعة عشر سنتيمترًا. وكانت كودينا في اليوم السابق قد فازت في رمي الرمح بالمركز الأول.

وفزت أنا في مباراة رمي الجلة بمسافة ١٥, ٧٩ مترًا، أي بأفضل مما فعلت في بوخارست، وكانت تمارا تيشكيفيك الثانية، وفاشيه المجرية الثالثة.

وانتهى يوما الدورة الرياضية بانتصار الفريق السوفييتي، ولكننا عندئذ لم نكن نسعى إلى النصر أو إلى نتائج أفضل، وإنما الأهم من هذا وذاك هو توطيد أواصر الصداقة مع الرياضيين المجرين، مما جعلنا نزداد حبًا للبلاد المجرية الديمقراطية.

وكنا نشعر بالسعادة ونحن نودع أصدقاءنا المجرين؛ لأننا قدمنا إلى استادهم الجديد مثل هذه الهدايا الطيبة، فإن أرقامنا العالمية الجديدة الثلاثة هي أرقام هذا الاستاد الذي يسمى بحق... استاد الشعب.



اختياري لهنته

كان الخريف وشيگًا، وكننت قد قررت مواصلة الدراسة في سبيل دراسة أعلى، ولكن أين؟ وشغل هذا السؤال تفكيري إلى حد كبير.

كنت من ناحية شديدة الاهتمام بالعلوم الهندسية التطبيقية، وخطر لي أن التصميم الهندسي مهنة جذابة لطيفة، وبدا أنه من الطبيعي بعد انتهائي من الدراسة في الكلية الميكانيكية أن أستكمل دراستي العليا بمعهد الهندسة، ومن ناحية أخرى كنت قد استغرقت في الاهتمام بالرياضة البدنية، وفتحت لي فيها آفاق جديدة، وأصبح من الممكن لي أن أشتغل أستاذة للرياضة البدنية، وقد كان لي فعلاً في هذا الشأن بعض الخبرة في التدريس بمدارس الحي، وبتمرين زميلاتي الأقل مستوى.

إن هناك الشيء الكثير من الخبرة والمتعة والابتكار في هذا العمل الفني الذي يقوم به الممرن وأستاذ التربية البدنية، أليس من الروعة أن تجعل الناس أصحاباً أقوياء. وفكرت فيما قاله ميخائيل إيفانوفيتش كالينين ذات مرة: «ينبغي أن يكون الاهتمام بتدريس التربية البدنية في المستوى الرفيع نفسه للاهتمام بتدريس اللغة الروسية والعلوم الرياضية».

وهكذا نشأت الأسباب في اختياري لمهنة تدريس التربية البدنية؛ إذ كانت الأرقام التي سجلتها دليلاً على مدى كفاءتي الرياضية، والتي أستطيع أن أنقلها لمئات البنين والبنات.

وتبادلت الرأي مع فيكتور إيليك في هذا الشأن، ووافقني قائلاً:

- إنك على حق، فإن هذا الأمر من الأهمية بمكان!

وكان فيكتور قد صار لي في أحوال كثيرة بمثابة الوالد؛ فكثيراً ما كنت أستشيريه فيما يعرض لي من مشكلات، وها هو ذا الآن يساعدني مرة أخرى في تقرير ماذا ينبغي أن أفعل، وقد قلت له في شيء من الحيرة: - نعم، ولكن ماذا عن الدبلوم؟ ما جدوى كل ما بذلت في سبيل الحصول عليه؟

- إن الثقافة الهندسية تكون دائماً ذات نفع، فأنا أيضاً لست ممرناً رياضياً فقط، وإنما أخصائي في صنع أجهزة القياس، فإذا أنت أصبحت مدرسة للتربية البدنية، فمعنى هذا أن لديك مهنة أخرى، فلو حدث يوماً وضقت ذرعاً بالتدريس، فمن الممكن دائماً أن تعودني إلى مهنتك الأصلية، وأن تعلمي في أحد المكاتب الهندسية، وتواصلني دراساتك العليا في معهد ليبي.

وقررت أن أعمل بنصيحته، وكانت المشكلة هي في اختيار المعهد الرياضي الذي ألتحق به، أهو معهد ليسجاف للتربية البدنية، أم كلية التربية البدنية بمعهد هرزن التربوي العالي؟ ووقع اختياري على المعهد الثاني بناء على نصيحة نونا مارسوفا وهاري ألكسييف اللذين تخرجا فيه.

في أول سبتمبر عدت للدراسة مرة أخرى، ولكن كطالبة في معهد هذه المرة، وقد التحقت به في وقت واحد مع ثلاثة من زملائي في جمعية زينيت الرياضية، وهم: بوريس ليفتمان، وناتاشا تيتوفا، وآلان نوتمان.

إن معهد هرزن التربوي هو واحد من أكبر المعاهد الدراسية في ليننجراد، ويمثل بناءً ضخماً قديماً على ضفة نهر مويكا، وملحق به عدد كبير من المباني الجديدة، ويبلغ عدد طلابه آلاف عديدة.

وسرعان ما تصادقت مع زميلاتي وزملائي الجدد، وكانوا جميعاً من عشاق الرياضة، وكثيرون منهم كانوا في الفرق العليا، وكان معظمهم من مدينة ليننجراد، ولكن كان بينهم كثيرون من مدن وجمهورية أخرى، منهم العداءة جاليا سوناستيفا من مدينة موجيليف، وبطلة الانزلاق يوليا كودينوفا من مدينة مولوتوف، وبطلة الجمباز الأوكرانية ليناليكو.

وبجانب المواد الأخرى التي تدرس بالمعهد، كنا ندرس عددًا من المواد الخاصة، وكان برنامجنا يحتوي على دراسة علم النفس، ووظائف الأعضاء والتشريح، وعلم الأنسجة والأحياء، وكانت كلها مواد ممتعة ولازمة، ولكنني أحببت علم التشريح بصفة خاصة، فمن دون معرفة التركيب والشكل الداخلي للجسم البشري، فمن المستحيل أن تتقن فن تدريس التربية البدنية كما ينبغي.

وكنت أعرف بطبيعة الحال كيفية تركيب الجسم البشري، حتى قبل التحاقني بالمعهد، ولكن الدروس الأولى في علم التشريح وسعت (آفاق) مداركي، وزودتني بصورة أوضح عن دقة وإحكام الجهاز الذي تتكون منه العظام والأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية، والأوعية

الدموية، والأنسجة العضلية.

إن العظام هي دعائمنا، على حين تنمي العضلات نشاطنا، وتدفع العظام إلى الحركة، وكل إنسان يعرف هذه الحقيقة، ولكن قلما يعرف أحد إلى أي حد من التعقيد تبدو العلاقات بين مجموعات العضلات المختلفة، وقد ألقى علينا أستاذنا يوماً سؤالاً بدا لنا بسيطاً جداً:

- ما التمرينات التي نراها لتقوية عضلات البطن؟

ورأى معظم الزملاء أن أحسن التمرينات هي أن يرفع الإنسان نفسه يديه ويجعل ساقيه في وضع أفقي.

وهز الأستاذ رأسه، وقال:

- لا، ليس هذا أحسن التمرينات.

إن إقامة الإنسان لساقيه في وضع أفقي تنفع فقط في تقوية مجموعة صغيرة نسبياً من عضلات البطن، ولكن الطريقة الأفضل كثيراً، هي أن تجلس على مقعد منخفض، وتضع يديك على الجزء الخلفي من العنق وتحني ظهرك، وقد آمنا بجدوى هذه الطريقة حينما درسناها في أطلس التشريح.

وأنا أقدم هذا المثال البسيط لأبين إلى أي حد ينبغي أن تكون عليه ثقافة الممرن أو أستاذ التربية البدنية في علم التشريح، وكلما أمعنت في الدراسة، ازدادت قدرتي على تقديم مثل هذه الأمثلة، وإنه من العسير أن تدرس التشريح نظرياً فقط، ومن ثم كنا نقوم بدراسات عملية في هذا

الشأن بجانب المحاضرات، وقد تبين لي أن هذه أيضًا كانت ممتعة. وبدأنا دراسة مختلف أنواع الألعاب الرياضية من أساسها الأول، وقد كان برنامجنا في أول الأمر يحتوي على الجمباز وكرة السلة، ثم السباحة والكرة الطائرة والانزلاق، وقد قلت لنفسي: «ماذا في كرة السلة لا أعرفه؟» عندما بدأنا أول درس فيها، فقد مارست هذه الرياضة كثيرًا، وعرفت كيف أجري، وكيف أمرر الكرة، وكيف أقذف بها إلى الشبكة. ولكن ثبت لي أن مجرد لعب كرة السلة لا يكفي؛ إذ كان المطلوب منا أن نتقن قواعدها الكثيرة المعقدة؛ لكي تتمكن من التحكيم في المباريات، وكان على المعهد أن يدرس لنا جميع أنواع التمرينات على الألعاب الرياضية كلها؛ لكي نغدو مؤهلين لتدريس كل هذه الألعاب للغير.

وكانت الجوانب العملية في هذه الألعاب سهلة بالنسبة لي، فكنت أساعد زملائي فيها، على حين كانوا هم يساعدونني في الجوانب النظرية، وكنت كثيرًا ما أحتاج إلى هذه المساعدة.

ويرجع هذا إلى أنني -كعضو في الفريق السوفيتي الأهلي بلينجراد- كنت أشترك في كثير من المباريات، وكان المعهد دائمًا يسمح لي بالتغيب على شرط ألا يؤثر هذا التغيب على دراستي، ولكي أعوض ما يفوتني، لم تكن القراءة في الكتب المدرسية تكفي، وهكذا كانت زميلاتي تزودني بنصوص المحاضرات التي فاتني حضورها، ويشرحن لي التجارب العلمية التي تمت في المعمل وقت غيابي، ويساعدنني في التغلب على المشكلات التي تعترضني أثناء دراستي

بنفسي، ويحدثني عما رأين أثناء غيبيتي، وكنت أعترف إلى حد كبير بفضل معاونة ألكسندروفا ويوليا كودينوفا لي؛ هاتان الفتاتان اللطيفتان اللتان أصبحتا صديقتين حميمتين لي.

وكان معظم طلبة فرقتي، بل وطلبة المعهد جميعاً من أعضاء منظمة رعاية الشباب «الكومسومول»، وكانت منظمنا ذات نشاط كبير، وأعتقد أننا لم نكن نحسن صنفاً فقط باهتمامنا بتثقيف الأعضاء سياسياً، وإنما أيضاً بمعاونتهم في الدراسة، وبتعليمهم النظام وحسن السلوك؛ فقد كان واجب أعضاء الكومسومول أن يضربوا المثل للشباب في كل مكان؛ في المعهد، وفي مساكن الطلبة، وفي الشوارع والمنازل.

وقد لعبت دوراً كبيراً في لجنة الكومسومول بالمعهد، ووقع الاختيار عليّ فيما بعد، في الخريف؛ لأكون عضواً في لجنة الكومسومول الإقليمية بليننجراد.

وعند حضوري لأول مرة إحدى جلسات اللجنة، لم أكن مستعدة للمهمة التي نيّطت بي، فقد كانت جلسات الكومسومول في المدرسة وفي الكلية وفي المعهد تعقد لمناقشة المشكلات البسيطة، أما في جلسات اللجنة الإقليمية فكانوا يناقشون أموراً خطيرة جديدة عليّ تماماً، أموراً تكشف عن مختلف أنواع النشاط الذي تقوم به إحدى وحدات الكومسومول الكبرى. وتساءلت في نفسي: هل سأستطيع أن أتجاوب معهم؟ وهل سأتمكن من الوصول إلى النتائج السليمة واتخاذ القرارات الصحيحة؟

وبدأ هذا الشعور بالتردد على أي حال، يتلاشى تدريجيًا، وكما كان الحال في اللجنة المحلية الصغرى، كذلك كان اجتماع اللجنة الإقليمية يتكون من قادة المنظمة وأعضائها الخبيرين الذين كانوا يساعدونني على فهم الأوضاع كما ينبغي، وعلى حل المشكلات المعروضة على أحسن وجه، وكان العمل في لجنة كومسومول ليننجراد يقوم على المبادئ التي تعمل بها اللجان الأخرى أيًا كان مركزها، وهذه المبادئ هي تقديم أنواع المساعدات إلى حزبنا الشيوعي المجيد في رسالته لقيادة الشعب نحو الشيوعية.

ومر الوقت بسرعة، وتعودت على الذهاب كل يوم من حي فيبورج إلى المعهد مارة في طريقي بمشروع نيفسكي، ثم بكاتدرائية كازانسكي، وكنت دائمًا ألتقي ببعض زملائي، فنهرع معًا ونحن نضحك ونمرح إلى المعهد، وكنا في ذلك الحين جد مشغولين بالامتحانات القريبة.

واستعددت لها مع عدد من الزملاء كبير، فكنا نجتمع في بيتي ونجلس طوال الليل تحيط بنا كراسات التمرينات وكتب الدراسة، ولم يكن ثمة وقت يكفي لكل شيء، ولهذا اضطررت إلى تخفيض مرات تمريني إلى مرة واحدة في الأسبوع.

وانتهت الامتحانات الأولى، وسجلت أولى الدرجات في سجلات الطلبة.

وتصفحت سجلي الخاص، وكانت صفحاته مسطرة بخطوط متقاربة، وقد رأيت قليلاً من هذه السطور مرقومة بدرجاتي... (إنها

أولى الدرجات لأول سنة دراسية)؛ أي كان أمامي نحو أربع سنوات أخرى من الدراسة التي تتيح لي المعرفة اللازمة لكي أغدو مدرسة للتربية البدنية، وعاهدت نفسي أن أبذل كل جهدي، وإذا لم أتقن هذه المعرفة، فلن أستطيع أن أمارس المهنة التي اخترتها لنفسي.



في إسكندنافيا

إن استاد بيزليت في أوسلو معروف جيداً لكثير من الرياضيين السوفييت من أبطال الانزلاق ولاعبي كرة القدم، وقد أتيح لي أن أنزل بساحته في خريف عام ١٩٥٣م.

وصل فريقنا لألعاب القوى إلى النرويج في أواخر شهر سبتمبر لإقامة مباريات ودية مع رياضيي النرويج والسويد وفنلندا.

وكان قد قيل لنا إن الجو في النرويج لطيف أحياناً في شهر أكتوبر أيضاً، ولكن الأمر لم يكن هكذا في هذه المرة، لقد وجدنا أنفسنا في خضم طقس خريفي حقيقي ليس فيه من اللطف شيء، فالرياح العنيفة كانت تهب بقوة من السواحل البحرية ذات الخلجان الضيقة، وأوراق الشجر الصفير تكسو الشوارع، والسماء ملبدة بالسحب، والمطر يسقط رذاذاً باستمرار.

ورأى كثير من النرويجيين أن الناديين اللذين دعونا، وهما ناديا تورهوج وأوسلو أورن، قد أخطأ في استدعائنا للحضور في ذلك الفصل من السنة، وأنه من المحتمل أن تؤجل المباريات، وأعرّب الجميع عن خوفهم من أن يؤثر الجو في نتائج المباريات، وأكثر من هذا، في عدد الذين سوف يشاهدونها.

وقرر الرياضيون السوفيت ألا يقيموا وزنًا لمثل هذه النظرات المتشائمة وبدأوا الاستعداد للمباريات، وكنا نقيم في فندق فايكنج، وفي كل يوم كنا نذهب إلى الاستاد لتتمرن بقوة وحماس؛ إذ قررنا أن نبدو في أحسن حال، لا سيما حين تقرر أن تقام المباريات في الأمسيات، تحت أضواء الكشافات، ولم نكن متعودين على هذا النوع من المباريات.

وانهمر المطر في أول أكتوبر، وهو يوم الافتتاح، وخشينا أن نجد مدرجات المتفرجين شبه خالية، ولكن مخاوفنا لم تكن على أساس؛ فقد أثبت النرويجيون أنهم جد مهتمين بالرياضة السوفيتية، وإذا عدد المتفرجين في المدرجات الذين حضروا مساء يصل إلى عشرة آلاف، وهو رقم قياسي في مثل هذا الفصل من السنة.

وكان رياضونا جد ناجحين، إذ فازوا في المباريات جميعها، وأحرزوا نتائج باهرة، وكان الفارق في النتائج بين الفائزين السوفيت واللاعبين النرويجيين والسويديين الذين جاءوا في المراكز الثانية أو الثالثة كبيرًا في كل مباراة تقريبًا، ولا سيما في مباريات السيدات؛ فمثلًا فازت ألكسندرا كودينا في مباراة القفز الطويل برقم ٩٠, ٥ ستمترات، وكانت فاديافا ليشفيل الثانية برقم يقل ثلاثين ستمترًا، على حين كان رقم ساتر النرويجية التي جاءت الثالثة يقل عن رقم ناديا بنحو متر. وأنا قذفت الجلة مسافة ٤٦, ١٥ مترًا، وكانت الثانية جريبرول النرويجية التي قذفت بها مسافة ٩٧, ٩ من المتر فقط.

ونشرت الصحف في اليوم التالي تعليقات رائعة عن انتصارات

الرياضيين السوفيت، فقالت صحيفة أفنوستن: «لقد عرض الروسيون ألعابهم بفن رائع، وكانت هذه الألعاب في الواقع، بالنسبة لهم، استعراضًا أكثر منها مباراة»، وقالت صحيفة المورجنوستن -وهي بوجوازية أيضًا- «إن اللاعبين السوفيت قد أثبتوا أنهم رياضيون بارعون، فعلى الرغم من طرق السباق الموحلة، استطاعوا أن يسجلوا أرقامًا قياسية عالمية»، وقال المعلق الرياضي لصحيفة فيرون جانج: «لقد تحقق لنا هذه المرة ما وعدنا به من قبل، فإن الفريق السوفيتي هو أحسن الفرق الرياضية التي جاءت إلى أوصلو».

وحالفنا النجاح في اليوم التالي أيضًا؛ فقد فاز فلاديمير كاتس من ليننجراد في سباق الخمسة آلاف متر بأسلوب جميل، سابقًا أقرب المنافسين إليه -ساكسفيك النرويجي- بنصف دقيقة، وكان بين الفائزين السوفيت في ذلك اليوم: أوتو جريجالكا، وناديا فاليشفيلي، وأرداليون إجناتييف، ونيينا بونوماريوفا «رامشكوفًا سابقًا»، وكان ضعف المنافسين، على أي حال، قد أفقد المباريات متعتها وإثارتها، ولهذا السبب شاعت البهجة بين الجميع عندما تقابل في مباراة رمي المطرقة كل من ميخائيل كرفيونوف السوفيتي، وحامل الرقم العالمي سير ستراندي النرويجي؛ إذ كان ستراندي قبل شهر، قد رفع رقمه العالمي بأكثر من متر، فوصل به إلى ٣٦, ٦٢ مترًا.

وكانت المباراة عنيفة تمامًا، خرج منها ستراندي فائزًا بالرقم ١٦, ٦١ مترًا، يتلوه ميخائيل برقم ٨٦, ٥٩ مترًا، وكان الثالث نرويجيًا آخر يُدعى كيوس برقم متواضع هو ٤٥, ٤٧ مترًا، ولكن كان على

ستراندي وميخائيل أن يلتقيا مرات ومرات في المستقبل.

ونشرت الصحافة النرويجية تعليقاتها ومقالاتها الرائعة عن انتصارات اللاعبين السوفيت في اليوم الثاني من المباريات، وكان عنوان إحدى الصحف في الصفحة الأولى هو: «الروس يفوزون بقلوب عشرة آلاف متفرج في استاد بيزليت أمس»، ونشرت صحف كثيرة المقارنات بين الرياضيين السوفيت والأمريكيين الذين زاروا أوصلو منذ عهد قريب، وكتبت صحيفة فيرونز جانج تقول: «إن لدى الأمريكيين نجومًا كثيرة في عالم الرياضة، ولكن اللاعبين السوفيت كفريق هم الفائزون. ولا يعني هذا أنه ليس هناك نجوم بين الرياضيين السوفيت، بل هناك: ليتوييف، وشيرباكوف، وزايبينا وبونوماريوفا، وكودينا، وإجناتييف.

وقد علقت صحيفة المورجنوستن قائلة: «إن الرياضيين السوفيت لم يخيبوا ظن المتفرجين، وبرغم انعدام المنافسة القوية، فقد أحرزوا نتائج أفضل مما أحرز اللاعبون الأمريكيون».

وبعد انتهاء المباريات الودية في أوصلو، طلبت المنظمات النرويجية من اللاعبين السوفيت أن يتباروا في مدينتين من مدن الأقاليم؛ هالدين، وسكاين، ولما قبلنا الدعوة بترحاب، اندهش النرويجيون وابتهجوا في آن واحد، وقد علق على هذا أحد مندوبي هذه الجمعيات:

- كنا نخشى أن تجدوا المباريات في الأقاليم غير مثيرة.

ولماذا لا نذهب! لقد انقسم فريقنا إلى قسمين، وكنت في القسم الأول الذي رحل إلى مدينة سكاين، وهي مدينة صناعية صغيرة تبعد

عن العاصمة نحو مائتي كيلومتر، وقد ذهبنا إليها بالسيارة الحافلة، وكان طريقنا يقع على ضفة خليج أوسلو، ثم يقتحم غابة من الأشجار الصنوبرية المتكاثفة، وقد مررنا في طريقنا على المزارع، ولكن لم يكن ثمة قرى على مرمى البصر، بل منزل أو اثنان هنا وهناك، ثم حقول بعد حقول، ثم منزل أو اثنان، والفلاحون في الترويح، كما هو شأنهم في السويد، يعيشون في ضياع منعزلة.

وقبولنا في مدينة سكاين بحفاوة، وازدحم الاستاد بالمتفرجين الذين كانوا يصفقون بحماس لكل لاعب سوفيتي يظهر في ساحة الملعب، وكذلك تلقى زملاؤنا الذين ذهبوا إلى هالدين مثل هذه الحفاوة والترحيب.

وفي كلتا المدينتين، تبارى الرياضيون السوفيت مع رياضيين من أوسلو ومن المدينتين، وفرزنا في المباريات جميعاً ما عدا مباراة رمي المطرقة التي فاز فيها ستراندي مرة أخرى على ميخائيل كريفونوف، وإن كان الفارق بينهما فقط ٣٦ سنتيمتراً، وأحرزت ناديا فاليشفيل انتصاراً جارفاً بتسجيلها رقماً قياسياً يساوي الرقم القياسي العالمي في سباق ٦٠ متراً، وكان الزمن ٧,٣ من الثانية.

وبعد عودتنا إلى أوسلو، مضينا نتفرج على معالم المدينة، وقد وجدنا أن الشارع الرئيس الكبير في العاصمة -وهو شارع كارل جوهان- ممتد مثل شارع نيفسكي في ليننجراد، وممتلئ بعدد كبير من المارة السائرين في بطء.

وركبنا قطاراً كهربائياً صعد بنا إلى جبل هولمن كولين في مشارف

أوسلو حيث تقام الألعاب الرياضية الشتوية، وكان الجبل الذي يعتبر مسرحًا ضخمًا لرياضة القفز بالزحافات، خاليًا موحشًا بطبيعة الحال في ذلك الوقت من السنة. وعند وقوفنا على سفحه، استطعنا أن نستمتع بمنظر رائع لمدينة أوسلو، وهنا أيضًا زرنا متحفًا للانزلاق لطيفًا جدًا.

وبعد زيارتنا للمتحف، قررنا أن نصعد إلى قمة جبل القفز بالزحافات لنلقي نظرة شاملة على مدينة أوسلو وخليجها، وما إن قررنا هذا حتى فعلناه، ومضينا إلى القمة في مصعد، ولكن قبل أن نتاح لنا فرصة كافية للنظر إلى المدينة من أعلى، صلصل الجرس، ومعنى هذا أنه ينبغي أن نعود، فماذا حدث؟ ونظرنا إلى أسفل في دهشة، ورأينا نوعًا من الأجهزة في فضاء وسط غابة قريبة وجنودًا أمريكيين، إنها أجهزة أمريكية وجنود أمريكيون، حسنًا، ليس ثمة جدوى من كشف أسرار حلف شمال الأطلسي الحربية، وهبطنا مذعنين، وبدا الاستياء واضحًا على وجه عامل المصعد.

وحان الوقت لنودع النرويج. وفي حفلة استقبال رسمي أقيمت تكريمًا للرياضيين السوفيت، قدم النرويجيون شكرهم لنا على هذه الزيارة الودية، وأعربوا عن يقينهم بأن الروح الرياضية التي تربط بين البلدين سوف تزداد قوة على مر الزمن، وأكد الرياضيون النرويجيون أن مبارياتنا معهم سوف تكون سببًا في إجادتهم لألعاب القوى ووصولهم على نتائج أفضل، وكان افتراقنا عن مدير فندق الفاينكنج متسمًا بالحرارة والمودة؛ إذ قال وهو يتسّم:

- لسوف أذكر دائمًا الرياضيين الروسيين.

ومضينا من النرويج إلى سلسلة مباريات في السويد، وكان معنا ستراندي وعدد آخر كبير من الرياضيين النرويجيين الذين كانوا ينون الاشتراك في المباريات أيضًا.

وكانت مبارياتنا الأولى في مدينة مالمو بالطرف الجنوبي من البلاد، وإن الدول الإسكندنافية لتبدو على الخريطة كدب منبطح، وعلى المخلب الممتد لهذا الدب؛ أي على شاطئ مضيق أور، تقع مدينة مالمو، وهي ثالث أكبر مدن السويد.

ويبلغ مضيق أور الذي يفصل مدينة مالمو عن جزيرة زيلاند الدانمركية من الضيق بحيث يستطيع الإنسان أن يصل إلى الساحل الدانمركي في قارب تجديف أو سباحة، ومالمو هي مركز صناعي، ذات ترسانات لبناء السفن، ومصانع هندسية، وأخرى للنسج، ولصناعة الأخشاب.

وسكان مدينة مالمو يعشقون الرياضة، وهم في مجموعهم رياضيون ممتازون؛ ففيها يعيش جوندرا هاج بطل سباق الـ ١٥٠٠ متر، و٥٠٠٠ متر، وحامل رقميهما القياسيين العالميين، وكان قد سجلهما عام ١٩٤٢م، ولم يستطع أحد منذ ذلك الحين أن يحطمهما، وذلك برغم أن العداء السوفيتي ألكسندر أنوفوييف اقترب من أحدهما، وإن هاج في الوقت الحاضر هو صاحب أحسن متجر لأدوات الألعاب الرياضية بالمدينة.

ولم يكن نجاحنا في السويد أقل من نجاحنا في النرويج؛ ففي اليوم العاشر من شهر أكتوبر، انتصرنا ببساطة في المباريات جميعها

بمدينة مالمو، وقد تألق فيها فلاديمير كاتس في سباق ٣٠٠٠ متر وناديا فالشفييلي في سباق ٦٠ مترًا، وفي القفز الطويل، وفلاديمير كوزنيزوف الذي فاز في مباراة رمي الرمح بأسلوب جميل، وقد بينت المباريات أن الرياضيين السويديين يعوزهم التدريب الرياضي والأحوال الفنية.

ولم يكن أمامي منافسات قويات، ولكي أجعل مباراة رمي الجلة أكثر إثارة ومتعة، طلبت من ألكسندرا كودينا ونينا بونوماريوفا -راميتي القرص عندنا- أن تشتركا في المباراة، واستطاعت نينا أن تضرب الرقم القياسي السويدي بزيادة ١١ سنتيمترًا.

وأثمرت جهودي النتائج التالية: المحاولة الأولى في الدور التمهيدي: ١٥,٢٥ مترًا، والرمية الثانية: ١٥,٥٥ مترًا، والرمية الثالثة ١٦,٠٨ أقل بعشر سنتيمترات فقط من الرقم القياسي العالمي الذي سبق أن سجلته، فماذا لو أنني سجلته مرة أخرى؟

وحفزتني كودينا إلى هذا بقولها:

- هلم يا جاليا! ابذلي المزيد من الجهد وأنت تسجلين رقمًا عالميًا جديدًا.

وأيدتها نينا بقولها:

- لسوف تنجحين طبعًا.

وكان هناك فيكتور إيليك الذي أخذ يحفزني أيضًا بقوله:

- راقبي وضع ساقيك، اضغطي بمزيد من القوة على الساق اليمنى، فلا يزال أمامك ثلاث رميات أخرى في الدور النهائي، وفي هذا ما يكفي

لتحسين نتائجك.

حسنًا... لقد حاولت، وقذفت الكرة في أول محاولة بالدور النهائي مسافة ٢٠, ١٦، وضجت المدرجات بالهتاف وأنا أسجل أمام الجميع رقمًا عالميًا جديدًا؛ أي خامس رقم قياسي عالمي أسجله في ١٥ شهرًا. وفيما أنا أقوم بدورة الشرف حول الملعب، كانت الهتافات والتصفيقات تدوي كالرعد القاصف، لقد أثبت السويديون مدى حماسهم للنصر الرياضي السوفييتي، ولكي يسجل الرياضيون السويديون ذكرى هذا النصر في مدينة مالمو، قدموا إليّ هدية فريدة، ترمومتر حائط على شكل «مفتاح المدينة».

وكنّا نعيش خارج المدينة... في ساحات التدريب الخاصة بالنوادي الرياضية المحلية، ووطننا أواصر الصداقة مع مديرة الفندق، وكانت سيدة عجوزًا مرحة موفورة النشاط، وكنّا في كل ليلة نقيم الحفلات الراقصة والأخرى الموسيقية في بهو الفندق.

وانقسم الرياضيون السوفييت في مالمو إلى فريقين، ذهب أحدهما إلى مدينة أوربرو، والآخر إلى أوبسالا، وكنت مع الفريق الأول. وقد وجدت أوربرو مدينة تاريخية صغيرة جميلة، ذات حصن قديم، وشوارع نظيفة هادئة، وناد رياضي فاخر.

وفي هذه المدينة تمت مباراتان كل منهما جديرة بالذكر: الأولى سباق ٢٠٠ متر للرجال، وقد فاز فيه فولبراندت السويدي، وكان هو وسنادز السوفييتي قد تساويا في الزمن، وهو ٦, ٢٢ ثانية، ولكن فولبراندت كان الأول في لمس شريط النهاية، وأسرع سانادز وسوكاريف

وغيرهما من العدائين السوفيت إلى تهنئة فولبراندت بحرارة، وكانت المباراة الثانية في رمي المطرقة؛ إذ فاز ميخائيل كريفونوف على سير ستراندي في هذه المرة؛ إذ قذف السوفيتي بالمطرقة مسافة تزيد ٧٦ ستمترًا على مسافة النرويجي.

وفي هذا اليوم نفسه، في أسالا، أحرز فولوديا كاتس نجاحًا باهرًا في قطع مسافة ٣٠٠٠ متر في ٨ دقائق و٨, ١١ ثانية، مسجلًا بذلك رقمًا سوفيتيًا جديدًا.

والتقينا جميعًا في العاصمة استوكهلم في ١٢ من أكتوبر، وكانت الصحف زاخرة بالأنباء الحماسية عن انتصاراتنا، ولكن الآمال جميعها في إقامة مباريات أخرى بالسويد تلاشت بسبب رداءة الأحوال الجوية، وبيّن مقياسي الجوي الذي على شكل مفتاح أن برودة الجو قاربت الصفر، وكانت الرياح العاصفة تطارد الأمواج على سطح بحيرة مالا، والسحب القائمة تجثم على المدينة، وكان الوقت قد حان للعودة إلى الوطن استعدادًا لموسم آخر؛ إذ كان نصف الرياضيين السوفيت في اسكندناوا من الطلبة، وكان عليهم أن يعودوا إلى المعاهد والجامعات والكليات، وكلما طال بنا المقام، ازدادت المشقة في تعويض ما فاتنا من دروس.

وودعنا أصدقاءنا السويديين، وتمنينا لهم وللنرويجيين كل تقدم في الرياضة حتى نلتقي بهم مرة أخرى.



عودة ناتاشا

واستأنفت ناتاشا مرانها في ذلك الشتاء، وليس من الصواب في شيء أن نقول إن ناتاشا عادت إلى المدرسة، لسبب بسيط، وهو أنها لم تترك المدرسة حقاً.

إن سميرنتسكايا كانت تهبط علينا كثيراً لمراقبتنا ونحن نتمرّن، وتهتف لنا مشجعة في المباريات فترة طويلة بعد أن توقفت عن المران، لقد كانت وهي تتأهب لأن تغدو أمّاً، تشاركنا الاهتمام بمدرستنا الرياضية، وتعرف كل شيء مما يجري بها.

وكنا بطبيعة الحال نعرف كيف كانت الحياة تمضي بها، كنا نعرف متى ذهبت إلى مستشفى الولادة، وكم كان سرورنا عندما سارت الأمور معها كما ينبغي، وبقينا على علم بأخبار صحة طفلها الوليد الرائعة.

ورأس فيكتور إيليك وفداً من جمعية زينيت الرياضية لزيارة ناتاشا في المستشفى، ولم يسمح لنا بطبيعة الحال برؤية الأم الحديثة العهد بالأبوة، فإن هذا يخالف نظام المستشفى، وكان علينا أن نقنع بإرسال الأزهار وبطاقات التهنئة إليها.

وقد كان لي الشرف بأن أكون من أوائل الذين رأوا ابنها كوستيا سميرنتسكايا الصغير في بيته، ولكن سرعان ما بدأ الصغير كوستيا يحضر بنفسه إلى المدرسة في صحبة أمه، وقد استطاع في الواقع أن يقسم المدرسة إلى فريقين، أولئك الذين يؤكدون أنه يشبه أمه، وهؤلاء الذين يقسمون أنه صورة طبق الأصل من أبيه، وهو أحد أبطال التجديف المعروفين، ولكننا جميعًا اتفقنا على أنه أيًا كان الشبه، فمن الممكن اعتباره فعلاً أصغر تلميذ بمدرستنا.

وسرعان ما غدا لدينا تلميذ آخر صغير، أو على الأصح تلميذة... إنها طفلة زميلتنا ماشا ميزاريفا - إحدى بطلات القفز - التي ولدت بعد كوستيا بأيام قليلة.

وكنت في خارج البلاد أسمع كثيرًا أنه من العسير على الأم أن تمارس الرياضة وتصل فيها إلى نتائج عالية، سمعت هذا في النرويج وفي السويد، ولكن هذا ليس من الحقيقة في شيء إطلاقًا، فإن هناك أمهات كثيرات ذوات أبناء صغار بين أبطال الرياضة وحملة الأرقام القياسية في الاتحاد السوفيتي.

إن لنا دومباز طفلاً، ولماريا ليزاكوفا طفلة، على حين أن لتاتيانا كاريلينا طفلين، وإن لاعبتي كرة السلة إيفينا زاراكومشكايا ونيينا مكسميليانوفا ولاعبتي الجمباز ماريا جورشوفسكايا وصوفيا بودزوفا والسباحة كابيتولينا فازيليانا وكثيرات غيرهن - أمهات، وكم عدد الأخريات؟ إن لجالينا توروفا حاملة لقب الامتياز والأهلية ابنة فازت أيضًا بلقب الأستاذية في الرياضة.

إن الأمهات الرياضيات يتمرن دائماً، وقلما يتخلفن عن الملاعب فترة طويلة، وقد استأنفت سميرنتسكايا وبيزاريفا المران بمجرد أن سمح لهما الطبيب بذلك، وبدأت مع ناتاشا مرة أخرى في ممارسة التمرينات الخفيفة، ولكنني للأسف لم أستطع أن أتمرن معها على رمي الرمح؛ لأن إصابة ذراعي كانت تمنعني من هذا.

وأخذت مدرستنا كلها ترقب سميرنتسكايا وهي تسترد مكانتها، وكانت تتمرن كالمعتاد في دأب ومثابرة، وما إن حل الخريف حتى كانت ناتاشا قادرة على قذف الرمح مسافة ٤٧ متراً، ولكن كان عليها الكثير لكي تصل إلى رقمها القياسي العالمي ٤١, ٥٣ متراً، نعم كان عليها أن تعمل كثيراً لتحقيق هذا الهدف.

ومع اقتراب الشتاء، شرعت ناتاشا في استرداد لياقتها (الصحية) والرياضية، ولكنها لم تهمل إتقان القواعد الفنية أيضاً، لقد بدأت تصقل حركاتها وتشق على نفسها في التمرين حتى تحطم رقمها القياسي العالمي. إن الأرقام القياسية عادة تحطم بين الحين والآخر، ولكن من المدهش أن رقم ناتاشا ظل منيعاً نحو خمسة أعوام.

وكانت ناتاشا تعلم أن بطلة ما سوف تحطم رقمها إن عاجلاً أو آجلاً؛ فقد كان ثمة كثيرات قد استطعن رمي الرمح إلى ما وراء الخمسين متراً، وبطبيعة الحال كانت ناتاشا راغبة في أن تكون هي محطمة رقمها، وكانت تتوقع أنها تستطيع تسجيل رقم قياسي جديد في الصيف، ولكن الرقم نفسه قرر أن الوقت حان ليتحطم.

ففي الخامس من شهر فبراير عام ١٩٥٤م استطاعت ناديا كونيفا،

وهي طالبة من مدينة كييف، أن تقذف بالرمح مسافة ٥٦, ٥٣ متراً، وأصبحت حاملة الرقم القياسي الجديد في العالم، وقد وهبت رقمها لذكرى مرور ثلاثمائة عام على اتحاد أوكرانيا وروسيا.

وكنت قد رأيت ناديا كونيفا القوية ذات الشعر الأسود في مباريات الطلاب ببوخارست، وكانت الثالثة عندئذ، وفي بطولة الاتحاد السوفيتي كانت بين الأبطال العشرة الأوائل، وكان رقمها يومذاك أقل من خمسين متراً.

وجاء الخريف، واستمرت كونيفا في المران تحت إشراف ز.ب. سننكي، أستاذ التربية البدنية المعروف، وظلت نتائجها تتحسن، وفي الشتاء كانت تتمرن كثيراً في الهواء الطلق، ثم نزلت إلى الملعب في يناير عندما كانت درجة البرودة ١٩ تحت الصفر، واستطاعت أن تقذف الرمح مسافة ٥٠ متراً تقريباً، مما أثار دهشة المراقبين والخبراء.

وسجلت ناديا كونيفا الرقم القياسي الجديد في مدينة ليننجراد أثناء الدورة الرياضية الشتوية بين رياضيي جمعية ميديك في موسكو وليننجراد وأوكرانيا، وقد سجلته في ظروف غير عادية تماماً، وعلى ملعب أزيلت من فوق سطحه الثلوج.

كان انتصارها خارقاً، لا سيما وهي في الحادية والعشرين من العمر، وكان انتصارها دليلاً جديداً على ضخامة الاحتياطي في المواهب الرياضية بين شبابتنا.

وهكذا تحطم أخيراً رقم ناتاشا القياسي؛ فماذا كان شعورها؟

لقد كانت سعيدة من أجل ناديا كونييفا.. سعيدة من أجل الرياضة
السوفيتية، لقد سُجل رقم قياسي جديد، وإن هذا الرقم يجب أن يتحطم
أيضاً، هكذا كانت تنظر إلى الأمر، وإن المعركة الآن لجد عنيفة وممتعة،
ومن ثم أخذت تضاعف جهدها في التمرين.

إن كثيرات من بطلات رمي الرمح السوفيات سيحاولن تسجيل
الرقم الجديد، وربما أكون واحدة من هؤلاء الكثيرات، وكل ما في
الأمر أن الهدف ابتعد ١٥ سنتيمترًا بالتحديد.



مؤتمر الكومسومول الثاني عشر

في صباح اليوم التاسع عشر من شهر مارس عام ١٩٥٤م، دخلت الكريملين لأول مرة في حياتي، مع غيري من أعضاء وفد ليننجراد، بمناسبة الاحتفال بالمؤتمر الثاني عشر لمنظمة الكومسومول، وكان قلبي يخفق بسرعة، وأنفاسي تتردد لاهثة، ولكني، كما أعقد، لم أكن الوحيدة التي تشعر بالتوتر العصبي عندئذ.

كنا نسير بهدوء، وكأني في حلم إلى قصر الكريملين الكبير، وبعد لحظات كنا نرتقي الدرجات الرخامية، وكانت ثمة وفود وضيوف تمضي أمامنا، ومن ورائنا طوابير لا نهاية لها من الشباب المسرعين إلى القاعة الكبرى في أعلى.

وكان يمثل الثمانية عشر مليوناً من أعضاء الكومسومول، رجال ونساء من مختلف ضروب الحياة، منهم العمال الصناعيون والزراعيون، والمدرسون والعلماء والفنانون والكتاب، والجنود والبحارة السوفييت والطلبة والتلاميذ والتلميذات.

وقد سررت حين رأيت صديقتي القديمة ناديا فاليشفيلي بين أعضاء وفد جورجيا، فما أكثر المناسبات التي تلاقينا فيها، وما أكثر

الملاعب التي ظهرنا فيها معًا. وها نحن الآن نلتقي في الكريملين.. في مؤتمر الكومسومول.

واتخذنا مجالسنا في قاعة الاجتماع، ورددنا الأغاني.

وفي الساعة العاشرة صباحًا اتخذ زعماء الحكومة والحزب مجالسهم في مقاصير اللجنة الدائمة بين عاصفة مدوية من الهتاف والتصفيق.

وافتح المؤتمر شيلبين سكرتير اللجنة المركزية للكومسومول متحدثًا بالنيابة عنها، محييًا الوفود ومندوبي المنظمات الأجنبية للشباب الذين دعوا كضيوف.

وما إن تمت الموافقة على جدول الأعمال، حتى أعلن الرئيس أن المؤتمر الثاني عشر للكومسومول تلقى رسالة تحية من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بالاتحاد السوفيتي، وقوبل هذا الإعلان بعاصفة مدوية من التصفيق، ونهض الجميع، وراحوا ينصتون بانتباه شديد إلى فحوى الرسالة.

وبعد هذا تلا الرفيق شيلبين تقرير اللجنة المركزية، قائلًا: إن أعضاء الكومسومول، والشباب السوفيتي بوجه عام قد استجابوا بحماس إلى الإجراءات التي اتخذها الحزب والحكومة لرفع مستوى الإنتاج الزراعي، وقال إن منظمات الكومسومول تشرف على ترحيل مائة ألف شاب من الملمين بالأعمال الميكانيكية للعمل في محطات الآلات والجرارات، والمزارع الحكومية التي يكرس العاملون فيها جهودهم لاستصلاح الأراضي البور، وزراعة الأراضي الخصيبة التي

لم يسبق زراعتها، وقد قال في هذا الشأن:

«اسمحو لي أن أذكر للجنة المركزية بالحزب الشيوعي السوفيتي بالنيابة عن منظمة الكومسومول: إن ستين ألفاً من أعضاء المنظمة قد رحلوا للعمل فعلاً، وإن أكثر من أربعمئة ألف طلب للعمل في هذا السبيل تلقتها لجان المنظمة، إن هذا المظهر عظيم لمدى وطنية الشباب السوفيتي».

وفكرت في تاريخ حياة الكومسومول، ففي أثناء الحرب الأهلية، استجاب أعضاء الكومسومول لنداء الحزب في الدفاع عن الجمهورية السوفيتية الفتية، وكانوا في خلال مشروعات السنوات الخمس، يقيمون أفران الصناعة في ماجنيتو جورسك، وينشؤون المدن الجديدة، وما أكثر أعمال البطولة التي برزت في تلك السنوات! إن ثمة بطولات أخرى في انتظارهم، وأبطال جدد، وإن الوطنيين الشبان ليتسابقون الآن في حماس للعمل في الأراضي العذراء بمناطق يالتا، وسيبيريا، وسهول القوقاز.

ووصف تقرير اللجنة المركزية بالتفصيل مختلف ألوان نشاط منظمة الكومسومول، وما استطاعت أن تقوم به من أعمال وما لم تستطع، وقد تحدث الرفيق شيلبين أيضاً عن بعض أعمال المنظمة التي لها أهمية خاصة بالنسبة لي، إذ قال:

«إن الرياضة والتربية البدنية من أهم الجوانب في الثقافة الشيوعية للشباب، وإن الحكومة والحزب قد هيا جميع الظروف اللازمة للتربية البدنية بين الشباب السوفيتي».

ويبين التقرير أن عدد الرياضيين قد تضاعف تقريباً في مدى أربع سنوات، على حين زاد عدد المنظمات الرياضية مرة ونصف مرة، وإن ملايين من أعضاء الكومسومول ومن الشباب قد اشتركوا في مختلف المباريات الرياضية، ولكن لا يزال هناك الكثيرون من الذين لم ينضموا بعد في الجمعيات والفرق الرياضية، والذين لم يشتركوا في المباريات الرياضية، والذين لم يجتازوا بعد الاختبارات العمالية في الرياضة وشؤون الدفاع المدني، وكان واجبنا أن نتعاون مع مختلف الجمعيات الرياضية الأهلية؛ لنهيئ الفرص أمام أعضاء الكومسومول ومعظم الشباب؛ لكي ينالوا نصيبهم من التربية البدنية.

لقد سجل الرياضيون السوفييت ثمانين رقماً قياسياً عالمياً، كما جاء في التقرير، ومع ذلك، فقد كنا متخلفين عن بعض الرياضيين الأجانب في ألعاب رياضية معينة، في كرة القدم، والسباحة، وسباق الزوارق، وألعاب السيف، وسباق الدراجات، والملاكمة، وقد استطرد الرفيق شيلبين يقول:

«إن تسجيل رقم قياسي يحتاج إلى جهد ضخم من جانب اللاعب والممرن، ومع ذلك فإن بعض لاعبيننا ومدربينا يلتمسون أسهل الطرق، وإن النظريات المزعومة عن «الإسراف في التمرين» و«الانهيار العصبي» قد وضعت لتبرير كسل طوائف معينة من الرياضيين والمدربين، ولكنها في الواقع تؤدي إلى عدم انتظام المران، والتهرب من الاشتراك في المباريات».

هل التمرين الشاق مضر حقاً؟ إن المتحدث يجب عن السؤال

بالنفي، ويضرب المثل بتجارب أبرع الرياضيين عندنا، لا سيما يوري ليتوييف من ليننجراد، إن المران الشاق المتواصل وكثرة الاشتراك في المباريات ساعده على أن يكون من أحسن الرياضيين في الاتحاد السوفيتي، ومكانه من حمل رقم قياسي عالمي.

واختتم الرفيق شيلبين حديثه قائلاً:

- ينبغي أن نحارب النظريات الخاطئة في ميدان الرياضة، ينبغي أن نبذل كل جهد ليستطيع رياضيونا أن يواصلوا المران بطريقة منظمة ومثابرة لإتقان فن قواعد اللعب.

وبعد تقرير اللجنة المركزية، جرت مناقشة قوية أكد فيها المتحدثون وجوب حسن القيام بالمهام التي تقع على كاهل منظمة الكومسومول من قبل اللجنة المركزية للحزب، وكثر الحديث عن الأبحاث التصورية، وعن اشتراك منظمات الكومسومول في حل المشكلات الاقتصادية للبلاد، وفي أسلوب وطريقة العمل لكل أجهزة المنظمة، وقد طالبت الوفود بما يلي:

«قليل من الكتابة... قليل من الاجتماعات... وكثير من القرارات والتصميمات، وكثير من أوجه النشاط المنظم، والشيء المهم هو العمل مع أعضاء الكومسومول وشباب الوطن كما يريد الحزب».

وسمعنا كثيراً من النقد اللاذع أثناء المناقشة؛ فقد عارضت الوفود كل شيء لم يعد ذا أهمية بالغة، وكل شيء أصبح بالياً، وهتفوا بسقوط كل ما يعوق ركب التقدم.

وتناولت المناقشة أيضاً الجوانب المهمة في مشكلات التربية البدنية، وقد ألقى بحديث طويل في هذا الشأن الرفيق رومانوف رئيس لجنة الرياضة والتربية البدنية بمجلس الوزراء بالاتحاد السوفيتي.

«ليس ثمة ما يدعونا للهدوء والتوقف بما أحرزناه من انتصارات؛ فلا يزال أمامنا عمل شاق، علينا في السنوات القليلة التالية أن نسجل أرقاماً قياسية عالمية، وأن نحرز البطولات في المباريات الكبرى، ولسوف يتحتم علينا أن نبذل قصارى جهدنا في هذا السبيل.

وأكد الرفيق رومانوف بعد ذلك وجوب اهتمامنا، بصفة خاصة، بهذه الأنواع من الألعاب الرياضية كالسباحة، وألعاب القوى.

وفي أثناء الاستراحة، التقيت بناديا فاليشفيلي، وسرنا معاً حول قاعة جيورجينسكي بأعمدتها المهيبة وثيرياتها الرائعة، ثم حول بلاط جوانوفيتايا بأقواسه الجميلة، وفي أثناء فترة المؤتمر، كنا نحن الوفود نقوم بجولة في أنحاء الكريملين، ونشاهد ما فيه من روائع هندسية فريدة، وكنوز في الفن رائعة، ورأينا بلاط أوريجينايا، والكنائس الأثرية، والغرفات التي كان يعيش فيها القياصرة.

ومرة أخرى دارت المناقشة عن الرياضة والتربية البدنية في اجتماع تال، ولكن الموضوع في هذه المرة كان يدور حول وسائل نشرها بين «الرواد من الشباب».

وقد أشار المتحدث والذين اشتركوا في المناقشة التالية إلى وجوب تحسين برامج التربية البدنية بالمدارس، قالوا إنه من الضروري جداً أن تزداد ساعات التمرين، وأن تزود المدارس بممرنين أفضل، وأن

نتيح المزيد من الأدوات والأجهزة الرياضية، وأن تكثر المباريات بين المدارس.

ولكن كان ثمة شيء آخر يدور بذهني، وهو أنه ينبغي أن نجعل الألعاب الرياضية أكثر جاذبية وتنوعًا ونحن نعيد تنظيم جماعات «الرواد الصغار» ونشر الثقافة الرياضية بينهم، وفكرت في طفولتي، وفي سنواتي الأولى بالمدرسة الرياضية، وفي كيف كنا ننتظر بفارغ الصبر موعد كل رحلة إلى أولجينو، ومدى ما كنا نبذله من جهد لإعداد استادنا الصغير في ساحة الغابة، وعضوبة مذاق البطاطس المشوية ونحن نأكلها بعد التمرين!

إن التمرينات والمباريات الرياضية «للرواد الصغار» لا سيما في الصيف، ينبغي أن يقترن فيها العمل مع الرحلات البهيجة، لقد كنا ونحن صغار سعداء الحظ بمدرسة زينيت الرياضية، نجد التوجيه السليم في ميدان الرياضة على يد أستاذ رائع، ومنظم لا يكل هو «فيكتور إيليك» حامل لقب الأستاذية في الرياضة، والبطل، وصاحب الرقم القياسي في رمي الرمح، لقد كان يبحث عن الخامات الرياضية بين تلاميذ المدارس، وجماعة «الرواد الصغار»، بل في الأفنية الخلفية للمنازل، لقد كان يكرس كل وقت فراغه لينشئ احتياطين من الرياضيين لبلاده.

وطوال انعقاد المؤتمر كنا نسمع الأحاديث الممتعة من شبان الوفود الأجانب الذين حضروه كضيوف، لقد حملوا تحيات بلادهم إلى منظمة الكومسومول، وإلى الشباب السوفييتي، مع أطيب الأمناني من ملايين الشبان والشابات في بلاد كثيرة، وقد عبر ممثلو جميع الوفود

عن هدف واحد وهو:

«لسوف نكافح معاً في سبيل إقرار السلام».

وعُقد المؤتمر الثاني عشر لمنظمة الكومسومول جلسته الأخيرة في اليوم السادس والعشرين من شهر مارس؛ لترشيح أعضاء اللجان الرئيسية، وقد رشحني الزملاء لأكون نائبة في اللجنة المركزية، فهل أنا جديرة بمثل هذا التكريم؟

وأعلن الرئيس في جلسة المساء الختامية نتيجة الاقتراع السري. وتضمنت قائمة الأعضاء الجدد للجنة المركزية بمنظمة الكومسومول اسمي، فماذا يمكن أن أقول؟ وماذا كان يدور بذهني عندئذ؟ لقد أسبغت منظمة الكومسومول عليّ شرفاً عظيماً، ولسوف أبذل كل ما يسعني من جهد لأكون جديرة بهذه الثقة.

وأوجز الرفيق شيلبين في حديثه الختامي أعمال المؤتمر، وأكد أن الجلسات جميعها انعقدت في جو من حرية النقد العام والشخصي، وجو يعكس الكفاح من أجل المزيد من التقدم في الأعمال الخاصة بالثقافة الشيوعية للجيل الجديد، وفي تعبئة جهود المواطنين الشبان للإسهام بنشاط في بناء صرح الشيوعية بالبلاد، وقد أثبت المؤتمر مرة أخرى أن أعضاء منظمة الكومسومول، والشباب السوفييتي وهبوا قلوبهم وأرواحهم لوطنهم الاشتراكي، وأنهم متحدون بصورة لم يتحدوا بمثلها من قبل، في الالتفاف حول الحزب الشيوعي والحكومة السوفييتية.

وعندما أعلن الرئيس انفضاض المؤتمر، نهض الضيوف والوفود

ليرددوا نشيد الحزب، وعندئذ راحت قباب قصر الكريملين تردد صدى
نغمات نشيد الشباب الديموقراطي العالية.

إن هذا النشيد المهيب يردد في مختلف أنحاء العالم، لقد سمعته
في ميادين بوخارست وبودابست، وفي ملاعب برلين، وفي أثناء الدورة
الأولمبية بهلسنكي، وها هو ذا الآن، في الكريملين القديم ينشده مرة
أخرى ممثلو الكومسومول والضيوف الأجانب من هنا وهناك.

وانتهى المؤتمر، وتفرقت طوائف الشباب إلى الميدان الأحمر،
وكان الربيع خارج الأسوار.. الربيع الحقيقي.. وصافح وجوهنا نسيم
دافئ رقيق كان يداعب قمم أشجار الشربين المصطفة على أسوار
الكريملين، ويدغدغ العلم المرفوع فوق قبة القصر الذي انصرفنا عنه
وشيكاً.

وفي اليوم التالي رحلت الوفود كل إلى مدينته؛ فقد كان أمامنا عمل
كثير ينبغي أن يُنجز.



الهدف المنشود

بدأ الموسم الرياضي لعام ١٩٥٤م بنجاح أكثر من ذي قبل، وقد امتازت المباريات الأولى بستجيل أرقام سوفيتية جديدة على أيدي فلاديمير كيزنتسوف في رمي الرمح، وميخائيل كريفونوف في رمي المطرقة، وإيرينا توروفا في سباق المائة متر، وناديا فاليشفيلي في القفز الطويل.

ولكن لم يكن النجاح حليفًا للرياضيين المعروفين فقط، وإنما تألق أيضًا الرياضيون الناشئون؛ فقد استطاعت زينايدا دوفيكوفا ذات السبعة عشر ربيعًا، والتلميذة بمدرستنا الرياضية، أن تقذف بالجملة مسافة ٢٣, ١٥ مترًا، وانضمت إلى صف أبرع راميات الجملة في العالم من النساء، وظهرت في أوكرانيا أيضًا لاعبة ماهرة في رمي الجملة هي ماريا كوزنتسوفا من نادي الدينامو بمدينة كييف، وكذلك تصدر جيل جديد من العدائين والرماة وأبطال القفز.

وأتاح الجو الدافئ الفرصة للرياضيين لكي يبكروا في المران استعدادًا لدورة البطولة الأوروبية في ألعاب القوى التي تقرر عقدها في نهاية الصيف بسويسرا.

وأكثرنا من المران وعقد المباريات، محاولين أن نخبر قوانا في مباريات ودية وفي أخرى دولية كبيرة، سافرنا للاشتراك فيها إلى ألمانيا الشرقية الديمقراطية، وبولندا، وفنلندا. وقد وجدنا المباريات في بولندا جد مثمرة؛ لأننا تنافسنا هناك مع أحسن الرياضيين في عشر دول أوروبية.

وفيما نحن نستعد لدورة البطولة الأوروبية، سجل الرياضيون السوفييت عددًا من الأرقام القياسية العالمية؛ فقد حطم ليونيد شيرباكوف من نادي الدينامو بموسكو الرقم القياسي في «سباق الأكياس» الذي كان يحمله دي سيلفا البرازيلي، على حين حطمت ألكسندرا كودينا الرقم القياسي في القفز العالي الذي سجلته ليرويل البريطانية، وحسنت ناديا كونييفا رقمها في رمي الرمح، كما سجلت نينا أوكالنكو رقمين قياسيين في السباقات المتوسطة، وحطم لاعبونا الرقم القياسي في سباق التتابع 4×800 .

وكالمعتاد لم تكن مبارياتنا مع رياضيي الدول الأخرى تجلب أرقامًا جديدة فحسب، وإنما كانت تفيد أيضًا في توطيد أواصر الصداقة الدولية، وتثبيت دعائم السلام العالمي. إن قوى السلام كانت تزداد قوة ونموًا، وكنا نفتنح بهذه الحقيقة في كل مرة نتصل فيها عن كذب بزملء من الدول الأخرى.

وفي أوائل الصيف ذهبت إلى فرنسا مع وفد من الطلبة السوفييت، وهبطنا باريس، وليون، وروان، وستراسبورج، ومارسيليا، ونيس ونحو عشر من المدن الأخرى الصغرى، وكنا في كل مكان نرى

الدلائل الواضحة على مشاعر الصداقة التي يحملها الفرنسيون لأرض السوفييت، وعلى أنهم -مع غيرهم من شعوب العالم- يكافحون من أجل إقرار السلام.

وقد سافر إلى الخارج في ذلك الصيف -عام ١٩٥٤م- كثيرون من أبطالنا وحملة الأرقام القياسية عندنا، ولكننا بالقرب من منتصف شهر يوليو عدنا جميعاً إلى موسكو للاشتراك في العرض العام للتربية البدنية بالاتحاد السوفيتي.

ولن أنسى ما حييت عيد الرياضة هذا، كان الجو في ذلك اليوم لطيفاً، ومدرجات ملعب الدينامو مزدحمة، وكانت جمهوريات الاتحاد السوفيتي الست عشرة كلها ممثلة في ذلك العرض.

وأعقب العرض استعراض اشترك فيه آلاف عدة من أبطال الجمباز وألعاب القوى والألعاب البهلوانية ورفع الأثقال، حيث أثبت الجميع مرة أخرى التقدم المستمر في براعتهم.

وافتح مهرجان الشباب العالمي الثاني عشر ببودابست في نهاية شهر يوليو، ولكن تصادف -للأسف- أن اتفق هذا الموعد مع آخر مرحلة مهمة من مراحل استعدادنا لدورة البطولة الأوروبية، ولهذا السبب لم يستطع الكثيرون منا الذهاب إلى المجر، وبرغم أن اللاعبين السوفييت لم يشتركوا في ذلك المهرجان إلا في بعض ألعاب القوى، فقد أحرزوا عددًا كبيرًا من الانتصارات.

وبعد أسبوعين، ذهب اللاعبون السوفييت إلى مدينة برن، عاصمة سويسرا حيث تقرر افتتاح الدورة الأوروبية الرياضية في اليوم الخامس

والعشرين من شهر أغسطس، وقد وصلنا في منتصف موسم مطير، فكانت الأمطار إما أن تسقط رذاذاً أو إما تنهمر وابلًا، فتحجب في الحالتين جمال وروعة قمم الألب عن عيوننا. وأفسدت الأمطار طريق السباق في استاد نوفيلد، على حين امتلأ الملعب نفسه ببحيرات صغيرة من المياه.

فيا للأسف! لقد تعشمنا ألا تفسد الأمطار المباريات التي كانت تبشر بالقوة والإثارة وحدة التنافس بين ألف رياضي تقريباً؛ أي ضعف عدد الرياضيين في أي دورة سابقة، وكانوا جميعاً ينتمون إلى ٢٨ دولة.

وأمرت السماء مرة أخرى في الخامس والعشرين من شهر أغسطس، ولكن على الرغم من هذا، فقد كانت مدرجات ملعب نوفيلد مزدحمة تمامًا، كما توقعنا، وقد كانت المنافسة عنيفة قوية منذ اليوم الأول، ولكن الرياضيين السوفييت أثبتوا في هذا اليوم بانتصاراتهم في معظم مباريات ألعاب القوى أنهم أساتذة الرياضة بلا مرأء.

لقد فاز الرياضيون السوفييت بعشرين ميدالية ذهبية من مجموع الميداليات الذهبية البالغ عددها ٤٥ ميدالية، وقد فزنا كفريق بمائتين وإحدى وعشرين نقطة، وفاز الفريق البريطاني الثاني بإحدى وتسعين نقطة ونصف نقطة فقط.

والرياضيون السوفييت الذين أصبحوا أبطالاً أوروبيين في هذه الدورة هم: ليونيد شيرباكوف، ونينا أو كالينكو، وفازيلي كوزينكوف، وفلاديمير كادتس، وفلاديمير كرفيونوف، وإيرينا توروفا، وأرواليون إجناتيف، ونينا بونوماريوفا، وألكسندرا كودينا، وإيفينيا بولانشيك، وأنافولي يولين، وماريا جولابنيكا، وقد أحرزت بطولة أوروبا في رمي الجلة.

لقد كانت أخطر منافساتي هن اللاعبات السوفيتيات؛ فقد فازت بالمركز الثاني ماريا كوزنيزوفا من مدينة كييف، وبالمركز الثالث صديقتي تمارا تيشكيفيك من ليننجراد، وكانت ماريان ويرنر من جمهورية ألمانيا الغربية التي فازت بالميدالية الفضية في الدورة الأولمبية، الخامسة فقط في هذه الدورة، أما المركز الرابع فقد آل إلى لاعبة تشيكية.

وكان أعظم الرياضيين السوفيت انتصارًا هما: ميخائيل كرفيونوف من مدينة منسك، وفلاديمير كاتس من مدينة ليننجراد، إنهما لم يغدوا فقط بطلين أوروبيين، وإنما أصبحا حاملين في الوقت نفسه لرقمين عالميين.

لقد كان استاد نيوفيلد مسرحًا لآخر جولة في المعركة العنيفة التي دارت مدى سنتين بين كرفيونوف، وبطل العالم في رمي المطرقة، النرويجي سيير ستراندي، وإني لأتذكر لقاء هذين المتنافسين في بوخارست، وفي هلسنكي، ثم في أوسلو ومالمو، لقد كانا يتلاقيان في الملاعب كثيرًا، وفي أول الأمر كان ستراندي دائمًا هو الفائز، ثم أخذ البطل السوفيتي الشاب يتقدم شيئًا فشيئًا حتى لحق به، وفاز عليه في بعض المباريات، وقد تباريا في هذه المرة على بطولة أوروبا التي فاز بها كرفيونوف وظفر بالميدالية الذهبية، وحطم رقم خصمه القياسي حين قذف بالمطرقة مسافة ٣٤, ٦٣ مترًا.

وكان الانتصار الذي أحرزه فلاديمير كاتس في سباق الخمسة آلاف متر رائعًا في كل مناحيه، وقد علقت الصحيفة النرويجية على هذا القول:

«لعل انتصاره كان أروع من الانتصارات التي أحرزها ذاتوبيك».

إن البطل السوفيتي الشاب لم يسبق فقط إميل ذاتوبيك في المباراة، وإنما حطم أيضًا الرقم القياسي العالمي لهذا البطل القدير في سباق المسافات الطويلة.

وهكذا آل رقمان قياسيان جديدان إلى الرياضيين السوفيت، ولكننا مع هذا لن نلجأ إلى الهدوء والتوقف مما أحرزناه من انتصارات، فإن معرفتنا من أجل الأرقام القياسية العالمية مستمرة. وإن أسلحتنا في هذه المعركة هي اللياقة البدنية الكاملة، والتصميم الذي لا يلين في سبيل النصر، والبراعة الرياضية الممتازة؛ فمثل هذه الأسلحة سوف تكتسح الأرقام القياسية العالمية بالغًا ما بلغت درجتها.

لقد حططنا منذ أمد بعيد النظرية القائلة بأن هناك حدودًا معينة لنتائج بعض الألعاب الرياضية، وأن هناك أبعادًا وأزمنة لا يمكن تجاوزها. لقد أثبتت التجارب أن الأرقام القياسية منيعة على التحطيم، طالما أنه ليس هناك من يحطمها.

فمنذ نحو ثلاث عشرة سنة خلت، أي في عام ١٩٤١م، كان رقم الاتحاد السوفيتي القياسي في رمي الجلة يقل عشرة أمتار عن الرقم الحالي، وكان الكثيرون يعتقدون أن العشرة الأمتار مسافة ضخمة، ثم قذفت إيللا ميتزيس من نادي الدينامو بموسكو بالجلة مسافة ٣٨, ١٠، ثم سرعان ما بدأ التنافس للوصول إلى خط ١١ مترًا، وما هي غير فترة وجيزة حتى تجاوزته الرماة.

وحتى في أيامي أذكر أن الخبراء الرياضيين في الخارج كانوا يؤكدون أنه من المستحيل على المرأة أن تتجاوز خط ١٥ مترًا في رمي الجلة، وضحكت أنا أندريفا من مثل هذه النظريات، وبعد تمرين شاق متواصل كانت هي أول سيدة تقذف الجلة إلى ما وراء خط ١٥ مترًا؛ إذ كانت مسافتها ١٢, ١٥ مترًا.

إن راميات الجلة من اللاعبات السوفييتيات يكافحن للوصول إلى خط ١٧ مترًا، إن هذا الخط هو هدفنا المنشود الآن، ولن يكون من السهل الوصول إليه، ولكننا في الوقت ذاته نزداد قوة وخبرة.. والخبرة شيء جد مهم، إن نجاحي هو ثمرة خبرة المدرسة الرياضية السوفييتية، وكذلك سوف تكون انتصارات راميات الجلة جميعًا.

لقد ثابرت تاتيانا سيفريوكوفا على المران الشاق عشر سنوات كاملة؛ لكي تزيد رقمها مترين، وتسجل بهذا رقمًا قياسيًا عالميًا جديدًا، وكذلك سار ببطء في تحسين أرقام كلافديا تيكونوفا وأنا أندريفا، ومع ذلك فإن هؤلاء الفتيات الثلاث قد أضفن فنونًا جديدة إلى قواعد وأصول هذه الرياضة.

إن تجارب زملاء السابقين قد ساعدتني كثيرًا في زيادة الرقم القياسي العالمي مسافة ١٨, ١ من المتر في عام ونصف عام فقط^(١)، وإن الخبرة التي اكتسبتها في المران والمباريات سوف تساعد الكثيرات من الفتيات السوفييتيات. إن طوابير رامياتنا البارعات تتقدم إلى الأمام على الدوام.

(١) لقد حسنت جالينا زيبينا رقمها القياسي كثيرًا منذ ذلك الحين؛ ففي دورة البطولة على ألعاب القوى عام ١٩٥٥ سجلت للمرة الثانية عشرة رقمًا عالميًا جديدًا هو ٦٧, ١٦ مترًا.

إن وراء الرياضيين السوفييت الذين يشتركون في المباريات الدولية، ملايين من الرياضيين الاحتياطيين، وإن لكل منهم أو منهم هدفه المنشود الذي يبدأ بمستلزمات الألعاب الرياضية الخاصة بالعمال والدفاع، ثم ينتهي بالأرقام العالمية القياسية.

وإن هدفنا المنشود ليس في الميدان الرياضي وحسب، فهو بالنسبة لي دبلوم التربية البدنية، وهو لغيري زيادة السرعة في دوران المخرطة الآلي، وهو لثالث إنتاج محصول جيد من أرض عذراء، وهو لرابع اكتشاف علمي، إن روح المثابرة التي تبثها منظمة الكومسومول والحزب في نفوسنا، تساعدنا على النجاح في العمل، وفي الدراسة، وفي الرياضة.

ولكن في اللحظة التي تصل فيها إلى هدفك المنشود، فإنك تتجاوزه، وتسعى إلى هدف آخر أبعد يجذبك إلى الأمام، وإن هذا الأمر عظيم؛ لأنه يدفعنا إلى التطور والتقدم دائماً.



